أعلام العرب



على الغاياتي

من "وطنيتي" إلى "منبر الشرق"

تأليف : د. ابراهيم عبدالله المسلمي

تقديم : أ. فتحي رضوان

اعلام العرب

على الغاياتى

من "وطنيتى" إلى "منبر الشرق"

تأليف

د. ابراهيم عبدالله المسلمى

تقديم

أ. فتحى رضوان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

الاخراج الفنى :
ماجدة البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليـه فمنهم من قضى نحبـه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

« صدق الله العظيم »

إهـــــداء

الى ابنى « مصطفى »··

واحباؤه ···

د· ابراهيم المسلمى

تقـديم الكتـاب

للأستاذ : فتحي رضوان

لا أظن أن هناك ممن جاهدوا فى سبيل مصر ، وطوقوا عنقها بأياد جليلة ، واحتملوا من أجل ذلك شـظف العيش ، والبعد عن الأهل ، وضيق الرزق ، من لقى مالقيه على الغاياتى ، الشـاعر والكاتب ، والصحفى والعالم الاسلامى ، من نفى وتشريد ، وجحود ونكران ·

ولقد بدأ الغاياتى ، حياة الكفاح والجهاد ، وهو بعد شاب ، لم يطر شاربه ، ولم يصلب عوده ، وتكتمل تجربته ، فمنذ غادر بلده دمياط الى القاهرة ، ليلحق بالأزهر ذلك المعهد العريق والعتيق ، وهو يجهر برأيه فى الاحتلال البريطانى ، وبنقده الحاد ، للحكام المصريين الذين يدورون فى فلكه ، ويخدمون غرضه ، ويأتمرون بأمره ·

ولم يكن على الغاياتى ، حينما شرع قلمه ، فأغمده فى قلب أعداء وطنه ، الا شابا أزهريا · لم يكن له من يحميه ، فلم يلذ بغنى من أغنياء بلده ، يأخذ بيده أن مر بأزمة ، أو لقى عنتا ، ولم يكن من ورائه ، وزير أو حاكم يدفع عنه الأذى ، ان غضب عليه ، صاحب سلطان · وكان الأزهرى فى ذلك الحين · أضعف الناس طرا فى مصر

فالأزهرى لايلحق بالأزهر الا لأنه لايجد من المال،ما يعينه على اللحاق بمدرسة من مدارس الحكومة ، التى تتقاضى أجرا ، وكان المجتمع كله يزرى بشيوخ الأزهر وتلاميذه ، ويسخر منهم ومن علمهم ، وكانت الصحف والمسرحيات ونكات الناس المتداولة على ألسنتهم ، تصور الأزهرى فى أسوأ صـــورة ، وتعتبره عنوانا على العجز والاضطراب والتخلف ، وتفاهة بضاعته التى اقتصرت على ألفاظ فارغة ، وأساليب أكل عليها الدهر وشرب ٠

كان بعض ذلك كفيلا بأن يفت فى عضد الشاب الأزهرى (على الغاياتى) ، الوافد من دمياط ، وكان قلة المورد فى الصـــحافة ، وتفاهة الأجر ، عاملا ثانيا ، لشاب مبتدىء فقير ، أن يثنى وجهه عن الصحافة ، ويلتمس الرزق ، فى وظيفة تسد رمقه وتقيم أوده ٠ ولكن الشاب قد صنعه الله على عينيه ككل من خلقوا ليقيموا المثل العليا فى مجالات الفكر والدين والسياسة ٠ وكل رفيع وعظيم فى حياة الناس ، فيزهدون عن حوائج أبدانهم ، ويكبحون جمـــاح أهوائهم ، ويمضون فى الحياة ، كالشموع يحترقون ، ليضيئوا لسواهم طريق الحياة الرفيعة ، وليحشدوا صفوفهم ضــد جنود وأعوان الظلم والظلام ٠

وكان الغاياتى رقيق العاطفة ، شديد الحساسية ، فجرى على لسانه منذ مطلع حياته شعرا رقيقا كرقة نفسه ، حـــارا فى مثل حرارة قلبه ، صافيا نقيا ، يقرؤه الناس ، فيستعذبونه ، ويتأثرون به ، ثم يحفظونه ويرددونه ٠

ولم يكن ممكنا أن ينشر شعر كشعر الغاياتى الوطنى ، الذى هجا به الاستعمار فأصلاه نارا حامية ، وهجا به الحكام المصريين الذين باعوا أنفسهم ، بيع السماح لأعداء بلادهم ، ليستقروا على كراسيهم ، وليجمعوا من عرض الدنيا الزائل مايشبع جشعهم ، ان

كان هناك مايشبع هذا الطراز من أعوان الاستعمار ، وخدامه وصنائعه · لم يكن ممكنا أن ينشر هذا الشعر المتأجج المتوهج الا صحف الحزب الوطنى ، فقد أفسح الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد ، صدره لقصائد على الغاياتى ، فزاعت ذيوعا عظيما ، فأصبح هذا الشاب الفقير المبتدئ ، شاعرا يشار اليه بالبنان ، ويذكر كأحد مجاهدى مصر ، الذين طووا صدورهم على حب عظيم ، للوطن ، وكره شديد لخصومه وأعدائه · وأصحاب السلطة ، يضيقون به ، وبشعره ، وينتظرون الفرصة ، لينكلوا به ، ويقصفوا قلمه ، ويخرسوا صوته ، وقد استطاعوا أن ينفسوا عن غيظهم ، حينما نسبت الى الغاياتى مخالفة لقانون التجنيد فزجوا به فى سجن ، اسمه القشلاق الأحمر ، فكانت تجربة زادت الكاتب الشاعر ، علما بحقيقة الأحوال فى بلده ، ولكنها لم تهز من عزمه ، فقد بقى حريصا على مواصلة نضاله ، بروح ملؤها الثقة بالمبدأ وبالله والأمل فى المستقبل ، على الرغم من ادلهام الظلمات ·

واصل الغاياتى كتابته النثرية ، والشعرية ، فلما اكتمل عنده عدد من القصائد تصلح أن تؤلف ديوانا ، جمعها وقدمها للمطبعة ، واختار لها اسما ، يتفق مع مذهبه وعقيدته ، هو ديوان (وطنيتى) · وقبل أن يخرجه للناس ، رأى أن يعرض الديوان على اثنين من زعماء الحزب الذى انتمى اليه ، وبقى على ولائه حتى الممات ، ألا وهو حزب مصطفى كامل ، الذى أسسه هذا الزعيم العظيم فى ديسمبر سنة ١٩٠٧ · ذهب الى محمد فريد زعيم الحزب ، وخليفة مصطفى ، والى الشيخ عبد العزيز جاويش كاتب الحزب الأول ، ورئيس تحرير (اللواء) لسان حال الحزب ، ولم يتردد الزعيمان فى اجابة طلب الغاياتى ، فكتب كلاهما مقدمة ، كانت نقطة تدول فى تاريخ مصر الوطنى ، وكانت هذه النقطة وحدها ، كفيلة بأن تحفظ للغاياتى

مكانا بارزا فى تاريخ مصر الحديث ، وتذيع اسمه ، فلا يطمس ولا يحجب ، ولكنه نسى وجحد ، لأسباب سنشير اليها فيما يلى ٠

تلقفت السلطة فرصة ظهور (ديوان وطنيتى) ، وأحالت صاحب الديوان وصاحبى المقدمة الى المحاكمة ، ولم يكن الغاياتى حسن الظن بالقضاء المصرى فى تلك الحقبة ، وكان سوء ظنه فى محله ، فقد كانت السلطة البريطانية ، سلطة الاحتلال البريطانى ، هى صاحبة الكلمة فى مصر ، ولم يكن يقوى أحد ، على مخالفة ما تأمر به ، أو ماتنهى عنه ، الا القلة المؤمنة المجاهدة ، وكان مما يزيد من سوء حال القضاء وعجز القضاة من رفض الضغط الحكومى عليهم فى قضايا السياسة والرأى أنه لم تكن للقضاء حصـــانته ، فالقاضى كأى موظف آخر فى مصر ، ان غضبت عليه سلطة الاحتلال، أو سلطة الخديو ، فصلته عن عمله وقطعت رزقه ورزق أولاده ٠ ولكن بدت من بعض القضاة بوادر حرص على حريتهم واقامة العدل بين الناس ، فعالجت الحكومة هذا الخطر ، بأن عدلت قانون الاجراءات الجنائية ، وجعلت الاختصاص فى قضايا الرأى والنشر والصحف ولو كانت جنحا ، لمحكمة الجنايات ، لأن دوائر محاكم الجنايات كانت تضم مستشارا انجليزيا أو على الأقل فرنســـيا ، وكانت الرياسة دائما لهذا القاضى الأجنبى ليدير المحكمة على الوجـــه الذى ترضى عنه الحكومة لذلك كله قرر الغاياتى أن يهاجر من مصر الى تركيا ، فهاجر بالفعل فى يوم ٥ من يوليه سنة ١٩١٠ ، وقد يسر له السفر أنه لم تكن بين مصر وتركيا حواجز تقتضى حصول الراغب فى الانتقال من أحد القطرين الى الثانى ، الحصول على اذن بذلك ، ووجود جواز سفر عنده ، فسافر الغاياتى الى استانبول أو الاستانة فى ذلك اليوم ، ليبدأ غيبة عن بلاده استمرت حتى سنة ١٩٣٧ ، أى نحو سبعة وعشرين عاما ، تغيرت فيها أحوال مصر وأحوال المنطقة العربية ، وأحوال العالم كله ، ففى هذه الأعوام

الطوال ، قامت الحرب العالمية الأولى ، واستمرت أربعة أعوام ، أعلنت خلالها الحماية البريطانية على مصر وعزل الخديوى عباس حلمى الذى كان متربعا على عرشها ، وحل محله عمه السلطان حسين كامل ثم أعقبه أخوه أحمد فؤاد ، سنة ١٩١٧ ، ثم جاء فاروق بن أحمد فؤاد ، وقامت ثورة سنة ١٩١٩ ، ونفى زعماء الثورة الى مالطة ، وأفرج عنهم ، وفاوضوا الانجليز وفشلت المفاوضات ، كماخمدت جذوة الثورة وحلت محلها حرب داخلية بين الأحزاب ، وأبرمت مصر مع بريطانيا معاهدة سنة ١٩٣٦ ، فتغيرت بعقدها العلاقات بين مصر وبريطانيا فى الظاهر ، وبقيت على حالها فى الواقع ، فقد أصبح اسم المندوب البريطانى السفير ، ولكن بقى للسفير كل سلطات المندوب السامى ، واستمر تدخل بريطانيا فى شئون مصر الداخلية والخارجية على أشده ٠

وفى يوم ٢٠ من يونيه سنة ١٩١١ ، عقدت محكمة الجنايات جلسة لمحاكمة على الغاياتى وزميله فى القضية . وزعيميه فى الحزب : محمد فريد وعبد العزيز جاويش ولم يحضر المحاكمة لبقائه فى (الأستانة) ، فحوكم غيابيا وحكم عليه بالسجن سنة ، وحضر فريد فحوكم كذلك ، وحكم عليه بالسجن ستة أشهر ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر ، ونفذ الحكم فى محمد فريد ومالبث أن هاجر الى تركيا سنة ١٩١٢ ، كما هاجر الغاياتى من قبل ، لأنه اتهم ثانية بعد ان اتم مدة السجن الأولى ، بانه أهان الحكومة فى خطبة القاها فى المؤتمر الوطنى للحزب الوطنى ، ولم يكن فى شىء مما قاله يستحق المحاكمة والحكم ، فادرك أن الحكومة ستلاحقه بالقضايا وبالاحكام كتب أو خطب ، لتمنعه منعا ماديا من ممارسة واجبات زعامته ، فآثر السفر الى تركيا ، ليكون اقدر على النهوض باعباء قيادته ، ومما أغراه على الرحيل من مصر الى تركيا ، ان العلاقات بين البلدين كانت أنذاك

وثيقة الى أبعد حد ، فكان مايجرى فى احداهما يتردد صداه فى الحال فى البلد الآخر ، مما يمكن محمد فريد أن يوجه العمل السياسى فى وطنه ، وهو بعيد عنه ٠ فهاجر فى مارس سنة ١٩١٢ الى تركيا ٠ ولم يعد اليها الا بعد ان وافاه الأجل فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٩١٩ فى برلين ، بعد أن تحمل شظف العيش ، والغربة ، والمرض ، والوحدة الموحشة ، وانهيار الآمال ، فقد هزمت تركيا وهزمت ألمانيا ، وخرجت بريطانيا عدوة محمد فريد وعدوة الغاياتى، كأقوى ماتكون الدولة الظافرة ٠

ومعنى هذا أن ديوان وطنيتى الذى جمع قصائد على الغاياتى، التى لم تكن ألفاظا ، بل كانت شواظا من نار ، وقذائف تتلظى ، الى قلب الاستعمار ، وهى شواظ وقذائف ، لمعت فى سماء مصر ، قبل أن تهبط على رءوس أعدائها ، فنزعت من القلوب الخوف ، وحضرت تحضيرا مباشرا لثورة سنة ١٩١٩ ، فلم يكن قبل اندلاع هذه الثورة ، حزب أو جماعة تحرض على الاستعمار وتدعو الى مقاتلته الا حزب مصطفى لكامل ، ومحمد فريد ، وعبد العزيز جاويش ، وعلى الغاياتى ، فقد استمروا يعملون فى مصر ، سرا ، وفى تركيا والمانيا وكل اوروبا علنا ، حتى قامت هذه الثورة ٠

ومعنى هذا أيضا ان ديوان وطنيتى ، كان السبب المباشر لتفكير محمد فريد فى الهجرة ، وهو قرار أغضب أناسا وأرضى أناسا آخرين ، أغضب الذين كانوا يريدون ان يبقى فريد فى مصر ، على الرغم من كل ماكان ينتويه الاحتلال البريطانى والخديو واعوانهما من التضييق على محمد فريد ، وملاحقته بالقضايا والاحكام ، لأن وجود الزعيم فى بلده وبين أهله ، يقوى معنوية أنصاره ، ويزيدهم جرأة ، وينظم صفوفهم ، ويزيده هو شجاعة وقدرة على مواجهة الاعداء ٠

والذين رضوا عن هجرة فريد قالوا ان وجوده فى الخـارج بعيدا عن قبضة الاحتلال ، فتح امامه باب العمل الدولى فى أوربا كلها ، وأنه بالفعل كان يذرع اوروبا جيئة وذهابا وأنه حضر المؤتمرات العديدة التى كانت تعقد خلال الحرب العالمية الأولى ، دفاعا عن الأمم المضطهدة والشعوب المحرومة من حقوقها ، وان جهود محمد فريد الدولية حفظت اسم مصر واسمه من ان ينسى طوال فترة الحرب مما جعل العالم متهيئا لاستقبال ثورة ١٩١٩ كامتداد لتلك الجهود التى أكدت ان مصر لم تهن عن المطالبة بحقوقها ومجاهدة أعدائها ٠٠٠ وللغاياتى سهم فى كل هذه الجهود ٠

فانه بعد أن أقام فى استانبول فترة ، يحرر فى أكثر من صحيفة عربية هناك ، وينظم القصائد ضد حكام مصر ، ويرسل صحفه الى بنى وطنه ، فيذكرون شاعرهم الشاب ٠

وأخيرا خطا الغاياتى خطواته الحاسـمة التى نقلتـه الى أوروبا ، وذلك فى ٢٩ من نوفمبر سنة ١٩١١ ، لقد سافر فى ذلـك اليوم الى جنيف مارا بفيينا عاصمة النمسا ٠ وقد بدا يراسل جريدة الحزب الوطنى (حزب مصطفى كامل) منذ وضع قدمه فى جنيف ، ولما انقطع عنه مرتبه الضئيل من جريدة الحزب ، بدأ يدرس اللغة العربية لعدد من الشـبان المصريين والعرب الذين يدرسون فى جنيف دون أن يكونوا على علم كاف بلغة بلادهم ٠ ثم أخذ يراسل بعض الصحف السويسرية مثل (تريبون دى جنيف) ، و (جرنال دى جنيف) و(السويس) ، ثم أخذ يراسل جريدة (جازيت دى لوزان) ، فتوطدت علاقته بالصحافة السويسرية ، وعرفته دوائرها كاتبا بالفرنسية على الرغم من أنه مصرى وافد الى أوروبا ، يحسن التعبير عن نفسه وعن أهله ، تعبيرا صحيحا ووطنيا تخالطه روح شعرية ، تجذب القارىء ٠ لكن الذى يهمنا هنا هو ما يتصل بجريدة على الغاياتى التى أصدرها باسم «منبر الشرق» أى «تريبون دوريان»

فقد لعبت دورا سياسيا ووطنيا عظيمـا ، اذ ظهرت فى جنيف فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كان الغرب لايسمع من أنباء هذه الثورة العظيمة الا ماتنشره صحف أوروبا ، ولكان أكثرها منحازا لسلطة الاحتلال البريطانية ، وكان المفروض ان تكون هذه الجريدة ، باللغة الفرنسية ، لأنها تصدر ليقرأها المتكلمون بالفرنسية ، ولكن وطنية على الغاياتى المتطرفة ، أبت عليه الا أن تكون صـفحة من الصفحات الأربع التى تتكون فيها هذه الجريدة بالعربية ، وقـد كلف نفسه جهدا كبيرا ليحقق هذه الغاية ، اذ لم تكن هناك مطبعة عربية فى سويسرا ، فراح يكتب هذه الصفحة بخطه ثم يحضرها (بالزنكوغراف) ، ويطبعها بعد ذلك ، فلما ثقل عليه هذا الجهد ، ظهرت هذه الجريدة بالفرنسية ، فكانت منبرا للشرق كله : من الهند الى المغرب ، وقد دافع عنها أكثر ما دافع عن مصر وعن ثورتها ، واذا فتشت فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية بل وتاريخ الحركات الوطنية العربية ، وتاريخ الحركات الشرقية ، فلن تجد صـحيفة واحدة كجريدة منبر الشرق ، يحررها عربى بلغة أوروبية سليمة وقوية ، وتصدر بانتظام ، وعلى وجه يكسـب الاحترام والتقدير للجريدة ولصاحبها ٠

ولو لم يكن لعلى الغاياتى سوى هذا الجهاد الرائع ، الذى كلفه ماكلفه ، لكفى ليذكره مواطنوه المصريون والعرب ، ويعلو من قدره ، وينوه بذكره ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع ٠ وقد كان الغاياتى يواصل هذا الجهاد المرير ، ولا أحد من قادة مصر ، ولا من قادة العرب،يمد يد المساعدة ولو مرة واحدة،ولو بقرش واحد،لعلى الغاياتى لا لأن هذا القرش سيسد حاجة من حاجيات الجريدة ، أو سيكسب لها قارئا ، أو يخرج بها من أزمة بل ليكون تعبيرا عن رغبة التعاون مع هذا المجاهد الصابر المستميت ٠

ومما يزيد من قدر هذا الجهاد وأثره ، أنه استمر من ٥ من

فبراير سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٣٧ اى نحو ١٥ سنة متصلة والرجل لايكل ولا يمل ، ولا ينثنى ولا ييأس ، حتى انتقل الى مصر فى ٢٦ مايو سنة ١٩٣٧ ٠

فلكم هى كبيرة جريمتنا فى حق على الغاياتى الذى حينما فكر بعض أولى الأمر فى تكريمه اطلقوا اسمه على حارة لا يزيد طولها عن ثلاثين مترا ، متوارية لا يعرفها أحد ، ولا يرد اسمها فى مطبوع أو منشور ٠

ولم تكن جريدة منبر الشرق طوال هذه السنوات ، مجـرد صحيفة تنشر أخبار الوطن المصرى والعربى ، وتدافع عن حقوق المصريين والعرب والشرقيين ، بل كانت منتدى لزعماء هذه الأمم كلها ، يستضيفهم الى بيته ، ويؤدب لهم المآدب ، ويعرفهم برجالات (جنيف) التى كانت مقر جمعية الأمم التى اتصلت أسباب على الغاياتى بها ، فعرف كبار موظفيها وعرفوه ، واحتفوا به كلمـــا مر عليهم أو طرق بابهم ، وباختصار أصبحت دار منبر الشـــرق سفارة غير رسمية لمصر ، وأصبح صاحب الدار سفير مصر والعرب المحترم ، المسموع الكلمة ٠ وقد عاونت على الغاياتى فى أوامر اغراض وواجبات هذه السفارة زوجة على الغاياتى السويسرية التى أنجب منها خمس بنات وولدا واحدا ٠

ولما جاء الغاياتى الى مصر ، نقل جريدته معه ، فواصلت سعيها على نفس المنهج ، فهى جريدة قومية كتب تحت اســـمها بيتين جريا هكذا ٠

باســم الكنانــة واســم شــعب ناهض
لا باســـم أحــزاب ولا زعمـــــاء

وقد حقق هذين البيتين ، فلم يمالىء حزبا ، ولم يشـــايع

حكومة ، ولم يجر فى كلف زعيم أو عظيم ، ولم يمد يده الى دولة من دول العرب أو دول الغرب ، مع أن ماضيه القديم ، وشهرته منذ شبابه ، واتقانه للغة الفرنسية ، وصلاته بدوائر السياسة ابان وجوده فى جنيف ، وتردده على جامعة الأمم ، كل ذلك يجعله شخصية سياسية تنفع من تنحاز اليه ، وتعمل لخدمته ، مما يغلى مهره ، ويزيد أجره ولكنه استروض بالقناعة ، ورضى بما قسم الله له ، فلم يخالف ضميره ، ولم يخرج عما يأمر به دينه ، وخرجت جريدته صفحة نظيفة نقية ، تخلو من كل خطأ ، وترتفع فوق كل شائبة ، وتدعو فى دأب واتئاد الى كل فضيلة قومية ٠ وكانت داره فى مصر ، كداره فى جنيف منتدى الأحبة من رجال العلم والأدب والدين من العرب وأهل المشرق ، ولم يكن معه من يعينه الا شخصه وصبره وتقواه واحتماله للمكاره ، وصبره على الشدائد ٠

فلما مات فى ٢٧ اغسطس سنة ١٩٥٦ ، نعته الاذاعة المصرية، بوصفه أحد ابطال مصر ، وأوائل المجاهدين لها ، والذائدين عن حياضها ، والثابتين المحتسبين الاتقياء الانقياء ، وسرنا وراء نعشه ، نستمطر الرحمة على جدثه ، وندعو له بمقام رفيع مع الانبياء والصالحين ، والشهداء والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا ٠

***

والكتاب الذى أقدم له بهذه الصفحات ، من تاليف الأستاذ الدكتور ابراهيم عبد الله المسلمى ، وهو كتاب يفيض بالحب للمترجم له الأستاذ المرحوم على الغاياتى ، والقارىء يلمس هذا الحب من كل سطر فى الكتاب ، ومما هو بين السطور ، وحب الكاتب لمن يكتب عنه شرط لتجويد الكتابة ٠ ولذلك قد جاء هذا الكتاب صورة صادقة وحية ، لحياة الغاياتى ، وقد كتبت بأسلوب سهل ، واضح مما يعين على متابعته وفهم حياة هذا المجاهد والتأثر بها ، والاعجاب

به . وقد الم الكاتب بكل مايتصل بالغاياتى منذ مولده الى يوم وفاته، وبذل فى سبيل ذلك جهدا مشكورا وعناية ملحوظة . وانى لأرجو أن يكون هذا الكتاب الشيق ، فاتحة اهتمام بالغاياتى ، حتى ترد له حقوقه المهضومة ، فيذكره الكتاب والشعراء والصحفيون ، وتتحدث عنه الصحافة والاذاعة ، وتهدى قدوته طريق الشـــباب فى جيلنا الحاضر الى التضحية والجهاد والعمل الصالح .

(فتحى رضوان)

(مقدمة المؤلف)

كانت بداية معرفتى بصاحب الترجمة ، سطور قليلة ، قرأتها فى جريدة « اللواء » ، التى أصدرها الزعيم الوطنى الشاب « مصطفى كامل » فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ ، والتى تحولت فى نهاية سنة ١٩٠٧ ، الى لسان للحزب الوطنى ٠

وأخذت السطور تتزايد ، نثرا وشعرا ٠٠ ويتعاظم أمرها ، وأحسست أن وراءها كاتب ثائر ، قلمه لايعرف الا حب الوطن الخالد وبغض الاحتلال الجاثم على أرض وادى نيلنا العظيم ٠٠

ومع ذلك ٠٠ لم أتعرف حقيقة على ذلك البطل « المجهول » فى تاريخنا ٠٠ الا بعد أن أصدر ديوانه : « وطنيتى » ، فى سنة ١٩١٠ ، ثم أصبح للديوان قضية ومحاكمة ، جعلت اثنين من خيرة ابناء مصر البررة ، يدخلون سجونها ، بسبب كتابتهم مقدمات لهذا الديوان أول هؤلاء هو : الزعيم «محمد فريد» ، والذى أصبح رئيسا للحزب الوطنى بعد وفاة « مصطفى كامل » ، فى فبراير سنة ١٩٠٨ ، أما الثانى فكان : الشيخ « عبد العزيز جاويش » ، رئيس تحرير صحف الحزب الوطنى : « اللواء » ، ومن بعده « العلم » ٠

هنا فقط عرفت اسم الشيخ « على الغاياتى » ٠٠

وأخذت أبحث وانقب ، عن حياة ذلك الشاب ، الذى كان عمره

وقتئذ ، خمسة وعشرين ربيعا ، قبل فراره من المحكمة ، وهجرته الى الآستانة ، ثم الى جنيف ٠

ولكن يبدو أن « الغاياتى » ، قد سقط سهوا من التاريخ ٠!

لا ٠ بل سقط عمدا ٠٠ ولما لا ؟!

ان مؤرخى الصحافة أهملوه ٠٠ والذين ذكروه لم يوفوه ٠٠ هو وجريدته حقهما ٠٠ ووضعه نقاد الأدب العربى على الرف ٠٠ حتى ان مؤرخنا الكبير « عبد الرحمن الرافعى » ، لم يخصص له من كتابه « شعراء الوطنية » الا أربعة صفحات فقط ، وفى نهاية كتابه المكون من (٣١٦ صفحة) ٠

« فالغاياتى » لم يكن ذا مال ولا سلطان ٠٠ لم يكن من اتباع حزب من الأحزاب ، أو خادما لزعيم أو رئيس !!

كان الغاياتى « أمة » وحده ، فى الدين ، وفى الخلق ، وفى الوطنية ٠٠ وكان صاحب كلمة حرة شـجاعة ، ونقد بنـاء ٠

وصاحب المبدأ ، والخلق والدين ، يهمله كل مداهن مخادع ٠

ولكن أبدا ٠٠٠ التاريخ فى النهاية ، لايهمل كل وطنى جسور ٠

ويكفى « الغاياتى » فخرا ، أنه بعد هجرته الى الخارج ، كان يصدر بمفرده فى جنيف ــ مقر عصبة الأمم ــ جريدة باللغة الفرنسية تدافع عن حقوق مصر ، والاسلام ، والشرق ، بل انه جعل شعارها « الشرق للشرقيين » ، وذلك لأكثر من خمسة عشر عاما (٥ فبراير سنة ١٩٢٢ ــ ٢٦ مايو سنة ١٩٣٧) ، وعندما عاد القلم المهاجر مع أسرته التى كونها فى جنيف ، أعاد أصدار هذه الجريدة باللغة العربية ، تحت اسم « منبر الشرق » ، فى ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ،

فظلت مستقلة ثمانية عشر عاما (حتى ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٦) ، عن كل جماعة ، أو هيئة ، أو حزب ، أو زعيم ٠٠ وجعل شعارها :

« باسم الكنانة واسم شعب ناهض
لا باسم أحزاب ولا زعماء »

« كل يزول وينقضي أما الحمى
فوديعة الآباء للأبناء »

وقد أردت بداية ، أن أكتب مقالة ، عن ذلك « الغاياتى » ٠٠ الصحفى والشاعر والمجاهد « المجهول » ٠٠ وللحقيقة ، فانني لم أجد أحدا أنصف ذلك الرجل ، الا قليل ، منهم استاذنا الكبير : فتحى رضوان ، فى مؤلفه « عصر ورجال » ، وقد اعتمد فى التاريخ « للغاياتى » على مذكراته الشخصية ، والتى لكتبها فى حوالى ٢٨ حلقة اسبوعية ، فى جريدته « منبر الشرق » فى أوائل سنة ١٩٥٢ ، ولكننا للأسف لم نعثر على المجلدات التى تحتوى على السنوات من ١٩٤٧ الى ١٩٥٣ ، محفوظة فى دار الكتب العامة بالقاهرة ٠ ولكننا وجدنا مذكراته منتشرة ، ومتفرقة ، فى باقى السنوات ٠ ، وكذلك تلميذه الأستاذ « محمد طاهر الجبلاوى » ، وصهره الأستاذ الدكتور « مختار الوكيل » فى كتاب « خمسة من شعراء الوطنية » ٠

وقد تحولت المقالة ، التى كنت أنوى كتابتها ، الى كتيب ٠٠ والكتيب الى كتاب ٠٠٠ بل كنت أنوى فعلا أن يتحول هذا الكتاب الى مجلد ، يؤرخ للرجل ، ولكل حرف من حروفه فى النثر والشعر ، والتى تؤرخ بصدق ، ودون تنميق أو تزييف ، لأهم أحداث الوطن ٠٠

ولكن يكفينى أننى ألقيت بالضوء الكاشف ، على ذلك الوطنى « المجهول » ، وأن تراه — عزيزى القارىء — حقيقة بين يديك ٠٠

فالى سطوره المضيئة ، قبل أن تأخذنا الحماسة ، فى مقدمات طويلة وانشائية ··

وفى النهاية ·· لايسعنى الا أن أقدم خالص شكرى وتقديرى ، الى كل من عاوننى فى اصدار هذا الكتاب وأخص بالشكر ، صاحب تقديمه ، الأستاذ الكبير فتحى رضوان ، والعاملين فى دار الكتب والوثائق القومية ، وفى قسمى الدوريات والمراجع ، والى ادارة المطبوعات والصحافة بالهيئة العامة للاستعلامات ، جزاهم الله عنى خير الجزاء ·

٢١ سبتمبر ١٩٨٦

د · ابراهيم عبد الله المسلمى
قسم الاعلام ـ بكلية الآداب
جامعة الزقازيق

(الفصــل الأول)

(ما قبــل وطنيتى)

* المولد والنشأة
* فى جريدة « الجوائب المصرية »
* فتنة دمياط الدينية
* فى القشلاق الأحمر
* فى صحف الحزب الوطنى

(المولـد والنشـأة)

لم تكد تمر اربع سنوات على بداية الاحتلال البريطانى لمصر ، حتى ولد : « الغاياتى » ، لأسرة متوسطة الحال ، ولكنها ذات حسب ونسب ، يصل بها الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كان ذلك يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٨٥ ، بمدينة دمياط بشمال الوادى(١) ، ودخل « الغاياتى » الكتاب طفلا لم يتجاوز السادسة من عمره ، وما ان بلغ الثامنة حتى كان قد حفظ القرآن الكريم وأجاد حفظه ، ثـم أرسله أبوه الى المعهد الدينى ليتلقى به علوم الدين ، وكان ذلك يتم فى (جامع البحر) حيث يتلقى الطلاب فى حلقاته شـئون الدين واصول اللغة والبلاغة ٠٠ على أيدى شيوخ أجـلاء من رجـال الدين(٢) ٠

ومع ان الاحتلال بدأ يؤثر فى الأمـة ، تأثيرا ملؤه اليأس والقنوط والاستسلام ، كما ظهر طغيانه وجبروته على كافة البلاد ، حتى ان شيخ المؤرخين : « عبد الرحمن الرافعى » يقول عن السنوات الأولى للاحتلال بأنها : « تؤلف فى تاريخ مصر القومى فترة انحلال

---

(١) فيليب دى طرازى ، « تاريخ الصحافة العربية » ج (٤) (بيروت المطبعة الأميركانية ، ١٩٣٣) ص ٣٦٦ ٠

(٢) محمد طاهر الجبلاوى « على الغاياتى » ، فصل من كتاب : « خمسة من شعراء الوطنية » (القاهرة ، الهيئة المصريـة العامة للكتاب ، ١٩٧٣) ص ٢٧٨ ٠

وطنى عام : انحلال فى الوطنية ، انحلال فى الأخلاق ، انحـــلال فى حالة الشعب الاقتصادية والاجتماعية(٣) »

الا أن فترة البعث الوطنى جاءت على يد الزعيـــم الشـــاب « مصطفى كامل » ، الذى نهض يدعو الى الحرية والاستقلال ، فبدأت دعوته غريبة عن الأذهان ، بعيدة عن الأفهام ، وتساءل معاصروه : كيف تقوم حركة وطنية لاستخلاص الاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا وأوسعها سلطانا ؟ ، ولكن وطنية « مصطفى كامل » كانت أقوى من الجيل الذى ظهر فيه ، وأقوى من العوامل المثبطة ، فأخذ يثابر على دعوته ، ويناضل عنها ، حتى استجابت الأمة لندائه ، فكانت نهضة ، وكانت حياة ، وكان شعورا ، وكان جهادا ، كانت رسالته الى مصر كصرخة الحياة المدوية فى سكون النوم العميق ، كانت رسالة الأمل بعد اليأس ، والحياة بعد الخمود ، والكرامة بعد الهوان ، والجهاد للحرية والاستقلال ، بعد الاستســلام للاحـــتلال والاستعباد(٤) ٠

ومع ذلك ، فلقد كان على الغاياتى فى معزل عن هذه الحركة الوطنية ، لايعرف من أمرها شيئا ، فحسبه أنه ولد فى دمياط ــ كما يقول بنفسه ــ فنشأ فيها بين « قوام كرام ، غير أنهم (محافظون) يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون ويميتون ، ثم لايكادون يذكرون الوطن والوطنية على الاطلاق !! »(٥) ، وقد بقى بينهم حتى ناهـــز الثانية والعشرين من العمر،ثم غادرهم آسفا مسرورا ميمما القاهرة،

---

(٣) عبد الرحمن الرافعى « مصر والسودان فى اوائل عهد الاحتلال » ط (٣) (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) ص ٢٢٨ ٠

(٤) عبد الرحمن الرافعى « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية » ط ٤ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ص ١٣ ٠

(٥) على الغاياتى « وطنيتى » الطبعة الأولى ، ١٩١٠ ، ص ١٦ ٠

« على انهم لايزالون الا قليلا ـ من نشئهم المأمول ـ أبعد العباد عن ذكر البلاد » ·

ومع ذلك فلقد بدأت أولى أفكار ومبادىء « الغاياتى » تتبلور على يد غير مباشر لدعوات الاصلاح التى تبناها السيد « جمال الدين الافغانى » ، ومن بعده الامام « محمد عبده » ، والتى تنحصر فى الدعوة الى نبذ الخرافات التى لحقت بالدين الاسلامى أيام الضعف ، كالتوسل بغير الأعمال الصالحة ، والتواكل والاستسلام ، وعدم الأخذ بأسباب التقدم التى اتبعها الغرب أخذا عن الشرق ، والوقوف على عوامل تفرقه ومقدرته للعمل بها ، وأن يفتح باب الاجتهاد فى فهم الدين والتبصرة به ·· وكان « الغاياتى بعقله المتفتح ونفسه المتوثبة يعكف على هذه الآراء ويدرسها بامعان ، ثم يهب لنشرها بين الطلاب ، ويدافع عنها بحماسة ، مما أثار خصومة بالغة بينه وبينهم ، وبين بعض شيوخ معهد جامع البحر ، وعلى رأسهم شيخ المعهد الذى كان يسير فى ركب التأخر والجهالة ··

ويحسن أن نذكر هنا كيف كان المصلحون الأولون يلقون من حركة معادية ، وهذا هو الامام « محمد عبده » يحارب داخل الأزهر أولا ، ثم على يد بعض من يحملون أمانة القلم والكلمة فى بعض الصحف التى يساندها الخديو « عباس حلمى » وبعض حاشيته ، وهذه هى جريدة « حمارة منيتى » تنشر صورة للامام وهو يراقص امرأة فرنسية وكلبها متعلق بثيابه ، وزجلا تندد فيه باباحته أرباح صندوق توفير البريد ، وتقول فيه :

الناس يدين وانت بستة	وكل حاجة تحللها
أعرف خلاصك فى الافتى	مطرح ماترسى دقلها

وكانت هذه الصحيفة تتستر وراء اسم رجل يدعى «عبد الرحمن الهندى » من أهـــالى دمياط ، ويتمتـــع بالحمـــاية البريطانية ، مما يبيح لها نشر كل ماتريد للنيل من هذا الامام الكبير وغيره ، وعندما وصلت هذه الوريقة الساقطة الى دمياط وفى صدرها هذا الزجل ، طار خصوم « الغاياتى » فرحا بها وأذاعوها بين الطلاب ، وسموا « الغاياتى » ومن معه من أنصار الامام « محمد عبده » : «الملة الستة» ، ومنهم السيد العالم «مصطفى مشرفة» ــ والد العلامة على مصطفى مشرفة ــ فضاق شيخ المعهد « بالغاياتى » وطرده ومنعه من تلقى الدروس فى حلقاته ، فخرج « الغاياتى » من المعهد ليشتغل مدرسا باحدى المدارس الابتدائية الخاصة ، وكان يديرها اثنان من أبناء الأعيان هما : السيد « عبد الرحمن العلايلى » والسيد « محمد الكردانى »(٦)

وقد وصل على الغاياتـــى الى القاهرة يوم الخميس ٤ أبريل سنة ١٩٠٧ ، فقضى بها حوالى مائة يوم ــ قبل أن يعود الى مسقط رأسه ثانية ــ قضاها بين يأس ورجاء ، وشدة ورخاء ، وعندما يعود بالقطار الى دمياط يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٠٧ ، يفصل لنـــا ذكرياته بين هنا وهناك فيقول(٧) :

« دمياط وطنى الذى عرفت هواه ، قبل أن أعرف الهوى ، فصادف قلبا خاليا فتمكنا ... ، وقد شاءت الأقدار أن تحول بينى وبينه ، فنأت بى عن أرضه الطاهرة ، وأحلتنى أرض القاهرة ــ تلك الأرض المباركة التى حشر الله فيها ستمائة ألف نسمة أو يزيدون من جميع الشـــعوب والأمم ، وجعلها غاية لهم يسعى كل فرد منهم

---

(٦) محمد طاهر الجبلاوى « مرجع سابق » ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

(٧) مقـــالة بعنوان « بين دميـــاط والقـــاهرة » ، جريـــدة « **الجوائب المصرية** » ، العدد ١٣٢٣ ــ فى ١٧ يوليو ١٩٠٧ ، ص ٢ .

ليدرك من ورائها غرضا يرى به كل الصيد فى جوف الفرا ، وهى مع هذا التزاحم والتنازع معرض عام لمظاهر العالم أجمع ، وبها لذى اللهو والهوى ملهى ومرتع ، لايجد لهما فى سواها بديلا ، ولقد نمقتها يد الابداع حتى قال قائلها ! ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وبالجملة فيها من كل معنى طرب ، نعم فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، ولكنى لم أر لهذا بفؤادى محلا ، فؤاد استولت عليه دمياط ، فما يغنيه من القاهرة ؟ أنت يادمياط على مافيك من نقص وانحطاط كما يقولون ـ مالكة قلبى وربة السلطان على لبى ، فما يسرنى من القاهرة بعد هذا ؟ أنت أيتها القاهرة مهما بلغت من جمال وجلال فبكل أسف ليس لك من نصيب فى هذا الفؤاد الذى غدا على دمياط وقفا » .



فى جريدة ((الجوائب المصرية))

بدأ الغاياتى حياته القاهرية محررا بجريدة « الجوائب المصرية »،وهى جريدة يومية سياسية أدبية تجارية ، يرأس تحريرها شاعر القطرين : خليل مطران » ، « وكان الغاياتى الأزهرى الشاب ، وهو بعد فى مطلع شبابه ، وفى المرحلة الأولى لعمله فى الصحافة ، لا يتردد أن يقف الى جانب الرأى الحر ، الذى يراه على صواب ، دون أن يحفل أو يقيم وزنا لسطان خصوم هذا الرأى »(٨) ٠

ويعترف الغاياتى فى رسالته الى صاحب جريدة « الجوائب المصرية »(٩) ، بأنه كان يعمل فى الجريدة بدون أجر ولا جزاء ، بل هى على حد تعبيره « محض تبرع منى خدمة لدينى وأمتى ، كما يقتضيه واجب طالب العلم » ٠

وقد استمر الغاياتى فى كتاباته الثائرة فى « الجوائب المصرية » بجانب رئيس تحريرها ، وبعض كتابها فى ذلك الوقت كأحمد محرم ، وحسن موسى العقاد ، وجورج مطران ، وسليمان فوزى ، وعطا حسنى ، وعلى علوى ، وحسين شفيق المصرى ، الى

---

(٨) لفتحى رضوان ((عصر ورجال)) ، (القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧) ص ٣٠١ ٠

(٩) ((الجوائب المصرية)) العدد ١٤٥٩ فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، ص ١ ٠

ان تركها كما يقول بسبب « سياستها فى عهد صاحبها الجديد ، وهو الوجيه الشاب : عطا بك حسنى . وكان فى ذلك الوقت معروفا بأنه قبل كل شىء (صهر العائلة الخديوية) ، وهذا أكبر ألقابه وأجدرها بالشهرة »(١٠)

وقد حدث أن الغاياتى ، كتب مقالة من مقالاته بعنوان «الدستور أميرنا » ، فلم تكد تظهر وتعرف ، حتى أمر عطا بك ، بوضع مقالة أخرى محلها ، واعادة طبع الجريدة ، وجمع ماوزع من أعدادها فى السوق ، لأن المقالة كانت مشربة بروح الحزب الوطنى ، الذى كان اذ ذاك يطالب الخديوى بالدستور مطالبة قوية ، وكان غير راض عن سياسة الوفاق الجديدة بين عابدين وقصر الدوبارة ، ومن هنا خرج الغاياتى من « الجوائب » ليكتب فى « اللواء » لسان الحزب الوطنى آنذاك · وقد بحثنا عن هذه المقالة ، فى الأعداد المحفوظة من جريدة « الجوائب المصرية » ، بدار الكتب العامة بالقاهرة ، ولكننا للأسف لم نجدها ، أما بخصوص ما ذكره الغاياتى من أن عطا بك حسنى،هو صاحب « الجوائب المصرية» ، بعد الشاعر «خليل مطران » ، فاننا لم نتثبت من ذلك من الجريدة ، فلقد وجدنا مقالات لعطا حسنى ، ولكن كان مدير الجريدة الجديد ، كما هو مكتوب على رأسها هو : على علوى ، وذلك اعتبارا من ١١ يناير سنة ١٩٠٨ ، والذى تملكها بعد ذلك فى شهر يونيو من نفس السنة ·

وقد لاحظنا بداية تشرب الغاياتى بمبادىء الحزب الوطنى ، حتى كانت رسالته للجريدة من دمياط،وبعنوان « فرع للحزب الوطنى فى دمياط»(١١)،يقول فيها بأنه قد أصدر منشورا دعا فيه الدمياطيين

---

(١٠) مقالة بعنوان « ذكريات قديمة منذ ثلاثين عاما » ، جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١١ فى ٩ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، ص ٥ ·

(١١) جريدة « الجوائب المصرية » ، العدد ١٥٥٥ ، فى ٢٨ مارس سنة ١٩٠٨ ، ص ٢ ·

لانشاء فرع للحزب الوطنى ، فقامت قيامة الأموات ، من أهل دمياط ، وهاموا فى تيه الظنون ، والكل يقول : جاءت المصـــيبة الكبرى ، والداهية الدهماء ، لنا ولبلدنا الأسيف ، فقد رسخ فى أفكار عباد الاحتلال منهم ، أن المحافظة سيمحى اسمها ، وتعود المدينة مركزا ، أو نقطة فقط ، جزاء لاهلها على هذه الوطنية ، التى ما سمعوا بها من قبل ، الى غير هذا من الاوهام الباطلة ، التى ولدتها فكرة الجهل القديم ، ممن حضروا أزمان الاستبداد ، واشربوا الجبن امام الحكومة وذكرها ، فأصلح الله حالهم ، وطهر البلاد من أمثالهم

***

(فتنة دمياط الدينية)

لم ينقض على عمل على الغاياتى فى جريدة « الجوائب المصرية » الا شهر أو بعض شهر ، حتى قامت فتنة دينية فى دمياط ــ مسقط رأسه ــ بسبب خلاف بين علماء الدين فى ذلك الثغر ، «اشتعلت نارها بتدخل العوام فيها ورفع أمرها الى مشيخة الأزهر وسمو الخديو ، وكاد يستفحل خطبها بتحريض بعض العلماء ذوى الافكار العتيقة البالية ، الجهلة والسفلة على ايذاء مخالفيهم من المصلحين »(١٢)

وقد ظل الغاياتى يكتب لنا مفصلا هذه الفتنة فيما يقرب من عشرين مقالة فى « الجوائب » ، وفيما يقرب من شهرين ، غير عابىء « بالأعمال الصبيانية للحمقى والجهلاء » .. ، ويلخص الغاياتى للقراء أولا سبب هذه الفتنة قائلا(١٣) :

« ان أحد علماء دمياط (الشيخ حسن على) ، قصد فى ليلة المولد النبوى مسجد (النفيس) ، وقرأ قصة المولد الشريف خالية من الشوائب القصصية الممزوجة بأكثر القصص ، وحض الحاضرين على اتباع القرآن الكريم ، وما صح من أحاديث النبى صلى الله

---

(١٢) « وطنيتى » للغاياتى ، هامش صفحة ١٢٢ .

(١٣) « الجوائب المصرية » ، العدد ١٢٩٣ ، فى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٣ .

عليه وسلم ، وحذرهم من السجود للأولياء ، والاستنجاد بهم من دون الله ، ومن النذور للأضرحة وتعهد صناديقها بالبذل والعطاء ، فى حين أن الاعمال الخيرية امامهم واسعة الأبواب ، وهى فى حاجة الى الدرهم والدينار من المحسنين » .

ثم يستطرد قائلا : « ثم علم شيخ المسجد (الشيخ النحاس) بذلك وكبر عليه الأمر وثار ثائره ، فذهب الى اثنين من قدماء العلماء الذين لهم سلطان عظيم على قلوب العامة ، وروى لهما الحديث ممسوخا محرفا ، فروياه كذلك للعوام ، فقالوا فى الشيخ ماقالوا ، ورموه بالمروق من الدين والعدول عن الايمان بالله ورسله ، وزادوا من عند أنفسهم ما شاءوا ... ، وهنالك قام رعاع القوم وسفهاؤهم ، منذرين مهددين ، وشرعوا فى رمى منزل الشيخ بالحجارة ، وانهالوا عليه شتما ولعنا حتى اضطر الى الاستنصار بالحكومة » .

ويرى الغاياتى أن الحكم الذى صدر على هذا الشيخ « من عمل الشيطان » ، فهو يقضى بمنع هذا العالم من التدريس ، وبقطع مرتبه وجرايته سنة كاملة ، يقدم شيخ علماء دمياط فى آخرها شهادة للمشيخة بحسن سلوكه ، لذلك « فان مشيخة الأزهر هى المسئولة وحدها عما يحدث من وراء اهمالها مرة واتكالها على شيخ علماء دمياط مرة أخرى ، اذ يجب عليها تلقاء ذلك أن تقوم بالاهتمام الكافى وتواصل البحث فى الموضوع ، وتنشر عنه مايكون به فصل الخطاب ، والا فانها تكون مسيئة الى العلم والدين ، بل مسيئة الى مدينة عظيمة ، كادت تراق الدماء فيها من أجلهما ، وأهلها يستغيثون بها ويرجون منها أن تؤيد الحق ودعاته ، وتخذل الباطل ونصراءه بقولها فى ذلك ، فان القول ماقالت » ثم يتساءل قائلا : « فهل تريد حفظها الله ، شرا بالاسلام والمسلمين ، وهى داعية الخير ، وناصرة الهدى ، وقبلة الدين » .

وفى مقالاته هذه التى كان يكتبها تحت عنوان « فتنة دمياط واسبابها » (١٢ مقالة) او « المسالة الدينية فى دمياط » (خمس مقالات) ، بالاضافة الى مقالات اخرى متفرقة . تهد الغاياتى شجاعا جريئا لايخشى فى الله لومة لائم . وهذه نبذ من كلماته :

« وليعلم القراء على اختلاف مذاهبهم ان الدين بعيد عن هذه المشاغبات والتحزبات وانما هى أمور لا يعبأ الله بها ، وليست من دينه فى شىء ، وسيعلم الذين يخلقونها اى منقلب ينقلبون ، فانهم انما يحاربون بها الدين من حيث لا يشعرون ، ونامل من حضرة شيخ العلماء ان يتقى الله فى دينه ونفسه وينصـــر الحق حيثمـا كان »(١٤) .

« امـا شـــيخ العلماء ، فاسمه لاجـل ان يحفظه جميـــع القراء وهو (عبد الرحمن الخضرى) فقد أتى بشهود عريضة يرمون الشيخ حسن .. بالكفر والخروج عن الدين ، وهم لا يعرفون ماكتب فى هذه العريضـــة . فلتطلب مشـــيخة الازهر اوراق التحقيق لمعرفة مافيها من ذوى الآراء السديدة والذمم الطاهرة . فاذا لم يقم الأزهر بذلك ويضرب على أيدى هؤلاء المفسدين بيد من حديد ويؤيد الحق بكلماته ، فمن نرجوه للاسلام والمسلمين ؟ »(١٥)

« وعلى اخواننا الصحفيين البحث فى الأمر . والانتصار للحق وأهله ولهم الأجر والحمد من الله والناس . فليس لنا فى أصـــل الرواية شىء . بيد انا نذكرها كلما صحت لدينا وندع لأنفسنا حرية الصحافة ، فلا نراعى ولا نحابى ، وهذا مايمدحنا عليه العقـــلاء المنصفون »(١٦)

« ياقومنا انصفونا وانظروا فى الأمر نظرة المتأمل العاقل .

---

(١٤) العدد ١٢٩٤ فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٢ .

(١٥) العدد ١٢٩٦ فى ٢٣ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٢ .

(١٦) العدد ١٢٩٧ فى ٢٤ مايو سنة ١٩٠٧ ، ص ٢ .

فان رأيتم الحق بجانبنا فكونوا معنا ، والا فارشدونا الى الصواب ، وبينوا خطانا بالأدلة القاطعة ، وعلينا بعد ذلك الامتثال والاذعان .. هذا ما ندعوكم اليه ، كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نتبع الا الصراط المستقيم ، ولا ننقسم على أنفسنا ونسفه بعضنا ، فنكون ممن غلب هواهم هداهم فكانوا من الخاسرين(١٧) .

ثم يرى الغاياتى انه كتب ماكتبه وهو « مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، مؤمن بالقدر خيره وشره ، وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ـ أما الزكاة والحج فلم (يجبا) علينا للآن ـ ونتبع قول السلف ونسير على سيرتهم ونتعبد على مذاهبهم ، وأنا مع ذلك نرى النبى صلى الله عليه وسلم ، أحب الينا من نفسنا ألتى بين جنبينا ونحترم كل ماجاءنا به من عند الله تعالى ، ونعتقد أن لله أولياء لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، ونعظمهم تعظيما يليق بهم ، وبالجملة فنحن مؤمنون مسلمون بكل معانى الايمان والاسلام »(١٨) ويبدو أنه لم يكتب ذلك الا ليحسن الناس به الظن ولا يرموه بما هو به براء ، لذلك نراه يدعو قائلا :

« جعلنا الله واياهم من عباد الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

ويعقب الغاياتى على صدور الحكم ضد الشيخ حسن على بقوله : « فهل بعد هذا نرجو تقدم الأمة بارتقاء العلم والعلماء ؟ هل بعد هذا نعلق آمالنا بالأزهر ورجاله ونقول ائمة الدين ؟ هل بعد هذا نؤمل اصلاح الأزهر على يد واحد من أهله ؟ كلا والله . لاترقى الأمة ولا يرجى من الأزهر خير ولا يؤمل له اصلاح ، مادامرؤساؤه رؤساءه ، وأبناؤه أبناءه . أيكون فيه مثل هذا وذاك من أهل الغباوة

---

(١٧) العدد ١٢٩٩ فى ٢٧ مايو ١٩٠٧ ص ٢ .

(١٨) العدد ١٣٠٤ فى أول يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

والتنطع والجمود والجهل بطرق الادارة والاصلاح ثم يرجى لـه خير مطلقا ؟ كلا والله · انه لايزال متقهقرا الى الوراء حتى تتحول حاله وتنقرض رجاله ويوكل أمره الى أولى الرأى والنظر »(١٩) ·

أفبعد هذه الجرأة المتناهية ، والرأى الحر ، فى أدق المسائل التى ترتبط بالعقيدة والدين ، لانستطيع أن نحكم على الشيخ على الغاياتى بأنه ـ وهو ابن الثانية والعشرين ـ سوف يكون له دور فى الكتابة الصحفية وفى ميدان الجهاد الوطنى ؟ ، ثم يمكنك أيضا أن تستشف عن أخلاقه الطيبة وشخصيته الكريمة ، وهو يدعو السراة والكبراء الى التبرع لهذا العالم الدمياطى ، حتى أن الشـاعر خليـل مطران رئيس تحرير « الجوائب » يتبرع بثلث مرتبه لهذا الشيخ : حتى لايضام الرجل فى معاشه الى أن تعاد اليه وظيفته ، وذلك حبا فى الدين الاسلامى ـ وهو مسيحى ـ ورغبة فى تخليصه لأصله النافع الشريف السمح ، حتى لايبقى عذر لجاهل به يزعـم أنه مناف للحضارة والترقى »(٢٠) ·

وأخذ الكتاب يؤيدون الغاياتى فى كتاباته انتصارا للحق ، واقامة للانصاف ، ومنهم « الفيلسوف الحكيـم والعـالم الكبير الدكتور شبلى شميل »(٢١) ، وانهالت رسائل القراء تحيى الجريدة وصاحبها ، لأنه أوسع صدرها الرحيب لنصرة الاسلام ، مما جعل الغاياتى يوجه كتابا مفتوحا الى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف ، يندد فيه بالحكم على الشيخ حسن على « حيث أن الرأى العام راض عنه ، وساخط على الحكم ، ومن أصدروه » ، ثم يوجه حديثه للشيخ حسن قائلا : « لاتبتئس ولا تحزن فان الأدبيات

---

(١٩) العدد ١٣٠٨ فى ٦ يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢

(٢٠) العدد ١٣١٤ فى ١٣ يونيو ١٩٠٧ ، ص ٢ ·

(٢١) مقـالة بعنوان « لا يعـدم الحق أنصـارا » ، العـدد ١٣١٥ فى ١٤ يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ ·

فوق الماديات ، ولاتهم الأخيرة مادامت الأولى محفوظة لك ، معتبرة فى نظر كرام قومــك ، وان الله معــك ، وهــو تعالى سيجــزى الظالمين »(٢٢) ٠

وقد نشر الغاياتى ماكتبه هو فى « الجوائب » ، وما استكتبه الفضلاء فى « الجوائب » وغيرها ، فى موضوع المسألة الدمياطية الدينية ، فى رسالة أسماها « سيف الله الصارم » ، طبعت بمطبعة « الجوائب المصرية » فى ٦ يناير سنة ١٩٠٨ ، وكان قد أعلن ان قيمة الاشتراك فيها قبل النشر بخمسة قروش صاغ(٢٣) ٠

وقد نظم الغاياتى قصيدة جريئة وقاسية على دعاة الرجعية ـ حتى ولو كانوا من علماء الأزهر ـ والذين كانوا يعملون فى ذلك الوقت مع الاحتلال والسلطة لعزله عن ســير الحياة ، وعن أداء رسالة الدين الاسلامى الصحيحة ، فتراه يقول فى موضــع من قصيدته التى نشرها فى ديوانه « وطنيتى » :(٢٤) ٠

ياويــل مــن عبدوا القبـور وأشــركوا
بــالله بيـــن توســـل وتضـــرع

ورأوا من العلمـــاء تأييـــدا لهـــم
فمضـــوا وما فطنـوا لغــى مبــدع

ياقـــوم ان أولئـــك العلمـــاء
قـــد جعلـوا الشـــريعة سـلما للمطامع

---

(٢٢) العدد ١٣١١ فى ١٠ يونيو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ ٠

(٢٣) العدد ١٣٦٥ فى ١٢ أغسطس ١٩٠٧ ، ص ٣ ، ولكن هذه الرسالة غير محفوظة فى دار الكتب العامة ٠

(٢٤) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ١٢٢ : ١٢٦ ٠

فاذا أرادوا فالحـــــلال ممتـــــع
أمـــــا المحــرم فهــو غيــر ممنـــــع

فهلــــم ننبذ رأيهـــــم ونـــــرى لنـــا
رأيــــا تنــــزه عن فســــــاد المنــزع

ونشـــــن غارتنـــــا عليـــــهم كلمـــــا
شــــنوا علينــــا غــــارة المتجشــــــع

حتى نــــــرد همــــو الى الاســــــلام
أو نـــــذر العمائـــــم بالمقــــام الأشنــــع

وهنـــاك يصــبح ديــن أحمد خالصـــــا
لله لا لـــــــلأوليـــــــــاء الأربــــــع

ويشرح الغاياتى المقصود من « الأولياء الأربع » فى الهامش ، فيقول : « الأولياء الأربع هم السيد أحمد الرفاعـــــى ، والســـيد عبد القادر الجيلانى ، والســيد أحمد البدوى ، والسيد ابراهيــم الدسوقى ، رضى الله عنهم ، وهم الأربعة الأقطاب الذى يرجع اليهم الكون والتصرف فيه ، وكل ولى يستظل بلوائهم ، كذلك قال الجهلاء »

يعلق فتحى رضوان على موقف الغاياتى بقوله :(٢٥) « وبهذه الصفحة المبكرة فى حياة على الغاياتى ، يطالعنا على حقيقته ، ثائرا صادقا ، لا تتفجر ثورته حيث تكسبه عطف العامة أو تأييدهم ، أو حيث يكون الصدام والصراع من جهة حكم ، أو سلطان مكروه ، لاسند له الا سلاحه وماله وهيلمانه ، فليس أقسى على المجددين والثوار ، من أن ينازلوا قوة تكساها الزمن وانحلال الخلق ، وفساد

---

(٢٥) « عصر ورجال » ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

العقيدة قدسية زائفة عند عامة الناس ، ففى معركة كهذه لا يضيع صوت الثائر فحسب ، بل يعتبر مارقا خارجا على الأمة ، ويستباح دمه ، دون أن يظفر بكلمة اشفاق واحدة ، فيجتمع عليه ظلم صاحب السلطة ، وظلم العامة والشعب » .

واذا كان الغاياتى من المطالبين بالاصلاح الدينى ، مستنكرا للمنكرات والبدع فى موالد أولياء الله الصالحين(٢٦) ، وعن التصرفات التى يحدثها العوام فى ضريح الامام الحسين ، وكيف أنها شرك بالله أو جهل بالدين ، فهو يحذر قائلا : « فكفى وعجبا على أمة ضحكت من أجلها الأمم .. وكفى عبادة للأولياء الى هذا الحد »(٢٧) ، فهو يعلق أيضا على تلك الخرافات التى ألصقها الجهال بالسيد البدوى ، وكيف أن الشيخ محمد عبده كان يحارب كل غريب عن الاسلام وكان له أيادى بيضاء ومآثر غراء على الدين ، وأنقذ الكثيرين من هاوية الشرك والجهل المبين : « الأمر الذى سيدوم مادام الوجود وما ارتقت المدارك والفهوم .. »(٢٨)

وفى احدى مقالات الغاياتى عن الأزهر الشريف ، يرسم لنا صورة وصفية للمكان ورواده ، لاتخلو من الجرأة والسخرية فى وقت واحد ، مما جعلنا نسردها هنا لكى يستطيع القارىء بنفسه أن يحكم على الأسلوب الصحفى فى ذلك الوقت ، يقول الغاياتى :(٢٩)

---

(٢٦) مقالة بعنوان « مولد النصف بدمياط » ، جريدة « **الجوائب المصرية** » العدد ١٤٠٠ فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ ، ص ١ .

(٢٧) مقالة بعنوان « عودة الى المسجد الحسينى » ، « **الجوائب المصرية** » العدد ١٤٢١ فى ١٦ أكتوبر ١٩٠٧ ، ص ١ .

(٢٨) مقالة بعنوان « الكلمة الاخرة فى المسجد الحسينى » ، جريدة « **الجوائب** » العدد ١٤٢٧ فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

(٢٩) العدد ١٢٩٨ فى ٢٥ مايو ١٩٠٧ ، ص ١ ، ٢ .

« يممت اليوم الجامع الأزهر وأنا بين اليأس والأمل أروم مقابلة شيخه (كان حينئذ الشيخ حسونة النواوى) وأعلق عليها ماشاءت الآمال ، ولكننى اخشى ان يكون فضيلته من بقية القرون الأولى ، الذين رأسوا هذه المشيخة وهم لايعرفون من الرئاسة الا كما يعرف الأعمى من ضوء الشمس ، ورغما عن هذه العوامل الفكرية دخلت الجامع ، أو المدرسة الدينية الكلية كما يقولون ، فرأيت كأنى انتقلت طفرة من هذا العالم الحى الراقى الى عالم آخر أقرب الى العدم من الوجود ، ورأيت أهله يتطلبون الحياة الراقية ولكنهم يسيرون فى غير سبيلها القويم ، وينهبون الليالى والايام ليدركوا غايتهم فتعز عليهم وتبتعد عنهم كلما أرادوا التقدم نحوها ··· وما ذلك الا لأنهم ينتهجون منهجا وعرا بغير دليل ولا هدى ، ويلقون بأنفسهم بين صعاب وعقاب ، لا يعلم الا الله كيف يتخلصون من وبالها ويرجعون من حيث أتوا ··· الجامع خليط من أجناس مختلفة وكلهم يقصد أمرا واحدا ويعمل على ما يبلغه اياه ، فيعود فائزا من ساقته مقادير السعادة الى الدار من بابها ، ويعود بخفى حنين من أوقعه سوء حظه فى أيدى أولئك الذين قالوا انا وجدنا آباءنا ، فتركوا القديم على قدمه ، وأساؤا الى أنفسهم والى الناس وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » ٠



(فى القشــلاق الأحمر)

ونصل الى أحدى المكائد التى دبرها « حزب الضلال والجهل والحمق » ٠٠ ضد الغاياتى ، الذى وقف ينصر الحق ، ويدافع عن دين الله الخالص ، ويؤيد الرجل الضعيف الذى قام يدعو الى الله ـ يقصد الشيخ حسن على فى دمياط ـ فاضطهد واصيب فى نفسه ورزقه ، فنصبوا للغاياتى المصائد محاولين أن يمحوا اسمه من ديوان الأحياء(٣٠) ، ونترك الحديث للغاياتى نفسه ، وهو يستعيد ذكرياته فيقول : « ٠٠ وقد كنت اذ ذاك محررا بجريدة « الجوائب المصرية » فتتبعت هذه الفتنة الشعواء ، وأخذت أكتب واستكتب غيـرى من الكتاب منتصرين للحق ، محاربين الباطل ، فكان قولى ثقيلا على المبطلين ، فدبروا لى مكيدة تريحهم من سماع صــوتى ، وتكون انتقاما منى وعقابا لى ، على حملتى التى شاركنى فيها كثيرون من مصلحى الأمة وفضلائها ، وأيدونى فى موقفى تأييدا عظيما ، أما هذه المكيدة فهى ادخالى الجيش بدعوى أننى عوفيت من القرعة العسكرية لطلب العلم ، ولم أقض المدة القانونية بعد المعافاة بدون اشتغالى بحرفة سواه ، فقدموا الى الحربية مطاعنهم وأمطروا على ادارة القرعة رسائلهم ، وأخذ التحقيق دورا يعرفــه من يعـــرف قانون القرعة ، واستبداد رجالها وغلظتهم ، فكانت النتيجة انى (سجنت)

---

(٣٠) « الجوائب المصرية » ، العدد ١٤٥٩ ـ ٣ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ،

بقشلاق العباسية (القشلاق الأحمر) اثنى عشر يوما (من ١٨ الى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٧) تحت التحقيق ، ثم اطلق سراحى لأسباب قانونية . بعد أن عرفت سوء الاقامة فى الجيش المصرى ، وأسباب النذور والفرار من وجهه . وقد نظمت قصيدة طويلة فى مدة (السجن) هذه خلاصتها »(٣١) .

يقول الغاياتى فى مطلع قصيدته هذه :

أصــبر لخطب الدهــر غير مضعضــع
واذا رمــاك بما يســوءك فاخضــع

واتــرك عداك فانهـــم ان يشمتــوا
بــك ساعة رجعــوا بما لــم ترجــع

ما الدهــــر الا ســاعتــان فهــذه
يمــــن وتلــك لبؤســه المتوقــــع

فــاذا لقيــــت مـــن الزمـــان وفاءه
يومـــا فـــلاق الغــدر غـير مـروع

ثم تراه لا يخلو من روح الدعابة ، اذ يصف نفسه كأنه بطل من أبطال الحرب، فيقول :

أصــبحت (رب السـيف والقلـم) الذى
هــزم العمائــم يـوم أضحـــت لاتعـى

***

---

(٣١) « وطنيتى » للغاياتى ، هامش ص ١٢٢ و ١٢٣ .

(فى صحف الحزب الوطنى)

اعتنق شاعر الوطنية والمجاهد القديم على الغاياتى ، مبادىء الزعيم مصطفى كامل ، منذ أن استمع الى خطبته الكبرى التى ألقاها بالاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، وصار من تلاميذه وأنصاره الأوفياء المحافظين لعهده طوال السنين(٣٢) ، وكان من الطبيعى أن يكون الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، حزب الجلاء ، هو الحزب الذى يكسب ثقة على الغاياتى الشاب ، فلم يكن ممكنا لشاب فى مثل حماسته التى أغرته بدخول معركة مخوفة ، كمعركة فتنة دمياط الدينية ، أن يجد فى أحزاب مصر فى تلك الايام ـ حزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية والحزب الوطنى ـ مايشبع ميله الثورى ، وطاقته الانفعالية الفتية ، الا حزب متطرف غاية التطرف ، ولم يكن بين الأحزاب المصرية مايفوق الحزب الوطنى فى تطرفه ، بل ان العيب الذى كان يأخذ عليه عند خصومه ، أنه يبالغ فى التطرف الى حد يعمى معه عن حقائق الحياة ، والواقع الذى لا سبيل الى الفرار منه(٣٣) .

وقد عجل مزاج الغاياتى الثورى بالنتيجة الحتمية التى يقود

---

(٣٢) عبد الرحمن الرافعى « **شعراء الوطنية** » ، ط (١) (القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٥٤) ص ٣٠٥ .

(٣٣) فتحى رضوان « **عصر ورجال** » ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣

اليها هذا المزاج ، فقد بدأ ينشر فى « اللواء » لسان حال الحزب الوطنى ، ثم فى « العلم » ، قصائد نارية لايهاب فيها جانب الاحتلال، ولايقيم وزنا لمقام الحاكم أو القضاة ، ولا يجامل فيها أصحاب المقامات الأدبية كأحمد شوقى شاعر الأمير فى ذلك الحين وقبل ان تعقد له امامة الشعر ، ولاشيوخ الأزهر وهو واحد منهم ٠

وقبل أن نستعرض معا بعضا من هذه القصائد ، يحسن لنا أن نصف لشعر الحركة الوطنية وصلته بالصحافة ، فلقد كان الزعيم الشاب مصطفى كامل بحق باعث الحركة الوطنية فى مصر ، وقد صحب هذه الحركة طائفة من الشعراء من أهمهم اسماعيل صبرى ، وحافظ ابراهيم ، وأحمد شوقى ، وعلى الغاياتى ، وأحمد محرم ، وأحمد الكاشف ، ويمكن الحكم على شعر هؤلاء بأنه كان يسير مع الصحافة جنبا لجنب ، ويجرى مثلها مع حوادث المجتمع المصرى ولايترك مناسبة من المناسبات حتى يكون له كلمة ، كما للنثر الصحفى كلمة ، وكثيرا ماتشترك الكلمات فى المعانى والأفكار ، كما اشتركا فى الغايات والأهداف ، أفليست الحركة الوطنية فى حاجة دائما الى من يلقى فى أتونها الوقود بين الحين والحين ، ليزداد الأتون لهبا ، فتزداد المشاعر قوة وسعيرا ؟(٣٤)

ولقد كان الغاياتى بحق أحد هؤلاء ، الذى يلقى فى وقود الثورة والوطنية والاصلاح الوقود الحر الشجاع الجسور ٠٠٠ فينشر فى « اللواء » تحت عنوان « ياحماة الدين ويحكموا » ، قصيدة يؤيد فيها طلبة الأزهر ، الذين أضربوا عن الدرس احتجاجا على عدم قبول بعض طلباتهم ، ويؤيد فيها استقالة الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر من منصبه ، لمالقيه الطلبة الأزهريون

---

(٣٤) عبد اللطيف حمزة « مستقبل الصحافة فى مصر » (القاهرة ، الفكر العربى ، ١٩٥٧) ص ٩١ : ١١٠ ٠

من سوء معاملة بلغت حد جلد بعضهم فى قبلة مسجد الأزهر ، بأمر من خليل حماد باشا رئيس ديوان الأوقاف ، يقول فيها(٣٥) .

ياحمــــاة النيـــل ويحكمـــو
ودعـــوا الديـــن الـــذى قبـــرا

ان بيـــــت الله محتـــــــرم
كيـــف بـــات الآن محتقــــرا

....
....

خلـــق الظــالم لهــم رجـــلا
حـــارب العـــدل ومن عـــدلا

عشـــق الجلـــد وعدتـــــه
فغـــدا الجـــلد لـــه عمـــلا

وعندما يصدر قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة ، يقول الغاياتى تحت عنوان « صوت المصرى »(٣٦) .

لئـــن قيـــدوا منـــى اليراع واوثقـــــوا
لســـانى فقلبى كيفما شـــئت ينطـــق

فـــلا يأمنـــوا تلـك القلـــوب فانهـــا
دمـــاء أراهـــا أوشـــكت تتدفـــــق

ثم ينشر تحت عنوان « الى سمو الأمير والوزارة والأمة » ،

---

(٣٥) « اللــواء » ، العدد ٢٨٨٥ ، ١٩ فبراير ١٩٠٩ ، ص ٦ .
(٣٦) « اللــواء » ، العدد ٢٩١٥ ، ٢٥ مارس ١٩٠٩ .

قصيدة من ثلاث قطع واحدة لسمو الامير ، واخرى للوزارة السابقة ، والثالثة للأمة ايدها الله بنصره ، ويتحدث الغاياتى أيضا عن الصحافة(٣٧) ، « فهى خير واسطة لحسن التفاهم بين الامة والحكومة،وهى لسان شاكر وعتاب ينطق بما يكنه فؤاد الشعب منهما فهو عند عدل الحكومة واحسانها شاكر مادح ، وعند غير ذلك معاتب لائم ، ولاريب أن سمو الأمير هو رأس الحكومة الأكبر ، وأولى من يوجه اليه أمل الامة وألمها ، وقد جاء قانون المطبوعات قاطعا لهذا اللسان ، حائلا بين الأمير وشعبه ، لذلك كان يوم ارجاع هذا القانون هو آخر العهد بيننا وبين سموه ، وقاطع حبل المودة والعتاب الذى أصبح أمره بيده الأفئدة بعد الألسنة ، على أن هذه الابيات الموجهة الى سموه هى فى الحقيقة عتاب على قطع العتاب الذى نعتبر أنه كان موجها اليه ، خاصة لأنا لانعرف لنا حاكما شرعيا سواه » .

ويقول الغاياتى فى هذه القصيدة ــ التى سنرى فيما بعد كيف حولته الى شاعر وطنى كبير :

اعباس هذا آخر العهد بيننا
فلا تخش منا بعد ذاك عتابا

ايرضيك فينا أن نكون أذلة
ننال اذا رمنا الحياة عقابا

ونيأس من آمالنا فيك كلما
قضيت علينا أن نكون غضابا

وارضيت أعداء البلاد وأهلها
واصليتنا بعد (الوفاق) عذابا

---

(٣٧) « اللواء » ، العدد ٢٩١٦ ، ٢٧ مارس ١٩٠٩ .

رويـدك ياعبـــاس لاتبلـــغ المـدى
ولا تســـتمع للظـــالمين خطـــابا

فما يبتغى (جورســـت) الا مكيـدة
تحـول اقـــلام الســـلام حـــرابا

وها قـد رمـى (حريـة القول) رمية
بسهمـــك تجنـــى للبـــلاد خرابـا

***

الا أمطـــر الله الـــوزارة نقمـــة
ولا بلغـــت مما تـــروم مرامـــا

تحـــاول أن تقضـى علينـا باثمها
ولكـن ســتلقـى دون ذاك اثـاما

وزارة خـــداع اقامـــته بيننـــا
يـــد الحاكمـين الآثميـن فقـــاما

وبين يديـه عصـــبة (بطرســـية)
تصـــوب نحو المصـــلحين سهامـــا

جنى ماجنى فى (دنشواى) وغيرهـــا
ولـم يكفـــه حتى أستحـــل حراما

فقيـــد أقـــلام الصـحافة علهـــا
اذا أبصـــرت سوءاتـه تتعـــامى

ســلام على عهـد الوزارة قبلـــه
وان كان عهـــدا لا يبيـــح سلاما

***

بنى مصر بشرى فالرجاء محقق
ومن عدم الأقوال رام فعالا

وهذا يراعى فليقيد فانما
لدى يراع لايهاب نضالا

ساطلقه يجرى كما شاء حده
ومن شاء فليقطع عليه مجالا

فلا تيأسوا فاليأس مجلبة الردى
وشدوا الى نيل الرجاء رحالا

ولا تفزعوا من حاكم أو حكومة
ترى نشر آمال العباد ضلالا

وسيروا الى ما تأملون بحكمة
ولا تحسبوا الفوز المبين محالا

فانى لمحت النصر بين صفوفكم
وأبصرت عقبى الظالمين وبالا

***

ويشرح لنا الغاياتى المقصود بسياسة الوفاق ، وهى تلك التى أتى بها المندوب السامى البريطانى فى مصر « جورست » ، بعد سياسة الخلاف التى ذهب بها اللورد « كرومر » ،وان كان يرى أنه « لاخير لنا فى سياسة ما مع الاحتلال » ، أما الحاكمون الآثمون فهم الانجليز المغتصبون ، وقد كان تعيين بطرس باشا غالى رئيسا للوزارة خلفا لمصطفى باشا فهمى ، بمحض ارادتهم ، فهم الذين اقاموه رئيسا للنظار ، وأصدروا أمرهم من «لندره» بذلك كما رواه «المقطم» حين ذاك ــ الجريدة ــ وهو لسانهم الصادق قطعه الله ،

كما يرى الغاياتى ان اليأس باعث الهلاك وجالبه ، ومن يئس فقد جهل معنى الحياة وفقد شخصية الأحياء ، ولاسبيل الى نهضة الأمة وحياتها الا بمحالفة الامل ومحاربة اليأس ، وذلك تأكيدا لاحدى مأثورات زعيم الوطنية مصطفى كامل « لامعنى للحياة مع اليأس ، ولا معنى لليأس مع الحياة » .

وترتفع الحماسة عند شاعرنا وكاتبنا الوطنى على الغاياتى ، حتى أنه تنسيه كل دواعى القانون ومقتضياته ـ كما سنرى عند الحديث عن ديوانه «وطنيتى» ـ فيوجه تحياته الى شاب هندى ثارت فيه الحمية الوطنية مما جعله يقتل أحد حكام الهند الانجليز ، فيقول(٣٨) : « دنجرا اسم طالب هندى كان بانجلترا ، وهو من حزب (الفدائيين) الأحرار من الهنود الذين يحاربون أعدائهم الانجليز بالسيف والقلم . وقد كان من أمره أنه انتهز فرصة فى حفلة بلوندرة مكنته من قتل (السير كيرزون ويللى) الذى كان من حكام الهند ، معتقدا أنه بذلك القتل يثأر لبلاده ويعيد مجد أمته . وقد قبض عليه ، وأجرى التحقيق معه فأبدى هذا الاعتقاد بكل صراحة معلنا أمله فى حياة الهند بموته وموت أمثاله فى سبيل جهادهم من أجلها ، ولما حكم عليه بالاعدام ابتسم لهذا الحكم وحياه بسلام عسكرى بكل ارتياح ، على أن هذا المذهب الفدائى العدمى الذى أفاد فى بلد فقد لايفيد فى الأخرى ، وربما أخفق سعى أصحابه فى بعض أغراضهم ، ولكنى أرى أن الفكرة الأولى المراد بها خدمة البلاد ، والانتقام من أعدائها بأنجح الطرق وأفضلها ، فكرة شريفة محترمة ، لاتتشبع بها الا نفس شجاع مقدام ، بصرف النظر عن نتائجها التى قد لايلحظ صاحبها فيها الا خيرها وأولاها ، لهذا يجدر بأمثال هذا الطالب أن يمجدوا ، لا باعتبار عملهم الأخير ،

---

(٣٨) « اللواء » ، العدد ٣٠٤٢ ، ١٩ أغسطس ١٩٠٩ .

ولكن باعتبار فكرتهم الشريفة ، وشخصيتهم الكريمة ، سواء أحسنوا بعد أم أساءوا » .

يقول الغاياتى فى تلك القصيدة بعنوان « اليه بعد الاعدام »(٣٩)

كيف أرثيك (دنجرا) بمقال
يدعى القوم أنه اجرام

كنت شهما على البلاد غيورا
لم يشتك الرضاء والاحجام

دفعتك الحياة للموت حتى
لم يرعك القضاء والاعدام

فقضيت الحياة مبتهج النف
س وأمضت قضاءها الاحكام

مت بالأمس والممات حياة
خلدتها لذكرك الايام

فسلام عليك والدمع جار
وسلام وفى القلوب ضرام

وسلام وانت حى وميت
لك يهديه النيل والاهرام

***

---

(٣٩) نشر الغاياتى أيضا فى ديوانه « وطنيتى » ص ٦٠ و ٦١ قصيدة بعنوان « الى دنجرا قبل الاعدام » يعترف فيها بأنه نظمها بعد اصدار الحكم على دنجرا بالاعدام ، ولكن ليس من أجل تمجيد الجريمة القانونية ، والا أصبحت جريمة معاقب عليها ، ولكنه رثاء شخصى يقول فيه :

هنيئا فقيد الهند نلت مدى المجد　　　وخلدك التاريخ فى مصر والهند

يافتى الهند ان النفس وجدا
كامنا تستفزه الآلام

رمت أيديه يوم موتك لكن
حال بينى وبينه الاحكام

وسيبدو مع الزمان ويدرى
غافل القوم أننا لا ننام

وعندما امتنع أعضاء الوزارة البطرسية ، عن حضور جلسات مجلس الشورى – الهيئة التشريعية لمصر آنذاك – وذلك فرارا من أسئلة نواب الشعب ومناقشاتهم ، يلقى الغاياتى بسهام نقده شعرا الى صدورهم قائلا تحت عنوان « الى وزارة مصر ٠٠ احتقار أم اعتصاب(٤٠) ؟؟ » :

يا أيها الوزراء ماذا نابكم
حتى هجرتم (صورة النواب)

ان كان سيف الحق روعكم وقد
هتك الحجاب وصال فى الحجاب

أو كان (اسماعيل) صوب سهمه
فأصاب منكم موضع الأوصاب

.....

فتزلزلت أقدامكم من هولها
وهرعتمو فزعا الى الأبواب

---

(٤٠) « اللواء » ، العدد ٣١٦٠ ، ٦ يناير ١٩١٠ ، ص ٥ .

ورضيتموا الهرب المعيب لأنه
خير من (الافلاس عند حساب)

.....

عار عليكم ان يقال (وزارة)
لم تدر ان سئلت بيان جواب

هربت فرارا من ميادين السؤا
ل وسجات ما سجلت من عاب

وهو يقصد باسماعيل هنا ، ذلك « النائب الحر عن مديرية الشرقية فى مجلس الشورى (اسماعيل باشا أباظة) » .

وتحت عنوان « نحن والاحتلال » يقول على الغاياتى(٤١) :

كفكفى يا مصر دمع الوجل
وارتقب يائيل نيل الأمل

جاوز الصبر المدى والصدر لم
يبعد فيه الوجد من محتمل

كم شقاء ! كم بلاء ! كم أذى !
أى حال بعد ذا لم يحل

كما ينشر أيضا قصيدة يختار عنوانها بدقة بالغة هى « آهة مصرى ينوح على مصر » يقول فيها(٤٢) :

آه كم أنة وكم حسرات
آه كم زفرة وكم عبرات

---

(٤١) « اللواء » ، العدد ٣١٦٤ ، ١٠ يناير ١٩١٠ ، ص ٥ .
(٤٢) « اللواء » ، العدد ٣١٧٣ ، ٢٠ يناير ١٩١٠ ، ص ٥ .

طال ليل البلاد والشعب سار
لايرى غير هذه الظلمات

ظلمات من المظالم أودت
بضياء الحياة بعد الحياة

يشتكى الشعب والقضاة خصوم
فلمن يشتكى خصام القضاة ؟

أوشك القلب أن يطير انتقاما
بيد أن الصدور ذات أناة ؟

ليس للصبر موطن فى فؤاد
أضرمته لواعج الزفرات

بين جنبى مسهد مستهام
ليس يشكو هوى فتى أو فتاة

همه «مصر» خير أرض أقلت
بعد خير الهداة شر البغاة

طلع النحس بالشقاء عليها
ودهاها الزمان بالويلات

قهرتها يد الطغاة وكانت
مصر أولى بقطع أيدى الطغاة

وسنرى أيضا ـ فيما بعد ـ أن البيتين الثالث والرابع ، سيكون لهم تاريخ فى نضالنا الوطنى ، ويتفاعل الغاياتى أيضا مع أحداث الشعب الفرنسى ، ففرنسا حينئذ تتظاهر بتأييد الكفاح المصرى ضد الاحتلال البريطانى ، فيواسى شعبها بعد أن فاض نهر (السين)

وأغرق جانبا من العاصمة باريس ، وترتبط أحداث ذلك الفيضان مع قضية مد امتياز قناة السويس ، لتصبح الى سنة ٢٠٠٨ ، بدلا من انتهائه فى سنة ١٩٦٩ ، ويأمر الخديوى بعرض هذا الموضوع على الجمعية العمومية فى يوم ٨ فبراير سنة ١٩١٠ ، وقد أثارت هذه القضية مشاعر المصريين ، وصحفهم ، وهذا هو الغاياتى ينشر أولا تحت عنوان « السين يضطرب والنيل ينتحب » قصيدة يقول فيها(٤٣) :

ما لقلب (السين) يضطرب
وأخوه (النيل) ينتحب
بلغت (باريس) غايتها
فتولى نهرها الطرب

ثم ينشر ثانية تحت عنوان « اليكم نواب الجمعية العمومية(٤٤) قصيدة فى « اللواء » يقول فيها :

أرادوا بمصر محنة وبلاء
وجاءوا بكم يستعجلون قضاء

.....

لقد بات قلب الشعب سهما مصوبا
سيمضى الى النواب أو يتناءى
وبات يراع الكاتبين مهندا
فا طلع من ليل المداد ضياء

---

(٤٣) « اللواء » ، العدد ٣١٨٥ ، ٣ فبراير ١٩١٠ ، ص ٥ .
(٤٤) « اللواء » ، العدد ٣١٩٠ ، ٨ فبراير ١٩١٠ ، ص ٥ .

.....

وها قـد أتـى « يوم القناة » معجلا
فويـل لمـن « يـوم القناة » أسـاء

والى جانب مشاركة الغاياتى فى كل الاحداث الجارية والقضايا الوطنية فانه كان يشارك فى رثاء زعماء الحركة المصرية الوطنية ، ففى الذكرى الأولى لوفاة الزعيم مصطفى كامل ، ينشر تحت عنوان « رب ذكرى هيجت شـجنا »(٤٥) هذا ملخص له : حددت ذكرى الفقيد المبرور ألم النفوس المستكن ، وهاجت بكل جانحة من الأشجان لا عجة ، لايخبو لها سعير ، ولا يودأ زفير ، وانى لأ ذكر يوم كنت بدمياط فى العـام الغـابر ــ ١٩٠٨ ــ وقد دهمنى خطب الفقيد العظيم ، فأقمت حفلات التأبين الجامعة ، وأديت من الفروض الوطنية بعض مايجب لفقيد الشرق والاسلام ، واشترك خطباء المسـاجد يوم الجمعة وعلماء الدين وجماعة الكتاب والشعراء الكرام فى قضاء هذا الحق الوطنى المقدس ٠ وكان الكل مدفوعا بشعور واحد هو حب الفقيد الممثل لمعنى الوطن والوطنية ، أما المدامع والأقلام فى مصر فقد تسابقت فى ذلك اليوم العصيب بكاء ورثاء ، ولقد جاء يوم الذكرى ، فحار دمعى بين الشؤون والجفون ، كما حار يراعى بين المداد والقرطاس ، فاذا ما شاركت اليوم الأمة فى شـعورها الشريف بكلمات من الشعر صادرة عن فؤاد محزون ، فانى لا أزال أرانى مع هذا بعيدا عما أريد من التعبير والبيان فى هذا الموقف العظيم » ٠

ونرى فى هذه القصيدة ، أنها ليست سلاحا من أسلحة الوطنية فقط ، ولكنها كانت محاولة من على الغاياتى لتجديد الشعر العربى

---

(٤٥) « اللـواء » ، العدد ٢٨٨١ ، ١٥ فبراير ١٩٠٩ ، ص ٢ ٠

ليوائم الحياة الوطنية والاجتماعية الجديدة ، فنراه يقول : « وقد اقتفيت فى قصيدتى هذه طريقة جديدة ، هى جعل القصيدة قطعا ، كل قطعة ذات روى خاص ، وبذلك تسهل على الشاعر بعض الصعاب التى يصادفها فى سبيل القافية والتزام الروى فى جميع القصيدة ، وهى طريقة وسطى بين طريقة الشعر المرسل والطريقة القديمة ، وقد اخذت أن تكون القطعة سبعة أبيات فصاعدا من بحر وضرب وروى واحد ، وبهذا يصح أن تكون كل قطعة قصيدة قائمة بذاتها ، وان شئت فهى قصائد متعددة فى قصيدة واحدة ، فعسى أن يروق ذلك لشعرائنا فيقدموا على القريض ليكون صغيرهم بعد احجامه وضعفه شاعرا مقداما قادرا ، ويتسنى لكبيرهم أن يتحدى شعراء أوروبا ويباريهم فى الشؤون الاجتماعية العصرية فيصبح له فى كل معنى قول مأثور وأثر مشكور » .

ويعلق الغاياتى فى ديوانه « وطنيتى »(٤٦) بأنه قد حادث حضرة الشاعر الكبير حافظ أفندى ابراهيم فى هذا النهج من الشعر فاستحسنه ، قبل أن يبدأ بسلوكه فى هذه القصيدة ، وقد وعده بالسير فيه ، كما حادث سعادة اسماعيل باشا صبرى فى ذلك فاستحسن أن يكون الشعر بيتين بيتين ، ووعد باتباع هذه الطريقة فى نظمه ، ولكنه لم ير لسعادته بعد ذلك الا قصيدة فى رثاء (بطرس باشا غالى) ، اتبع فيها الطريقة القديمة ونشرها على غير انتظار . كما أن حافظا لم يف بوعده ، ولا يدرى الغاياتى لماذا لاتهذب طرق الشعر العربى حتى يجارى شعراؤنا شعراء الأمم الراقية ، ولايكون لشكواهم من صعوبة الطريقة القديمة وجه حسن ، ولا لاحجامهم عن الوطنيات والاجتماعيات عذر مقبول ؟

والقصيدة خمسة مقاطع ، اخترنا منها البيتين الأولين من كل مقطع ، فيقول :

---

(٤٦) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ٤٧ : ٥١ .

عجبــا للقريض كيــف عصــانى
ولدمـــع دعوتـــه فتنــاءى

كنــت يـــوم الوفــاة أول بـــاك
نظـــم الدمـــع والقريض رثـــاء

.....

ليـــت شـعرى مـــاذا دهـــانى
جـف بالامـــس مدمعـــى ومدادى ؟

ان ذكـــرى الفقيـد بعـــد ربيـــع
جـــددت رزأه بكـــل فـــــؤاد

.....

أدهشـــتنى حياة مصـــر وأحيـــا
أملـــى نشـــؤها العظيـم الرجـــاء

عرفـت واجـب الوفـاء وأحيـــت
ذكر حـامى الحمـى شـهيد الوفـاء

.....

مصـــر انى أرى أمـــامك يومـــا
صـامت القـول ناطـــق الأفعـــال

اقتـــم الصـدر أنور القلـب يجلـو
بســناه وجـــه المنى والمعـــالى

.....

أيهـــا النيـل هل تعـود سـريعـا
ويجـود الزمـــان بالحســـنات

أيهـــا النيـــل ان قومـك يشـــكو
ن الـــى غيـــر شـــاعر بشـــكاة

* * *

ولعلنا نختم هذا الفصل بتلك المقالة التهكمية الساخرة والتى نلمح فيهـــا روح الدعابة عند الغاياتى » والمنشورة تحت عنوان « لقد زاغت أبصارهم فما أجهلهم »(٤٧) وهى صورة وصفية لمشاعره بعد أن سطا اللصوص على منزله فلم يجدوا شيئا يستحق السرقة ·· يقول الغاياتى : « تسمع عن اللصوص المتمدينين من النوادر الدالة على بعد نظرهم وقوة ذكائهم ما يحببنـا فى ذكرهـــم وان كرهناهم ، ويدعونا الى الاعجاب بهم والتصفيق لحيلهم العجيبـة المدهشة ، ومن سوء الحظ بل من حسنه أن لصوصنا ـ قاتلهم الله ـ أغبياء عمى البصائر والابصار يغرهم الخبر وان كذبهم الخبر ، وتخدعهم المظاهر فتحجب عنهم الحقيقة التى هم عنها يبحثون ·

من ذلك أن اللصوص (شرفوا دارى) ليلة أمس فى الساعة الرابعة بعد نصف الليل ، فأخذوا يعالجون فتح الباب حتى أيقظتنى حركتهم وأنا مشفق عليهم آسف على اخفاق مسعاهم ، ولم يكادون يشعرون بايقاظى المصباح وندائى ـ من الباب ـ حتى ولوا الأدبار وخرجوا الى الشارع بعد أن اجتازوا السلم وثبا وقفزا ، ولقد رأيتهم يجرون فى الطريق خائفين وجلين فتشجعت وضحكت عليهم مقهقها بأعلى صوتى داعيا لهم بالهداية الى سبيل النجاح ، ولست أدرى ماذا يمنع هؤلاء الجهلاء من مقابلتى نهارا وزيارة منزلى وتفقده من الفرش الى العرش حتى لا يتعبوا أنفسهم ليلا ويتحملوا مؤنة الصعود والهبوط والحركة والسكون والوجل الشديد » ·

ثم يدعو الغاياتى هؤلاء اللصوص الى مقابلته بدون خوف فى النهار لكى يعرض عليهم ما يمتلكه من أثاث ومتاع فى « داره الكريمة » ، أما اذا كانوا من بؤساء الأدباء يريدون سرقة قصـيدة أو قلما أو كتابا فليأتوا طارقين الباب باللطف لا بالعنف والشدة

---

(٤٧) « اللـواء » ، العدد ٢٨٩٩ ، فى ١٩٠٩/٣/٧ ·

وسوف يفتح لهم الباب ويكرم وفادتهم ويدير عليهم كوب الشاى الوحيد الذى يمتلكه عليهم بالتناوب لأنهم فى رأيـــه « لصــــوص، شرفاء » !!

* * *

وهكذا استمر على الغاياتى يكتب فى صحف الحزب الوطنى : نثرا وشعرا ، حتى وصل الى مرحلة يستطيع أن يجمع فيها قصائده وخواطره فى ديوان شعر ، فكان أن خرج علينا بكتابه : « وطنيتى »، ولم يكن قد مضى عليه فى القاهرة ثلاث سنوات ٠



(الفصـــل الثـــانى)

(وطنيتى)

* تمهيد واهداء
* كلمة حضرة محمد بك فريد
* كلمة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش
* مقدمة الغاياتى للديوان
* نماذج من الشعر
* الحكم على الديوان
* قضية وطنيتى

(تمهيد واهـــداء)

لم تنتصف سـنة ١٩١٠ ، الا وكان على الغاياتـــى المحرر بجريدة « العلم » لسان الحزب الوطنى بعد « اللواء » ، قد أصدر « وطنيتى » · وهو كما يقول على غلافه « مجموعة قصائد ومقاطيع فى موضوعات متنوعة واغراض وطنية مختلفة دعت اليها النهضة الحاضرة فى مصر »(١)

وسوف نستعير هنا نصوصا بأكملها من ذلك الديوان ، الذى تمت مصادرته من قبل الحكومة ، وأحرقت كل نسخة تقع تحـت يدها ، فلقد اصبحت صفحات ذلك الديوان ، بل وحروقه ، وثائق تاريخية مصرية عميمة ، وسوف نبدأ بذلك التمهيد ·

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحمد لله حمدا يوافى نعمه · ويكافىء مزيده · والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأصفيائه والأقربين · خصوصا خاتم النبيين · وامام المرسلين · سيدنا محمد بن عبد الله · الذى أرسله الله رحمة للعالمين · وجعله سراجا منيرا للمهتدين · وبشيرا نذيرا للناس أجمعين · فنبه الأمة من غفلتها · وأرسل بينها كتـاب الله

---

(١) نعتمد هنـــا على الطبعـــة الأولى من الديوان ، والتى صـدرت سنة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ ميلادية وقد صـدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٣٨ ، والثالثة سنة ١٩٤٧ ، كما سنفصل فيما بعد .

مصدقا لما بين يديه من الكتب فاوردها موارد الحياة · وأفاض عليها الحكمة والنور فكانت خير أمة أخرجت للناس · جاهدت فى سبيل الله حق جهاده · وقدمت النفوس والنفائس قرابين اليه تعالى · فنصرها نصرا عزيزا · وثبت أقدامها على الحق · وأظهر دينها على الدين كله · وكذلك يعتز الاسلام بقادته · والوطن بسادته » ·

« ولعمرى لو اتبعنا سنن هذا الدين الحنيف · واهتدينا بهدى القرآن الكريم لما بلغ منا الظالمون مبلغا · ولكنا أمنع شعوب الأرض جانبا وأرفعهم جنابا » ·

* * *

« ان الاسلام دين الحرية والمساواة والاخاء · وهو رسول السلام العام · وشارع الديمقراطية والدستور · وبالجملة هـو مثال الوطنية الصادقة والحكومة الصالحة » ·

« ولا ريب أن أنجح دواء لمصر وهى خير البلاد الاسلامية انما هو احياء معالم الدين الاسلامى بين ربوعها · واقامة شعائره فى ديارها · فوالذى نفسى بيده ماوجدت سـبيلا أدنى الى الحياة الخالدة · والمجد الأسمى من سبيل النبى صلى الله عليه وسلم » ·

« فمن شاء لمصر من أبنائها مقاما كريما · وخيرا عميما · فليكن رائده الاسلام وامامه القرآن · ذلك طريق الوطنية القويم · ومنهجها الآمين · ولله در الحزب الوطنى فقد فطن الى ذلك وحث فى المبدأ الخامس من مبادئه الشريفة على نشر المبادىء الدينية الصحيحة بين الأمة » ·

« فوفق اللهم قومنا إلى اتباع دينك · وسـدد خطواتنا فى سبيلك · وصلى وسلم على عبدك ورسولك النبى الامى سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه والتابعين · واهدنا الصراط المستقيم · صـراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ آمين » ·

وتستطيع أن تتحسس على نزعة على الغاياتى الدينية الاسلامية القويمة من ذلك التمهيد الصغير ، وكيف أنه يرى أن الحزب الوطنى سلم فى مبادئه بتلك العقيدة الشريفة ، فلا أمل لمصر بدون الاسلام دينا ، والقرآن دستورا ، ثم نراه بعد ذلك يقدم ديوانه الى زعيـم مصر ورئيس حزبها الوطنى محمد بك فريد ، والى الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير لسان حاله ، جريدة « العلم » ، وهذا هو النص الثانى الذى اخترناه من « وطنيتى » وكان تحت عنوان :

« أهـــداء الكتـــاب »

« اقدم بين يدى كتابى هذا كلمة أزفه بها هدية خالصة لوجه الوطن الكريم وأبنائه المخلصين · باعثا به الى ذلك الروح السابح فى فضاء الابدية · المشرف على مصر وبنيها من سماء خلوده · داعى الشعب الى النهضة فى حياته · وباعث الحياة فيه يوم مماته · شهيد الجهاد · فقيد البلاد « مصطفى كامل باشا » ·

« أمطر الله رمسه الميمون شآبيب رحمته ورضوانه · وأحله فى جواره الأمين مكانا عليا · وبعد · فأتتزل من عالم الأرواح الى عالم الأشباح · رافعا «وطنيتى» بيد الاخلاص الى امامى الوطنية بعد ذاك الامام · وناشرى لواء الحرية وعلم السلام · متممى شرعة النهضة الغابرة · وقائدى زمام الحركة الحاضرة · رئيسى الحزب الوطنى ونحرير لسان حاله حضرتى محمد بك فريد والأســـتاذ الشـــيخ عبد العزيز جاويش » ·

« ثبت الله أقدامهما فى مواقف النصر وكان لهما وليا مرشدا »

* * *

« ان هذا الكتاب الذى أهدى اليهما ان هو الا عنوان شعور نفسى تعهداه فسما · وأمداه فنما · وما أنا منهما الا » ·

(كالبحر يمطـره الســـحاب ومــاله
فضـــل عليـــه لأنـــه من مائـــه)

« فاذا ما أثنيت عليهما كان ثنائى ثناء تلميذ معترف بمالهما

عليه من حق التربية وواجب الارشاد • واذا ما أثنيـــا على ثناؤهما ثناء استاذ مرب حكيم يريد أن يبلغ بتلميذه شأوا من الفضل عاليا فلا يزال به مشجعا مرغبا حتى يصل الى غايته فائزا بمرجو آماله • ومبرور أعماله » •

« كذلك كان شأنى وشأنهما فى هذا الكتاب • وكذلك هما يربيان لمصر ابناء أوفياء • ويبذلان فى سبيلهما القويم ماشـــاءت كبار الآمال • ولا يبخلان بعزيز الحياة تفانيا فى حب الوطن وعزته • ورغبة فى حياة الأمة وسعادة البلاد » •

❋ ❋ ❋

« فلئن حييت لأ نصرن مبادىء الحزب الوطنـى نصـــرا • ولأ طلعن فى دياجى الخطوب من حياتى فجرا • ولأ جودن بالنفس يوم تدعو البلاد للأمر حرا • بل لأغيرن ان استطعت وجه التاريخ الحديث فى مصر تغييرا تخرله جبابرة الظالمين سجدا • يبكون خشية وفرقا • ويرفع الوطن المفتدى رأسه مهللا مكبرا منصورا ان شاء الله » •

« فطب نفسا أيها النيل وسر عذبا صافيا • فما كلمتى هذه كلمة فرد واحد من أبنائك واصفيائك • وانما أنا مرسلها من شعور فائض بحبك والوجد عليك • وانه لشعور له فى قلوب نشئك مكان مكين • وكم يانيل من فتى أسكته اليوم التفكير وسينطقه غـــدا العمل » •

(اذا اليوم ولــى فراقـــب غـــدا
فـــان غـــدا لناظـــره قريـــب)

« وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب • فاصبر الصبر الجميل وحسبك الله ونعم الوكيل » •

« احد جنود الحزب الوطنى »
« على الفاياتى »

(كلمة حضرة محمد بك فريد)

وهذا هو النص الثالث الذى نأخذه من ديوان « وطنيتى » للغاياتى ، وهى كلمة زعيم الحزب الوطنى محمد بك فريد ، والتى بسببها سيدخل السجن ستة أشهر مع النفاذ ـ كما سنرى فيما بعد ـ وكانت تحت هذا العنوان :

« تأثير الشـــعر فى تربية الأمم »

« الشعر من أفضل المؤثرات فى ايقاظ الأمم من سباتها وبث روح الحياة فيها · كما أنه من المشجعات على القتال وبث حـب الاقدام والمخاطرة بالنفس فى الحروب · ولذلك نجد الأشـــعار الحماسية من قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم من الأمـم المجيدة كالرومان واليونان وغيرها » ·

« وليس من ينكر أن الانشودة الفرنسية التى أنشأها الضابط الفرنسى « روجيه دى ليل » وسميت المرسيلييز(٢) كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوروبا الذين تألبوا لاخماد روح الحرية فى مبدأ ظهورها » ·

« لذلك كتب الكاتبون منا كثيرا فى ضرورة وضع القصائد

---

(٢) يقول الغاياتى فى « وطنيتى » ص ٦ ، أن خلاصـة تاريخ المرسلييز مذكورة فى مقدمته بعد .

والأغانى الوطنية ليحفظها الصغار ويترنموا بها فى أوقات فراغهم ·
ولينشروها فى ساعات لعبهم بدل هذه الأغانى والاناشيد التى
يرددها أطفال الأزقة ، خصوصا فى ليالى شهر رمضان المبارك ، كما
كتبوا فى لزوم تغيير الأغانى التى تنشر فى الأفراح وكلها دائرة
حول نقطة واحدة هى الغرام ووصف المحبوب بأوصاف ما أنزل الله
بها من سلطان » ·

***

« لقد كان من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب
أو الشرق اماتة الشعر الحماسى ، وحمل الشعراء بالعطايا والمنح
على وضع قصائد المدح البارد والاطراء الفارغ فى الملوك والأمراء
والوزراء ، وابتعادهم عن كل مايربى النفوس ويغرس فيها حب
الحرية والاستقلال ، كما كان من نتائج هذا الاستبداد خلو خطب
المساجد من كل فائدة تعود على المستمع حتى أصبحت كلها تدور
حول موضوع التزهيد فى الدنيا والحض على الكسل وانتظار
الرزق بلا سعى ولا عمل » ·

« تنبهت لذلك الأمم المغلوب على أمرها . فجعلت من أول
مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى
للطبقة المتعلمة ، وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم
من العمال غير المتعلمين ، فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح
الوطنية بين جميع الطبقات · ويسرنى أن هذه النهضة المباركة سرت
فى بلادنا فترك أغلب الشعراء نظم قصائد المديح للامراء والحكام ،
وصرفوا هممهم واستعملوا مواهبهم فى وضع الأشعار الوطنية
وارسالها فى وصف الشؤون السياسية التى تشغل الرأى العام ،
وقد لاحت « وطنيتى » فى طليعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة » ·

« ومما يزيد سرورى أن شعراء الأرياف وضعوا عدة

أناشيد وأغان فى مسألة دنشواى ومانشأ عنهـا ، وفى المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية(٣) · وفى موضوع قناة السويس ورفض الجمعية العمومية لمشروعها · وأخذوا ينشدونها فى سمرهم وأفراحهم على الاتهم الموسيقية البسيطة · وهى حركة مباركة ان شاء الله تدل على أن مجهودات الوطنيين قد أثمرت ووصل تأثيرها الى أعماق القلوب فى جميع طبقات الأمة ، وتبشر باقتراب زمن الخلاص من الاحتلال ومن سلطة الفرد باذن الله » ·

« فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معلومة ومواسم معدودة · وأن يستعملوا هذه المواهب

---

(٣) وجدنا أمثلة لذلك فعلاً فى صحف تلك الفترة ، وهـذا موال عن الزعيم مصطفى كامل باشا كان يردد فى أرياف مديرية الغربية ، نشرته جريدة « **اللـواء المصـور** » والتى كان يصـدرها حسين الخادم على المبـادىء العشرة لرئيس الحزب الوطنى ، فى العدد ١٣ ، الصـادر يوم ٢٨ مايو ١٩٠٩ ، ص ٣ : « ويش بعد حكم المحـافظ والشاويش والباش ـ غلايين واسجه كرومر محربه للباش ـ راحم على دنشـواى لم خلم نفر ولاخوه ـ اللى أنشنأ اشنأ واللى انجلد جلدوه ـ يوم شنأ زهران كانت صعبا وافاته ـ كان له أب شـديد يوم الشنأ لم فاته ـ ظهر لنا يا ناس لنصر الدين مصطفى باشا كامل ـ وآل يا عم حسين البرنس أنـا أروح بلاد لنجليز وتكلم كلام كامل ـ آل له روح ماتخفشى غير السياسـبة وكلام الحق متقولشى ـ سافر السبع مستناش عزم كبار لنجليز وخلاشى ـ آل هاتو القضـايا وهاتوا القوانين يا حـكام ـ علشـان نفر مات خربتو البر وبلادنا ـ جبتم كرومر وزير جاحد لبلادنا ـ آلوا طلبك ايه يا مصطفى باشا بالعجل فيدنا ـ طلب مكافئة لاهـل الدم صرفوا له ـ طلب طلوع المساجين من السجن كتبوا له ـ طلب طلوع كرومر من البر ختموا له ـ ارتد فرحان واحد وثلاثين يوم والبشـوات يباركو له ـ رجع سأوه مات يا ميت ندامه عليك يا مصطفى باشا » ·

الربانية فى خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها فى خدمة الأغنياء . وتمليق الامراء . والتقرب من الوزراء . فالحكام زائلون والأمة باقية . والسلام على من سمع ووعى . ووفق لخدمة بلاده وسعى . فان سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزء الأوفى » .

(الامضاء)(٤)

« محمد فريد »

---

(٤) يقول الفاياتى فى « وطنيتى » ص ٨ ، ان هذا التوقيع قد آخذ بالزنكوغراف عن خط يد فريد بك نفسه ، وكذلك توقيع الأستاذ الشيخ عبد العزيز المذيلة به كلمته التالية .

(كلمة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش)

أما تقريظ الشيخ جاويش رئيس تحرير لسان حال الحزب الوطنى « العلم » لكتاب الغاياتى « وطنيتى » ، والذى ستقرأ نصه حالا ، فقد أدى به الى دخول السجن أيضا كالزعيم محمد فريد ، ولكن لمدة ثلاثة أشهر فقط « حبسا بسيطا » كما سنفصل فيما بعد . وهذه هى كلمته والتى كانت تحت هذا العنوان :

« الشـــعر والشاعر »

« قد يتوهم بعض المتشاعرين أن الشعر هو تلك الجمل الموزونة ذات الروى الملتزم ، فتراهم أجرأ مايكونون فى تقصيد القصـــائد والانتساب الى دعوى الشعر معتمدين على جهل كثيرين بأسرار الشعر ومزاياه وشرائط صحته وكماله عالمين أن الأدب قليل أهله الذين يميزون بين الخبيث والطيب ويدركون دقائق الفروق التى بين الأبيات العامرة والأبيات الغامرة · لاسيما فى هذا الوقت الذى ضعفت فيه ملكة اللغة العربية · اذ طرأ على العرب من العجمة المتفشية ما أصبح معه الذوق بعيدا عن السلامة · وتأليف العبارات أحوج مايكون الى الاستقامة » ·

« اذا شئت أن تعرف جيد الشعر فدع عنك تفـاعيل البحور والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر · فان أحسن الشعر ما يملك قلبك حتى تفرغ منه · كما أن

أجمل الصور مايملك بصرك حتى يغيب عنه · اذا شئت أن تعرف الفرق بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع فان شعرت وقت سماعه كأن معانيه أرواح تناجيك · وألفاظه تكاد تخرج من فيك · فذلك هو المطبوع · وان ذهبت أغراضه بقلبك مذاهب شتى ولم يجمل فى السمع ديباجته وتنسيقه · فذلك المصنوع الذى لايرد عكر معينه الا متشاعر جاهل أو شاعر مأجور · وكيف يجمل الشعر ويلذ استماعه اذا خرج من قلب لا يتأثر ونفس لاتنفعل ؟ وهل الشعر الا مرآة يرى فيها آثار الانفعالات النفسية التى تقوم بنفس واضعه ؟ »

« قال عبد الملك(٥) لأرطاة بن سهبة كيف أنت الآن فى شعرك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أطرب · ولا أغضب · ولا أرغب · ولا أرهب · ومايكون الشعر الا من نتائج هذه الاربع » ·

« ليس الشعران يمعن الشاعر فيما وراء الحقائق من الصور الوهمية · أو أن يسلك سبيل الاغراق فى المدح والذم · فانما الشعر تصوير مايدور بالذهن من الصور · فكما أن أمهر المصورين ليس ذلك الذى يؤلف بين الأجزاء المتنافرة ، أو الذى يرسم على الورق مالا يطابق شيئا من حقائق الأشياء الخارجية ، بل هو ذلك

---

(٥) بشرح لنا الغاياتى فى ديوانه صفحة ١٠ ، من هو عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بنى أمية ، ولد سنة ٢٦ ومات سنة ٨٦ هجرية ، أما أرطاة بن سهبة فهو شاعر فصيح شريف فى قومه صادق كريم ، وهو معدود فى طبقات الشعراء الاسلاميين فى دولة بنى أمية : لم يسبقها ولم يتأخر عنها ، وله مع عبد الملك مواقف مذكورة ؛ وهو القائل :

رأيت المرأ تأكله الليالى ... كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغى المنية حين تأتى ... على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم انها ستكر حتى ... توفى نذرها بأبى الوليد

وكان يكنى بأبى الوليد ، رحمه الله تعالى .

الذى يعمد الى أحد الكائنات فيصوره ، مجيدا (تظليله) حتى يخيل الى رائيه كأنا ينظر الى ذلك الكائن الثابت في الخارج · كذلــك أمهر الشعراء من يأتى الى الحكم والقضايا الصادقة فيبرزها الى السامع بعبارات تصبى الألباب اليها وتدفع المستمع الى العمل بمقتضياتها » ·

« وماذا على الشاعر بعد أن يوفى شعره قسطه من الصدق وثاقب الرأى سوى ان يجيد تأليف العبارات ، ويحكم مطابقة المعانى بعضها ببعض ، فانما الشعر كالتوقيع واللحن ، فكما ان اللحن لايخف على السمع الا اذا تناسبت الأجزاء التى يأتلف منها · كذلك الشعر اذا لم تأتلف عباراته ولم تتناسب معانيه كان صمما للآذان ، وغمة لنفس الانسان » ·

« ومن شاء أن يرى نموذجا من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعنى وألف بين أحكام التأليف وصدق العبارة ، فليقرأ شيئا من « وطنيتى » ، ومن شاء فليسأل عن آثارهــا تلك الهمـم الناهضة · والنفوس المتوقدة · والعزائم الصــادقة · فانها من غراسها وجميل ثمارها » ·

(الامضــاء)

« عبد العزيز جاويش »

(مقدمة الغاياتى للديوان)

هذا هو النص الخامس الذى نأخذه بحذافيره من « وطنيتى » لعلى الغاياتى ، وهى المقدمة التى كتبها فى احدى وعشرين صفحة من الديوان ، تاركين لنا حرية التعليق عليها بعد ذلك ، وسوف نثبتها هنا مع هوامشها أيضا ، لما فيها من معلومات تاريخية وبلاغية :

« لست بقائل فى نعت الشعر وتأثيره فى النفوس وتربية الأمم بأكثر مما قال القائلون ‧ وكتب الكاتبون ‧ وحسبى ماحليت به صدر (وطنيتى) من جمل مأثورة ، ودرر منثورة ‧ سطرها يراع قائدى الحركة الوطنية فى مصر ‧ وخير معبرين عن الشعور وتأثير الشعر فى العواطف ونهضة الشعوب ‧ ولكنى أرى مصر وهى الغنية بشعرائها الوطنيين فى هذه الايام تكاد تكون أفقر أمة فى هذا الصدد وأعوز الشعوب جميعا الى الشعر والشعراء » ‧

« أجل ان مصر لشديدة الحاجة الى شعراء يبكون اذا بكت ‧ ويبسمون اذا ابتسمت ‧ وهم فيما بين ذلك ينفثون فى النفوس من روحهم ويبثون فى الأمة من شعورهم ‧ حتى يشربوا القلوب حب البلاد ‧ ويستمطروا مدامع الوجد عليها ‧ والكلف بها ‧ هنالك تنهض الهمم ‧ وتتوقد العزائم ، وتعمل النفوس الحرة الأبية على كسر أغلال الظلم وسحق أصفاد الاستبداد ‧ هنالك تتربى فى النشء روح الحمية الوطنية ‧ والغيرة القومية ‧ فما هى الاعشية أوضحاها

حتى يبلغ الشعب بقوة شعوره وارادة شعرائه مستوى الشعوب الحية ويدرك شأو الأمم الحرة · وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ·

« ان الشعراء فى كل أمة هم عنوان حياتها ومقياس رقيها · فمتى انصرفوا عن مواقف الجد ، واستحبوا الغى على الرشـد ، وأنساهم رنين الكؤوس · أنين النفوس · وشجى الألحان · شقى الأوطان · وسماحة الجميل · سماجة (الدخيل) · وهوى الفتاة · هدى الحياة · ومأمل العطاء مكمن البلاء · ومربع الأمراء · موقع الأرزاء · والمدح والهجاء · والنصح والوفاء ، فقد حقت عليهم كلمة الخزى والعار · وكانوا لبلادهم ويلا وحربا » ·

« ومتى صرفوا مواهبهم فى خدمة الأمة وتخليد مجدهـــا ، أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعدها · كذلك كان شأن الشعراء فى كل جيل » ·

« فليت شعرى أين شعراء مصر ؟ لقد كثر عددهم وقل مددهم · انه ليوشك ألا يكون منهم عند ذكرى الوطن الأسيف من يقف موقف الدافع المهاجم يقتحم الصعاب ويهزم الخطوب · يحارب الآلام ويصافح الآمال · يهز العرش اذا ماشاء · ويدك السطور اذا ما أراد · يبنى لقومه بسنان قلمه مجدا باقيا · وينشر عنهم فى الملأ ذكرا عاطرا » ·

« فأين شعراء مصر ؟ بل أين الشعراء فى مصر ؟ ألا انهم عند تلك الذكرى لقليل ، ولذى ذلك الموقف العظيم لأقل » ·

« ليت شعرى هل يستطيع أفراد من الشـــعراء لا يجاوزون أصابع اليد عدا ولا يذكرون البلاد الا قليلا أن ينهضوا بالأمة النهضة المأمولة ويبلغوا بها الدرجة المرجوة ؟؟ »

« اليس من العار ان يقتل أكثر شعرائنا على الشهرة اقتتالا ثم ننظر فقلما نرى لهم فى مواقف الوطنية مجالا ولا مقالا ؟ أليس من المخجل أن نقيم المظاهرات وننشىء الجمعيات ونسير فى سبل الحرية والاستقلال سيرا حثيثا ثم لانعرف لنا نشيدا وطنيا يذكره الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الأمة جماعات ووحدانا ؟ بماذا نعتذر وبماذا نجيب وبيننا الشـــعراء القادرون والكتاب المفكرون ؟ اننى لا أعتب بهذا القول على جماعة الأدعياء الذين يريدون أن يصعدوا الى السماء بغير مرقاة والذين جعلوا ديدنهم الطعن والتشهير بكل ناظم وناثر ولايكادون يذكرون سواهم بخير · فماهم بأمر ذى بال فأعتب عليهم ولو كان لهم بين الأمـــة حسنة تذكر لكان لهم حظ من هذا العتاب · وأنما أنا عاتب على خيرة الشعراء وصفوة الكتاب الذين يعلمون حاجة الشـــعب الى التشجيع بمأثور القول من القصائد والمقاطيع الوطنية والأغانى والأناشيد الحماسية · ثم لايؤدون هذا الواجب الوطنى المقدس · ويمحون هذه النكتة السوداء من صحيفة النهضة الحاضرة المرجوة »

« أجل اننى أعتب عليهم كثيرا وأرجو أن يكونوا فى طليعـــة المجاهدين الاحرار من اخوانهم وأبناء شعبهم الوطنيين · وماذلك عليهم بعزيز » ·

***

« أما بعد · فهذه مجموعة صغيرة أتيت فيها على مجمل مانظمته فى الحوادث السياسية الخطيرة منذ أوائل سنة ١٩٠٨ الى أوائل سنة ١٩١٠ ، متتبعا فى قولى سير الحركة الوطنية ، مشرفا على مشاهد النهضة الحاضرة فى هذا المدة من سماء الحزب الوطنى فى (اللواء) ثم فى (العلم) ، ولا ريب انها أدنى سماء يشرف منها المؤرخ السياسى والكاتب الوطنى على ادوار الحركة الوطنية وأطوارها فى مصر » ·

« لهذا أرانى فيما نظمت ناطقا فى اكثر المواضع بلسان الرأى العام · ممثلا شعور الامة أقرب تمثيل · بيد أنى قد يدفعنى شعورى الخـــاص فى بعض المواقف الى الجهـــر بمالا يحب الجهـــر به بعض الناس · وذلك لأننى لا أستطيع حكم عواطفى كثيرا فى مثل هذه الشؤون المثيرة للوجد الكمين · المعلنة للسر المكنون · وأرى مما لاطاقة للنفس على احتماله فى هذه الحال اضـــمار الحقائق الظاهرة · ومغالطة الحس ومكابرة الواقع · والباس المسائـل ثوب الرياء والنفاق · لذلك أســـير فى بعض أقوالى بتأثير هذا الشعور · ولا أبالى وقد أرضيت الوجدان وأبديت الحق الصراح بما عساه بعد ذلك أن يكون · هذا خلقى فى كثير مما نظمت · وسيكون خلقى فى جميع ما سأنظم ان شاء الله » ·

« أما منزلتى فى الشعر والحكم على باعتبارى شاعرا ، فهذا مالا عناية لى به ولا اهتمام لى بشأنه · وما الامر فيه الا بيد الأجيال المقبلة وحدها ان شاءت كنت لديها من المحسنين · وان لم تشأ فلا حرج عليها · على أننى لا أعنى فى قولى الا بابداء شعورى الخاص وشعور الرأى العام وابراز ماتدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها فى صورة ترضاها عامة الشعب ولا تأباهـا خاصته · ولست بمدع أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال وأحلق فى أجواء المجاز كما يفعل غالب الشعراء ، الا أننى أضرب عن ذلك صفحا وأعمد الى الحقائق السهلة ، والمعانى المألوفة فأصوغها فى صور مناسبة من القول · كلا فما أنا بقائل ذلك ولا مدعيه لنفسى وانما أنا مرسل من الشعر بين قومى مايطمئن اليه قلبى · وتشعر به نفسى · ثم يكون للحوادث راويا · وللتاريخ واعيا · وللعامة منبها · وللخاصة مذكرا · هذا ما أقوله عن نفسى · ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » ·

« ولقد أضلنى ما أضل الشعراء من قبل فطرقت فى بـــدء

محاولتى النظم موضوعات لاخير فيها للبلاد ولا ذكر للأمة والوطن ، وقد جئت بشىء منها فى ذيل هذا الكتاب ليكون مثالا رادعا يرى فيه القارىء صورا تقريبية تمثل طبائع أكثر الشعراء . وتقدر آمالهم فى الحياة . وتكشف النقاب عما تسوله لهم أنفسهم . وتوحيه اليهم شياطينهم . أما عذرى فى ذلك ، ان حاولت الاعتذار ، فذاك أننى كنت فى معزل من الحركة الوطنية لا أعرف من أمرها شيئا . وحسبى انى ولدت فى مدينة (دمياط) ونشأت فيها بين قوم كرام غير انهم (محافظون) يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون ويميتون . ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الاطلاق . ولقد بقيت فيهم حتى ناهزت الثانية والعشرين من العمر ثم غادرتهم آسفا مسرورا ميمما القاهرة (يوم الخميس ٤ أبريل سنة ١٩٠٧) على انهم لا يزالون الا قليلا — من نشئهم المأمول — أبعد العباد عن ذكر البلاد » .

« هذا عذرى . وهذه خلاصة قولى عن نفسى . وتلك (وطنيتى) اقدمها الى امتى .. وهى باكورة أقوالى وفاتحة كتبى . والله كفيل بتحقيق املى فى مستقبل عملى . وهو ولى العاملين . ونصير المخلصين » .

* * *

« بقى على أن أذكر فى ختام هذه المقدمة شيئا عن (المرسلييز) وهو النشيد الفرنسى الشهير الذى أتى على ذكره رئيس الحزب الوطنى فى كلمته . ولقد رأيت أن أتابع ذلك بذكر أنشودتين جميلتين ومنظومتين وطنيتين ، أولاهما : تلقن لصغار الأطفال بفرنسا . وثانيتهما : تهيج الشجون وتجرى الشؤون . وتحبب الى النفوس الجهاد حتى الممات فى سبيل الوطن المفدى . وهى لرجل فرنسا وشاعرها الكبير (فيكتور هوجو) ليكون ذلك نموذجا يراه شعراؤنا

فينسجون على منواله ، ويربون الآمة من أطفالها الى كهولها على حب الوطن وتمجيد الوطنيين بجميل أشعارهم وبديع أناشيدهم ·
وقد توخيت فى ذلك نشر النص الفرنسى حرصا على سمو معناه وبلاغة مبناه ، مستعينا على فهم مالم أفهم من مفـرداته وتأليف عباراته ببعض اخوانى المتشبعين بمعرفـة هذه اللغـــة الراقية · الواردين مناهلها العذبة الصافية · جعلهم الله ذخرا للوطن وعونا للوطنيين » ·

(المرسليز – La Marseillaise)

« هبت الأمة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الميلاد ونهضت نهضة الليث القوى عاملة على الخلاص من قبضة الحكم الملوكى الظالم الذى سامها الخسف والهوان · وأثقل كاهلهـــا بالضرائب والمغارم · ساعية دائبة وراء الحرية والاخاء والمساواة »

« وكان ملك فرنسا فى ذلك الحين (لويس السادس عشر) مستسلما لارادة حاشيته الظالمة · وزوجته المستبدة المسرفة (مارى انطونيت) تلك المرأة النمساوية بنت ملك النمسا (فرنسوا الأول) التى ولدت فى (فيينا) وتزوجها ذلك الملك الضعيف ، فأصبحت ملكة لفرنسا · وقد كانت حمقاء عدوة للاصلاح والانصاف · وكانت تحتقر الشعب الفرنسى الكريم وتعامله معاملة يأباها الحر وتعافها النفس الشريفة ، وهى التى دفعت زوجها الملك الى مصادرة الأحرار والوقوف فى وجوههم ، فلما اشتدت الأزمة وحمى وطيس(٦) الثورة كتبت الى أبيها مستنجدة مستجيرة ، فلم تغنها تلك الجيوش الأجنبية والجنود الجرارة المنتصرة للملوكية ، بل كان الغلب للأمة والنصر العزيز لفرنسا الحرة · وقد سجنت هذه المرأة الطاغية ثم لقيت حتفها بآلة الاعدام – المقصلة – فى (١٦ أكتوبر ســـنة ١٧٩٣)

---

(٦) الوطيس : التنور ، وحمى وطيس هذا الأمر أى اشتد واشتعلت نــاره ·

ولحقت بزوجها الذى ناله مانالها ، ودالت دولة البغى والطغيان · ولكذلك عاقبة الظالمين » ·

« وليتها وهى أجنبية غريبة عن العائلة المالكة كانت تحترم ارادة الشعب الذى يحترم ارادتها ويقى حكومتها بأمواله ورجاله من حادثات الليالى وطوارق الخطوب ، ولولاه لما استقرت للحكومة قدم فى الوجود · ولما تجلت ملكة أو اعتز ملك بأبهة الملك وعظمة الدولة · بل لولا الشعب لثلت العروش · وانتزعت التيجان من الرؤوس · وحل بالحكومة الويل والهوان » ·

« لم تتدبر هذه الملكة الظالمة فى أمرها وسارت فى الآمة سيرة الملوك المطلقين · والحكام المستبدين · فقابلت احسان الرعية بالكفران · مستعزة بسلطان الملك · مضللة بشياطين الملوك » ·

« وكانت ترى أنها مالكة الرقاب ومقدرة الأرزاق ـ كما يرى بعض الحكام فى هذه العصور ـ فاستحقت غضب الشعب · وياويل الحكومة من غضب الشعب · وكانت عاقبة أمرها الهلاك والدمار » ·

« قامت الأمة قومة واحدة تدفع العار عن نفسها وتشيد للوطن مجدا باذخا وعزا منيعا · فأرادت دول الظلم وأنصار التقهقر مصادرة الأمة ومحاربتها · وضربت جيوش النمسا على شاطىء نهر (الرين) أمام تلك المدينة العظيمة العريقة فى فرنسيتها ومجدها التليد (ستراسبورج)(٧) وكان بهذه المدينة منذ حدثت مسألة الحرب حركة وطنية استمرت نحو ستة أشهر فكانت

---

(٧) عاصمة الألزاس التى استولت عليها المانيا فى حرب السبعين ، وانتزعتها من يد فرنسا وهى قلعة محصنة على نهر الراين ، وبها ساعة فلكية كبيرة .

جماعات المتطوعين ، وفرق الشباب المشتعلين غيرة ووطنية ، تفد اليها من باب ، فى حين أن جماعات المحاربين كانوا يذهبون للقتال والنزال من باب آخر • وكما أن هذه المدينة كانت ساحة للحرب ، فقد كانت مع ذلك مسرحا مائجا بالشبيبة وأنواع الابتهاج وجميل المناظر • وكانت تختلط ضجة آلات الحفـــلات والاعياد • وكان الأصدقاء يتلاقون ويتعانقون قائلا بعضهم لبعض : (الوداع • الوداع) وكانت الأخوات تبكى والأمهات تصلى وتبتهل • والآباء يقولون للأبناء (اذهبوا وموتوا لأجل فرنسا) •

« قال (اسكندر دوماس) الذى ننقل أكثر ماهنـــا عن روايته (الكونتس دى شارنى) : كل هذا كان تحت دقات الأجراس ورعود المدافع • وكأن هاتين الآلتين كانتا تكلمان الله تعـــالى مســـتمطرة احداهما رحمته • راجية الأخرى عدله » •

« وفى بعض المرات العظيمة استدعى عمدة هذه المدينة الشباب المتطوعين الشجعان لوليمة أقامها لهم ليؤاخى بينهم وبين ضباط الحامية • وكانت ابنتا العمدة وجماعة من رفيقاتهما الفتيات جالسات فى صدر هذه المائدة ليزدنها زينة ويضاعفنها شعورا وشرفا • وكان بين الحاضرين شاب له شأن عظيم وهو ضابط فى الهندسة الحربية مقيم فى حامية (ستراسبورج) لا يتجاوز عمره عشرين عامـــا • وكان شاعرا مؤثرا وموسيقيا مبدعا • وكان صوته الرنان من أعظم الأصوات التى ترتفع بالحماسة والوطنية ، ذلك هو (روجيه دى ليل ــ Rouget de L'isle)

« ولقد كانت هذه الحفلة أعرق فى الفرنسية وأكثر فى الوطنية من كل حفلة سواها • وكانت تلك المائدة مضاءة بأسطع شمس بزغت فى شهر (يونيو سنة ١٧٩٢) ولم يكن أحد فى الحاضرين يذكر نفسه

بل الكل مشغول بذكر فرنسا والموت فى سبيلها ٠ وماكان هذا الموت الا موتا جميلا مبتسما » ٠

« وقد أرادوا أن يتغنوا بأنشودة جديدة حماسية وطنية ، بدل الأنشودة الفرنسية القديمة التى كانت للهياج والغضب والحرب الأهلية » ٠

« أرادوا أن تكون أنشودتهم الجديدة وطنية أخوية ، مهددة للأجنبى ، منذرة للعدو ، يترامى سامعها عند ذكرها بين المدافع والقنابل « والقواضب » غير هياب ولا وجل ، فهب من بينهم ذلك الضابط العظيم (روجيه دى ليل) قائلا : (أنا لها ٠ أنا لها) ثم اندفع خارجا وبينما أوشك القوم أن يقلقوا لغيابه من بينهم عـاد اليهم بعد نصف ساعة منتصرا على الشعر والموسيقى ، مرتميا شعره على ظهره ، متناثرا عرق جبينه وهو يلهث(٨) من المعركة التى اصطلى نارها بين الاختين الجليلتين : الشعر والموسيقى ، حتى انتصر عليهما ، فقال لهم اصغوا الى جميعا ٠ وكان على ثقة من شاعريته وتأثير شعره ، فلما سمعوا صوته توجهت أنظارهم اليـه ووقفوا له اجلالا ٠ وكان البعض آخذا قدحـــه فى يده والبعض ممسكا بيده يدا أخرى مرتجفة ٠ فابتدأ (روجيه) بالمقطوعة الأولى وما كاد ينتهى من توقيعها حتى أخذت القوم هزة الوطنية ، ودوى المكان بصيحاتهم ٠ ولكن أصواتا أخـــرى دعتهم الى الاصـغاء فأصغوا ، فاستمر (روجيه) فى لحنه وشعره مرسلا من القلب الى القلب رسول الوجد والأنين حتى وصل الى المقطوعة الأخيرة فأنشدها بصوت عال ونغمة مهيجة بعد أن اضطر الى أن يطلب من سامعيه الذين لم يتمالكوا أنفسهم من الانفعال والهياج أن يسمعوا له ٠ وقد كان فى هذا الصوت مهددا متوعدا ٠ فصاح الكل صيحة التأمين

---

(٨) لهث الرجل : اعيا وتعب ، وبابه قطع ٠

والمبايعة على نصرة الوطن · ودفع الآباء أبناءهم الذين يستطيعون المشى الى الأمام ورفعوا الأمهات صغار أولادهن الذين لم يبلغوا درجة اخوتهم على أذرعهن ليكونوا جميعا فداء الوطن المقدس · فشعر (روجيه) حينئذ بأنه تنقصه مقطوعة تكون غناء للاطفال ولحنا جليلا لرجال المستقبل · وكان القوم يرددون بين المقطوعة والأخرى ، مقطوعة صغيرة خاصـــة بالترديد والترجيع ، فتركهم (روجيه) يرددون نغماته الرنانة ، وأسند رأسه الى يده ، ولم تحـــل هذه الضجة وأصوات التحبيذ بينه وبين ما أراد ، فصنع المقطوعة التى رامها وأنشدها بين عبرات الأمهات وزفراتهن ، وصـــيحات الاباء واعجابهم ، فلم يسمع عند ذاك غير أصوات الأطفال الصغار التى كانت ترد عليه برقتها وصفائها بين الأنات والصيحات ، ولما أفاق القوم قال بعضهم : (ألا نعفو عن أولئك الذين ضلوا سواء السبيل منا ؟) فقال (روجيه) : هذا ما لا أنساه · وأنشد مقطوعة مقدسة تمثل روح فرنسا الطاهرة وانسانيتها وعظمتها وجلالها ، قال فيها :

« أيها الفرنسيون المحاربون الأقوياء · حولوا طعناتكم · وتجاوزوا عن هؤلاء الضحايا المساكين الذين تسلحوا ضدكم بالحسرة والندم » وكان التصفيق يقاطعه والأصوات من كل جانب مرددة كلمة العفو والصفح عن المستعبدين المدفوعين مكرهين ضد أمتهم » ·

« ثم أنشد مقطوعة أخرى ضج لها المكان ، واشتعلت القلوب نارا ضد الظالمين والذين شاركوهم فى الجناية طائعين مختارين من أبناء فرنسا الخائنين ، أولئك الذين فقدوا الرحمة ومزقوا ثـدى أمهم البارة · وبعد أن ردوا عليه قال :ـ الآن يجب أن تركعوا جميعا كيفما كنتم ـ فركعوا أجمعين ، وبقى وحده واقفا واحدى قدميه على كرسى أحدهم كأنه يضعها على الدرجة الأولى من هيكل الحرية والمجد ، وقد رفع ذراعيه نحو السماء ، وأنشد المقطوعة الأخيرة ، فدوى المكان بصوت واحد قائل : (هلموا فقد نجت فرنسا) وارتفعت

كلمات اللعن والغضب على الظلم والاستبداد ، وعلى أثر ذلك أسكر القوم باعث السرور ، وأخذهم جنون الفرح ، فارتمى كل واحد فى أحضان جاره · وأخذت الفتيات الأزاهير بملء يديها ، ونظمتها طاقات جعلت منها أكاليل عند قدمى (روجيه) وكتب الله النصر والظفر لهؤلاء القوم المجاهدين الأحرار ، وكان هذا النشيد خير باعث على الجهاد ، ومشجع على مواقف القتال والانتصار · وكما أنه عمل لحرب جيش (الرين) وعرف باسم (نشيد حرب جيش الرين) فقد كان أيضا نشيد اخاء وائتلاف واتحاد ، ولما كان أهل مرسيليا Marseillais هم أول من حمله الى باريس ، ولقنوه لأهلها، فقد أخذ اسمهم وانتشر فى جميع أنحاء فرنسا باسم (المرسلييز) ·

« أما القطعة الأولى من هذا النشيد الوطنى المؤثر فهذا نصها بالفرنسية ، وهذا شعاع من ضوء معناها الساطع » : ـ

« هلموا ياأبناء الوطن فقد لاح يوم المجد »

« ان أعداءكم رفعوا ضدكم علم الظلم الدامى · فهل تسمعون أصوات هذه الجنود المتوحشة بين أحيائنا ؟ »

« لقد أصبحوا بين ذراعينا يذبحون أولادنا ورفاقنا »

« أما رد القوم على كل قطعة فهذا نصه أيضا بالفرنسية » ··

« أى · السلاح السلاح يابنى الوطن · كونوا صفوفكم ولنسر الى الامام · الى الامام · وليرو دمهم الفاسد أخاديد[٩] أرضنا » ·

« وهذا نص المقطوعة الأخيرة التى أنشدها (روجيه) والقوم راكعون » : ـ

« أى · ياحب الوطن المقدس · أشدد أزرنا · وقو سواعدنا

---

(٩) الأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق المستطيل فى الأرض .

المنتقمة · أيتها الحرية · أيتها الحرية العزيزة حاربى مع المدافعين عنك · وليسارع النصر تحت أعلامنا الى اجابة ندائك العالى وصوتك القوى · ولينظر أعداؤنا المندحرون انتصارك ومجدنا العظيم »

« فليت شعرى · أى شعب يسير فيه مثل هذا النشيد · ويأخذ بفؤاده هذا التأثر وحب الحرية · ثم لايكون خير الشعوب وأرقاها ؟ وأية أمة ينالها مانال فرنسا فى هذا العهد من الظلم والارهاق ، ثم لاتكون عقباها السعادة الدائمة · والحياة الخالدة ؟ » ·

« ألا انه مما لاريب فيه أن الحكومة كلما انتهجت منهج الجور وسلكت سبل العسف فتحت من حيث لاتدرى للأمة أبواب الحرية الواسعة · وهدتها طرق السعادة المنشودة : والضغط لامحالة محدث الانفجار » ·

« فطوبى لأمة تقوضت فى ديارها دعائم العدل · ووقف حكامها لها بكل سبيل وقفة الذئاب أمام الشياه · فنظرت ذات اليمين وذات الشمال مستجيرة مستعيذة فما رأت غير ظلم وظلام · يأخذ أموالها الحاكم المستبد باحدى يديه · ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى · فهو يجيعها ليشبع · ويفقرها ليغنى ، ويذلها ليعتز ! ، ثم يسد فى وجهها مناهل العلم ، لتنفسح أمامه مناهج الظلم ، حتى اذا مارفعت رأسا أثقلته المظالم · أو فتحت عينا أغمضتها رؤية الظالم · أو شكت وبكت ، ثم استرحمت واستنصفت ، كانت الطامة الكبرى عليها · والويل الأعظم لها ولايزال هذا حالها مع حكامها حتى تفيض الكأس · ولاتجد النفس طاقة لها على ما احتملت ، ويرتفع بين الأمة صوت الآباء · مرددا قول أبى العلاء(١٠) : —

---

(١٠) هو أبو العلاء المعرى ، أحد فلاسفة الاسلام الكبراء وشعرائه الحكماء ، ولد فى معرة النعمان بالشام سنة ٣٦٣ ، ومات سنة ٤٤٩ هجرية ، رحمه الله .

مــل المقـــام فكــم اعاشــر امــة
أمــرت بغيــر صــــلاحها أمراؤهـــا

ظلموا الرعيــة واســتجازوا كيدهــا
فعدوا مصـــالحهــا وهــم أجراؤها

« هنالك تشرق شمس الانتقام · وتأخذ الشعب نشوة الانتصار وترى الناس سكارى ، وماهم بسكارى ، ولكن يوم الظالمين يوم عصيب · هنالك يغير الله حالا بعد حال ، وتستوى الأمـــة على عرشها · تدير دفة الحكم بيدها ، وتسير القضاء العدل بارادتها · هنالك ينادى منادى الحكومة الأهلية الدستورية العادلة بصوت داو فى أرجاء البلاد أن« لا ظلم اليوم · لاظلم اليوم » ·

« تلك عاقبة جور الحكومات · وصبر الأمم · وكذلك كان شأن فرنسا · وانها لذكرى لمن كان له قلب · أو ألقى السمع وهو شهيد »

« هذه خلاصة ما أرويه وأبديه فى تاريخ (المرسليين) وموضوعه الخطير · أما الأنشودتان الآخريان فها هما :

الأنشودة الأولى (فرنسا ـ La France)

« ومغزاها ما يأتى :

(فرنسا جميلة ٠ مباركة الحظوظ ٠ « فلنحى » لأجلها ولنعش متحدين ٠

يابنى فرنسا اجتازوا الجبال ٠ واعبروا البحار ٠ وجولوا فى أطراف العالم بعيدين عنها ٠ ثم انشدوا لها ٠ فرنسا جميلة ٠ مباركة الحظوظ ٠٠٠ الخ)

« هذه أنشودة صغيرة لطيفة يتناولها كما يتناول كثيرا من أمثالها أبناء فرنسا فى طفولتهم ٠ولايكادون يصلون الى سن الشبيبة أو الكهولة أو الشيخوخة حتى يتناولوا من أناشيد شعرائهم وقصائد أدبائهم على اختلاف درجاتهم مايشد عزائمهم ويقوى سواعدهم ويحيى نفوسهم على حب الوطن والتغنى بذكراه ٠ فهل لاطفالنا أو لشباننا أو لكهولنا وشيوخنا من شعرائنا مالهؤلاء السعداء من شعراء ؟ وهل لمصر مالفرنسا من حياة الشعر الوطنى ونهضة الشعراء الوطنيين ؟ » ٠

الأنشودة الثانية (الوطن ـ (La Patrie

« وهذه خلاصة وجيزة عما يرمى اليه مغزى هذه الأنشودة السامية المؤثرة من المعانى الوطنية الكبيرة التى لاتستطيع لغة غير لغتها · ولا أسلوب غير أسلوبها أن يبرز أسرارها · ويبين معانيها كما هى للقارئين » : ـ

« ألا ان الذين يموتون أتقياء فى سبيل الوطن ليستوجبوا وفود الجماهير اليهم حافين من حول نعشهم مصلين راجين » ·

« ان أسماءهم بين أجمل الأسماء وأجلها لأجل وأجمل » ·

« كل مجد لا محالة زائل اذا قيس الى مجدهم العظيم الدائم » ·

« أن صوت الشعب بأكمله ليهزهم فى قبورهم هزة حنو وانعطاف ، كما تهز الأم ولدها » ·

* * *

« المجد لفرنسا وطننا الدائم · المجد للذين ماتوا لأجلها » ·

« المجد لأولئك الشهداء الأبطال الأقوياء » ·

« المجد للذين يشعلون بنار الغيرة والحمية قلوب المقتدين بهم »

« المجد لأولئك الذين يريدون أن يتبوءوا مكانا عاليا فى الهيكل المقدس » ·

« المجد للذين سيموتون مثلهم فى سبيل الوطن » ٠

* * *

« ليرتفع (البانتيون)(١١) السامى فى علاه فوق (باريس) مدينة الحصون العديدة » ٠

« والبـــروج المشيدة ٠ ملكة بلادنا التى كأنمــــا لنا منهــا (التير)(١٢) و (بابل(١٣) العظيمتان » ٠

« ليرتفع لأولئك الأموات الذين لايزال خيالهم موضع التحية والترحيب » ٠

« لترتفع لهم أكاليل العمدان التى كلما أشرقت عليها شمس الصباح » ٠

« جددت طلاءها العسجدى فزادها نورا وجمالا » ٠

« المجد لفرنسا وطننا الدائم ٠ المجد للذين ماتوا لأجلها ٠٠٠ الخ » ٠

---

(١١) هو بناء عظيم أنشىء فى باريس عاصـــمة فرنسا وسمى باســـم الشارع المطل عليه ، وشيد على قمة الجبل القديم المسمى (سانت جون فيف) ليكون كنيســـة ، فلما حدثت الثورة جعلوه مدفنا لكبـــار الرجال وكتبوا عليــه (الوطن يعترف بالجميل لرجاله العظمــاء) ثم عاد كنيسة ، وأخيرا رجع لدفن العظمــاء بمناسبة موت (فيكتور هوجو) صاحب هــذه الأنشــودة سنة ١٨٨٥ ٠

(١٢) اسم مدينة قديمة عظيمة من مدن فينيقيا ، شــهيرة بالتجــارة والصــناعة ٠

(١٣) بابل عاصــمة كلدانيا القديمة ، وهى مشهورة بالمبــانى والأعمدة الفخمة ، وهى من أكبر المدن وأغناها فى الشرق ، معروفة بأســوارها الهائلة وحدائقها المرتفعة على القضبان ، وهى من أعاجيب العــالم ، وكانت قائمــة على نهر الفرات ، فلما استولى بعض الملوك عليهــا حول الفرات الى جهــة أخرى ، وذلك سنة ٥٣٨ قبل المسيح ، وقد بادت ٠

« ألا انه حينما يمسى أمثال أولئك الأموات فى مضاجعهم عبثا يحاول النسيان وهو ليل حالك يغيب فيه كل مايهبط اليه أن يمر على قبورهم التى تنحنى اجلالا واعظاما لها والتى لأجلها يشـــرق كل نهار وهو أسطع نورا وأعظم أمنا عليها » ·

« ألا ان المجد فجر دائم متجدد يزيد ذكرهم سنا · وقدرهم سنا · ويحلى أسماءهمْ برونقه الذهبى الجميل » ·

« المجد لفرنسا وطننا الدائم · المجد للذين ماتوا لأجلها ··· الخ » ·

« كذلك كان شاعر فرنسا العظيم (فيكتور هوجو)(١٤) يمجد شهداء الوطنية وخدام الأمة ، وكذلك يجب على الأمم أن تمجد أبناءها الذين قدموا حياتهم فداء للوطن وحبا فى خلاصه من أيدى الظالمين ·يجب عليها أن تترنم بذكراهم وتخلد تاريخهم بين الصحائف والقلوب · ثم ترفع لهم تماثيل العظمة والجلال · معلنة بذلك حبهم واخلاصهم لبلادهم · معلية قدرهم وخطرهم فى العالمين » ·

« ان الحرية ليست منحة ولا هبة من ملك أو أمير ، بل هى حق طبيعى للشعوب ، متى دبت فيها روح الاباء والاستقلال أخذته بالقوة القاهرة من أيدى مغتصبة · وقدمت فى سبيله النفس والنفيس فهؤلاء الذين يحاربون أعداء الحرية بالوسائل النافعـــة وينتقمون

---

(١٤) ولد هـــذا الشاعر الذى انتصر للحريـــة واحيـــا ذكر شـــهدائها سنة ١٨٠٢ فى احدى بلاد فرنســـا (بزنسون) وزار ايطاليا واسبانيا وباريس فى طفولته . وكان يقول الشـــعر وعمره عشر سنوات ، ولمـــا كبر أقام فى باريس ، والتحق بمجامعها العلمية الكبرى ، وســـمى المدافع عن الحرية . ولمـــا جـــاء دور انقلاب الحكومة ترك باريس فى ديسمبر سنة ١٨٥١ ولم يعد الا فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ وبقى بها حتى توفى سنة ١٨٨٥ وكانت جنازته عظيمـــة لم يكد يسبق لها مثال ، وقد دفن فى (البانتيون) .

منهم ، ثم ينالون الموت من يد ظالمة ، وهم فى سبيل جهادهم سائرون . أولئك الذين رضى الله والشعب عنهم ، ووجبت لهم الكرامة الدائمة ، والذكرى الخالدة ، وكان على الأمة أن تتمثل خيالهم ، مرحبة به محيية له . وعلى شعرائها أن ينهجوا منهج هذا الشاعر الكبير فى تمجيدهم واجلالهم » .

« فحيا الله فرنسا ، فقد أفاضت على الأمم من معين الحرية عذبا زلالا . وجاهدت فى سبيل الوطنية جهادا وعت القلوب ذكره . وأشربت النفوس حبه . فعسى أن نكون على آثارها مهتدين . وعلى منوال شعرائها ناسجين ، حتى نغدو بنصر الله فائزين . والله مع الصابرين »(١٥) .

* * *

واذا كان لنا من تعليق على هذه المقدمة ، فنحن نرى أولا أنها كانت تحتوى على دستور حياة على الغاياتى نفسه ، خلقا ، وعلما ، ووطنية .. قبل أن تكون قبل أى شىء آخر مقدمة مؤلف لكتاب أو لديوان شعر أو لقصة قام بها .

فهو يرى بأن الشاعر يجب أن يكون مبديا للحق مهما كانت العواقب والنتائج ، وأن يكون ناطقا بلسان الرأى العام ، ممثلا لشعور الأمة أقرب تمثيل ، كما أنه لايجد حرجا عندما يكون الواجب نحو قارئه ، أن يعترف له بأنه يستعين بالعلماء والمتخصصين فى أى فرع من فروع المعرفة الانسانية واللغات الأجنبية .

---

(١٥) نشر على الغاياتى بعد ذلك صورته تحت عنوان (رسم المؤلف موسما بتوقيعه) ص ٣٢ من « وطنيتى » أسوة بما فعل مع (رسم حضرة محمد بك فريد) و (رسم حضرة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش مقلدا وسام الشعب) ص ٨ .

وهو يلقى بضوء كشاف أمام قرائه ، ليشعروا بالوطنية الحقة ، فهو يحذر الحكام الذين يرون بأنهم يملكون الرقاب ويقدرون الأرزاق ، من غضب الشعب الهادر ، ويرى بأن الحرية ليست منحة ولاهبة من ملك أو أمير ، بل هى حق طبيعى للشعوب ، متى دبت فيها روح الاباء والاستقلال ، أخذته بالقوة القاهرة من أيدى مغتصبيه ، وقدمت فى سبيله النفس والنفيس ٠

واذا كان الغاياتى يرى بأن أقاليم مصر كانت بعيدة عن التفاعل مع تيار الحركة الوطنية (سنة ١٩٠٧) ، فى وقت لم يكن فيه من دور مؤثر على المواطنين سوى الكلمة المكتوبة عن طريق الصحافة والكتب ، حيث لم تكن هناك اذاعة أو تليفزيون ، فلقد استطاعت هذه المؤثرات الاعلامية الأولى أن تظهر آثارها الايجابية ، حتى كانت قمتها مشاركة كل فئات الشعب فى كل مكان على أرض وادى النيل العظيم ، يوم وفاة مصطفى ثم يوم تفجرت الثورة المصرية (سنة ١٩١٩) بقيادة الزعيم سعد زغلول ٠

وان كانت هناك من أمانى وطنية تظهر فى مقدمة « وطنيتى » للغاياتى ، فهناك أولا أمنيته الخاصة بأن يكون شعراء مصر على مستوى الأحداث القومية ، فينفثون فى النفوس من روحهم ، ويبثون فى الأمة من شعورهم ، حتى يشربوا القلوب حب البلاد ، يبكون اذا بكت ، ويبتسمون اذا ابتسمت ، ثم هو يتمنى أن يكون لنا نشيد وطنى يذكره الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الأمة جماعات ووحدانا ، لذلك فقد قام الغاياتى بوضع « نشيد وطنى عام »(١٦) ، بداخل الديوان ، ويقول أنه من بحر سهل التلحين ، وقارب بينه وبين أفهام الشعب على اختلاف طبقاته ، وبذلك أراح

---

(١٦) ديوان « وطنيتى » ، ص ١١٦ ٠

وجدانه ، بأداء هذا الواجب الوطنى المقدس ، ويقول فى مطلع النشيد والذى ستقرأه بكامله ، بعد صفحات قليله :

نحـــن للمجــــد نســــير
ولنـــا الله نصـــــير

ليـــس يثنينـــا نـــذير
عـــن بــــلاد تســــتجير
وعبـــاد فى حــــداد

وبعد عشر سنوات من وضع الغاياتى لهذا « النشيد الوطنى » ـ أى فى سنة ١٩٢٠ ـ وكان الغاياتى وقتها مهاجرا بسويسرا ، تألفت لجنة لترقية الأغانى الوطنية ، وقد أختارت هذه اللجنة «نشيد وطنى » للبلاد ، وكان من وضع أحمد شوقى (أمير الشــعراء) والذى يقول فيه(١٧) :

بنـــى مصـــر مكانكمو تهيـــا
فهيـــا مهــــدوا للملـــك هيـــا

خـــذو شـــمس النهـــار حليـــا
ألـــم تـــك تـاج أولكـــم مليـــا

وأخيرا ، فاننا نرى تأثير الثورة الفرنسية ، ونشيدها الوطنى (المرسلييز) ، واضحا على فكر الغاياتى ، حتى أنه يطلب من

---

(١٧) عبد الرحمن الرافعى ، « **شعراء الوطنية** » ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

شعرائنا أن ينظموا شعرا وطنيا خالصا ، لأطفالنا وشبابنا وكهولنا اسوة بفرنسا ، ولاغرو فى ذلك ، فلقد ســبقه ، ملهمه ، وزعيمه مصطفى كامل ، حين توجه الى مجلس النواب الفرنسى ، ســنة ١٨٩٥ ، يطالبه بأن تكون لمصر خير عضو يساعدها على استرجاع حريتها واستقلالها ، كما عاونت من قبل أمريكا وايطاليا واليونان وبلجيكا ، على نيل حريتها(١٨) ٠

---

(١٧) عبد الرحمن الرافعى « مصطفى كامل » ، مرجع سابق ، ص ٥٢ ٠

نمــاذج من الشــعر

اذا كان هذا الديوان ـ كما يقــول الغاياتى فى مقدمتــه ـ مجموعة صغيرة أتى فيها على مجمل مانظمه فى الحوادث السياسية الخطيرة منذ أوائل سنة ١٩٠٨ الى أوائل سنة ١٩١٠ ، متتبعا فى قوله سير الحركة الوطنية ، فلقد تعرضنا لبعض هذه القصائد ،والتى نشرها فى جريدة « الجوائب المصرية » ، أو فى صحف الحـزب الوطنى « اللواء » و « العلم » ، وسوف نسجل هنا بعض نماذج هذا الديوان والتى لم نتعرض لها من قبل ، وذلك بنصوصها الكاملة ، مع هوامشها أيضا التى كانت حافلة بتاريخ مصر الوطنى ، ثـم نتعرض بعد ذلك لأمثلة من باقى القصائد تبعا لأهميتها ٠

« طيف الوطنيــــة »(١٩)

فى ســلام الليل حــاربت المنــاما
فســلاما أيهـــا الطيــف ســلاما

مرحبــا بالزائــر الســارى الى
مضــجع الحـب يحيــى المسـتهاما

ليـت شـعرى هل رأى فى مضـجعى
شـبحا يشـكو الـى الله السقاما ؟

---

(١٩) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ٠

وهل الدمع الذى أغرقنى
كان عند الطيف دمعا أم ضراما ؟

وهل النجم الذى أرصده
ابصر الزائر فى عينى فهاما ؟

كل شىء بات عندى مغرما
أينما أبصرت ألفيت(٢٠) الغراما

أيها الليل ترحل أو أقم
فسواء كنت نورا أم ظلاما

لست أشكو الهجر من فاتنة
تشتكى مثلى ولوعا(٢١) وهياما

نحن صنوان(٢٢) قضينا حقبة
فى ربوع النيل نستندى الغماما

نبصر الفيض(٢٣) بمصر جاريا
بيد أن القوم يشكون الأواما(٢٤)

ظمأ قاض(٢٥) ونيل فائض
ودموع جارت السحب انسجاما(٢٦)

---

(٢٠) وجدت .
(٢١) أى كلفا وميلا شديدا .
(٢٢) اخوان .
(٢٣) النيل .
(٢٤) حر العطش .
(٢٥) مهلك .
(٢٦) أى انسكابا وسيلانا .

وعـــداة ملكـــوا الأمر ولــم
يحفظوا للشعب فى حــق ذماما(٢٧)

وولاة اقســموا ان يســجدوا(٢٨)
كلمــا رام العــدا منهــم مــرامــا

رب مـــاذا يصـــنع المصــرى أن
جاوز الصبر مدى(٢٩) الصدر فقاما ؟

طــال يــوم الظلــم فى مصــر ولـم
نـــدر بعـد اليـوم للعـدل مقامــا

هــل يـــرى المحتـل انا أمـــة
مذ عرفنا الســلم لاندرى الخصاما ؟

أو يـــرى الظـــالم فينـــا اننـــا
نحمل الخسف(٣٠) ولا نبغى انتقاما ؟

زعمـــوا زورا فمـــا مــن أمـــة
سامها العســف(٣١) ظلوم ثم دامــا

انمــا الشــعب الذى يرجو العــلا
ليس يرضى من أعاديه اهتضاما(٣٢)

كتب النصــر لشــعب ناهـــض
فى ســبيل المجــد لايخشى الحماما

---

(٢٧) الذمام ما لا يحل انتهاكه من الحرمات .
(٢٨) يخضــعوا .
(٢٩) المدى الغاية .
(٣٠) أى الذل .
(٣١) أى الظلم .
(٣٢) أى ظلمــا .

« قضية ذكرى دنشواى » (٣٣)

« الى ناظر الحقانية »(٣٤)

(قبل الحكم على الشيخ عبد العزيز)

حكمت فلم تنصف وقلت فلــم تصب
ورمــت مرامــا دونه الله والناس

---

(٣٣) ديـوان « وطنيتى » ص ٦٣ ـ ٦٤ ، وقـد حدث مسـألة دنشواى ق ١٢ شهر يونيو سنة ١٩٠٦، ويوم ذكراها هو يوم تنفيذ حـكم الشنق والجلد على عبد الله المظلومين ، وهو يوم ٢٨ من هذا الشهر .

(٣٤) كتب فى « اللـواء » حضرة الشيخ عبد العزيز جاويش يوم ذكرى دنشواى فى ٢٨ يونية سنة ١٩٠٩ مقالة أنحى فيها باللائمة على قضـاة دنشـواى ومحاميها مناجيا أرواح شهدائنا الأبرار مثيرا بعلمه المؤثر ما كمن فى القلوب من وجد وسجن فهب من صـوب اليهم سهام قلمـه ورفع قضية عليه مطالبـا بتعويض مالى (١٠٠٠٠) جنيه بدعوى أنه أهين (شرفه) وهبت النيابة العمومية ناهجة نهج هـذا البعض محاسـبة الكاتب على ما نشر مدعيـة أنه أهـان القاضيين العادلين فى دنشواى (بطرس باشا غالى وفتحى باشا زغلول) وأصبحت المسألة فى يد القضـاء المستقل ولكن ناظر الحقانيـة (رشدى باشا) سـافر اذ ذاك الى الاستانة ودار بينه وبين أحد الصحافيين هنـاك حديث رجح فيه الحكم على الشيخ عبد العزيز ثم أرسـل خطابا الى الجريدة التى نشرت حديثه وهى (الكوريبه) مصححا بعض ما ورد فيه فلما أتى على سؤال المراسل . هل يحكم على الشيخ جاويش ؟ استبدل الترجيح (بالتأكيد) وكان لهـذا الحديث أثر سىء فى مصر وقد أمطر البرق والبريد رسـائل الاستياء منه والاحتجاج عليه آلافا مؤلفة على جريدة « اللواء » وسـائر الجرائد الوطنية . ونشر « اللواء » الصـادر يوم الثلاثاء (١٧ رجب سنة ١٣٢٧ ـ ٣ أغسطس سنة ١٩٠٩) نص الحـديث والخطـاب المشئومين .

وبحث باسرار «الوزارة» معلنا
وأبديت مالم يبد «غالى وعباس »(٣٥)

فأغضبت فى مصر القضاء وأهله
وارضاك أن يرضى خوؤن ودساس

فلا تك بعد الآن للعدل موئلا
فغيرك بعد الآن للعدل حراس

وحارب بسيف الظلم من شئت بيننا
فغاية ما يغنى من الظلم افلاس

لعمرك ما (قصر الدوبارة) نافع
اذا انتبه المظلوم واحتدم الباس(٣٦)

وهيهات أن نخشى وعيدك بعدما
نهضنا مع الآمال وانهزم الياس(٣٧)

❊ ❊ ❊

---

(٣٥) أى أن رئيس الحكومة السابق وأمير البلاد لم يبديا ما أبداه ناظر الحقانية من التهجم على استقلال القضاء والحكم على متهم لم ننظر قضيته بعد وهما أرفع شأنا وأعظم خطرا واذا ساغ لأحد ما ساغ لرشدى باشا كانا أحق بذلك وأولى .

(٣٦) البأس العذاب أو الشدة فى الحرب .

(٣٧) انهزام اليأس أول واجب على الشعب الذى يجاهد فى سبيل الحياة ، ويكون له أمل فى الاستقلال . ومتى نهض مع الآمال وتعلق بالمعالى فهيهات هيهات ان يخشى وعيد موعد أو تهديد مهدد واستبداد مستبد .

« بعد الحكم »[٣٨]

يالیت شعری هل بدا ... فی مصر یوم أقمتم[٣٩]
وجنی العباد جنایة ... فاهتاج شر مضرم[٤٠]
حتی تجاریتا الحکو ... مة عندما نتألم
وتسومنا[٤١] سوء العقو ... بة حینما نسترحم
والله یعلم أننا ... لقضائها نستسلم
لم نجن ذنبا نستبیـ ... ـح به ذماما یحرم
والظلم کل عشیته ... یغشی البلاد ویدهم[٤٢]
والقوم فی غفلاتهم ... والظالمون هم هم

---

(٣٨) بعد أن حكم قاضی محكمة عابدين الجزئية على الأستاذ الشيخ عبد العزيز بالغرامة رفعت القضية بصفة استئنائية الى المحكمة الابتدائية فحكمت عليه يوم الاربعاء (٩ شعبان سنة ١٣٢٧ ـ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ ، الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠) بالحبس البسيط ثلاثة أشهر وكانت الجلسة تحت رياسة القاضی (باغوص بك أوغوبيان) الذی رقی بعد ذلك الى وظيفة قاضی بالمحكمة المختلطة ، ووافق يوم تعيينه بها يوم خروج الأستاذ من سجنه ، ص ٦٥ : ٦٩ من « وطنيتی » .

(٣٩) مظلم .

(٤٠) أی هاج شر متقد .

(٤١) تجازبنا بعقابها وترغمنا على احتماله .

(٤٢) بمعنى يغشى .

لـم يكفهـم صـبر الكـرا   م فاقسـموا أن يبرمـوا(٤٣)
وقضـوا على (عبد العـز   يـز) بحكمهـم وتحكمـوا

* * *

يا سـاكن السـجن الكريـ   ـم وأنـت نعـم الاكـرم
حكمـوا بسجنـك قبل مـا   حكـم القضا أن يحكمـوا(٤٤)
فعبسـت عنـد قضـائهم   ودخلـت سجنـك تبسـم
هـم توجـوك بتـاج مجـ   ـد خـالد وتهكمـوا(٤٥)
حسـدوك أو جهلـوا عـلا   ك ومثلهـم لا يعـلم
ما السـجن للشـرفاء الا   رفعـة وتنـعـم
فاصـبر ولا تحـزن اذا   حـم القضـاء المبـرم
وتأس(٤٦) بالعلمـاء والعظمـ   ـاء انـك منهمـو
أنت البـرىء ومـن يخـا   لـك(٤٧) مجرمـا هـو مجرم
والشـعب حولـك نـا هض   متـألم يتـظلم
يهديـك فى سـجن الكـرا   م تحيـة ويسـلم

---

(٤٣) أى يضجروا والمعنى انهم ارادوا أن يضجرونا ويبرمونا حتى نخرج من دائرة الصبر الجميل .

(٤٤) اشارة الى حديث ناظر الحقانيـة السابق .

(٤٥) اشتد غضبهم وتكبروا .

(٤٦) تعز واقتد .

(٤٧) ليس المجرم من حكم عليه بالسجن فى سبيل خدمة بلاده ، كما حكم على الأستاذ صاحب هـذه القضية ، وكما حكم على سواه من الشرفاء الأبرياء لا سيما اذا روعى أن الحكم صـدر فى حكومة استبدادية ، وانمـا المجرم الحقيقى هو من يخون بلاده ويجنى على أمته بخيانته سـعيا وراء أرب شخصى وغاية سافلة ، ومما أذكره هنـا بمزيد السرور ، ان الأستاذ رعاه الله تلقى نبأ الحكم عليـه وهو فى داره بين أهله وعشيرته برباطة جاش وابتسامة الازدراء وذهب الى النيابة مسرعا يصحبه رئيس الحزب الوطنى وأحد محاميه الفضلاء احمد بك لطفى وكيل الحزب مقدما نفسه اليها قبل أن تصـل يدهـا اليه مستعدا لتنفيذ الحكم عليه .

« يوم القضـــاء »

« على ابراهيم افندى ناصف الوردانى »(٤٨)

هل خال(٤٩) (ابراهيم) عنـد قضـاته
أمـلا من الآمـال دون حياتـه ؟

لم يغنه حسن (الدفاع)(٥٠) ولم تفـد
(فتوى) الشريعة وهـى حصن نجاته

فقضوا على هذا الشباب(٥١) وربـه
لـم يثنـه (الاعـدام) دون ثباته

---

(٤٨) ص ١٠١ ـ ١٠٢ من « وطنيتى » .

(٤٩) ظـن .

(٥٠) كان الدفـاع مؤلفا من حضرات أحمد بك لطفى ومحمـود بك أبى النصر . وابراهيم بك الهلباوى (الذى قضى رئيس الجلسـة بجعلها سرية حينما أراد أن يتكلم فى بعض المسائل السياسـية) وناهيك بأمثـال أولئـك المحـامين الكبار .

(٥١) لم يتجاوز الوردانى ٢٥ ربيعا ، وقد كان أسمر اللون . نحيف الجسم . متوسط القامة . عصبى المزاج . كثير الابتسام . شـديد الحياء . طويل التفكير . دمث الأخـلاق . كريم الاعراق . غيورا على الوطن . مجـدا فى سبيل رقيه . محبـا لنشر العلم وتأسيس النقابات . والاكثار من الجمعيات النافعة وغير ذلك من وسـائل التقدم ودلائل الوطنيـة الصحيحة . عرفتـه فى عامه الأخير متحليا بهذه النعوت الكريمـة ، وما كان يدور بخلد عارفى هـذه الأخلاق الوديعة ان صاحبها يخطر له خاطر القتل السـياسى فيعمل على تنفيذه حتى يتم له ما أراد غير هياب ولا وجل . ولكن الله يقلب القلوب . ويعـلم ما تكن الصـدور .

حتى كـأن المـوت مـن رغبـاته
ليكون فى الاحيـاء بعد مماته(٥٢)

---

(٥٢) كان يوم الخميس (١٩ ربيع الثانى سنة ١٣٢٨ - ٢١ ابريل سنة ١٩١٠) موعد النظر فى قضية الوردانى أمام محكمة الجنايات المنعقدة جلستها تحت رياسة المستر (دولبروغلو) وكان ثروت باشا النائب العمومى هو القائم بعمل النيابة وهى أول مرة قام فيها هـذا القيام . وقد افتتحت الجلسة الساعة ٩ صباحاواستمرت فى سماع الشهود اثباتا ونفيا حتى انقضى اليوم وأعيد فى صباح اليوم التالى وبعد الانتهاء من سماع الشهود طعن الدفاع فى شهادة الاثبات . وتمسكت النيابة بها فقررت المحكمة عرض المسألة على لجنة من الأطباء باعتبارهم خبراء ليبدو رأيهم فى أقوال الفريقين الدائرة حول أسباب الوفاة الناتجة من (العملية) على رأى الدفاع وشهوده أو (الصدمة) الأولى على رأى النيابة وشهودها . وفى يوم الخميس (٣ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٢ مايو سنة ١٩١٠) الساعة ٤ مساء انعقدت هـذه الجلسة وتلى تقرير الخبراء وترافعت النيابة وأخذ الدفاع فى سبيل بيانه وتقديم حججه ثم احيل الحكم الى المفتى تمهيدا للحكم بالاعدام فأفتى المفتى بعدم توفرالشروط الشرعية المسوغة لاعدام المتهم . وبما أن رأيه استشارى ليس الا . فقد سمعته المحكمة ولكنها حكمت بالاعدام فى جلستها المنعقدة فى صباح يوم الأربعاء (٩ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ - ١٨ مايو سنة ١٩١٠) فقابل المتهم سماع هـذا الحكم برباطة جأش وابتسام (كما هى عادته فى جميع أدوار القضية) وكان حين ذاك واقفا بأمر المحكمة . وبعد ذلك قدم الدفاع أوجه النقض وانعقدت جلسة النقض برياسة المستر (بوند) الذى لم يفد طعن المتهم فى رياسته لهذه الجلسة مع أنه من قضاة دنشواى التى كانت مسألتها من أسباب قتل رئيس النظار ، فحكمت برفض طلب النقض صباح السبت (٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ - ١١ يونية سنة ١٩١٠) وأصبح (ابراهيم أفندى ناصف الوردانى) الآن تحت رحمة الله . فانا لله وانا اليه راجعون .

« النشـــيد الوطنى » (٥٣)

نحـــن للمجـــــد نســـير ولـذا الله نصـــــــير
لـــيس يثنينـــا نذيـــر عـــن بـــــلاد نســـتجير
وعبــــاد فــى حــداد
كيـف نرضــى بالممـــات وزمـــــان المـوت فـــات

---

(٥٣) ص ١١٦ ـ ١١٧ من الديوان ، ويقول الغاياتى فى الحاشـية :

« لكل أمة من الأمم الراقيـة ، نشيد وطنى عـام ، يرويه الصغير عن الكبير ، ويحفظه العظيم والحقير ، والغنى والفقير ، وتشترك فى ترتيله والتغنى به عامة الشـعب وخاصته ، على السواء ، واظهر ما يكون من شـأنه فى أوقات المظاهرات ، وفى الحفـلات ، والمواسم الوطنية ، ونحوها ، بل انه ليبلغ من أمره أن يكون تأثيره فى الفرد ، كمـا يكون فى الجماعـة ، فترى الوطن يذكره فى خلوته ، كما يذكره بين عشيرته وأمته ، فيبعث فيه روح الحماسـة والوطنية ، ويشجعه على اقتحام المصاعب ، ومقارعة الخطوب ، فى سبيل الوطن العزيز ، كما يثبت الجنود فى مواقف النصر ، ويبث فى نفوسـهم حب المخاطرة والاقدام والاستماتة فى الدفـاع والنضـال ، ولقد تقدم فى صـدر هـذا الكتاب كلام كثير فى موضوع الأناشيد ، وما يتعلق بها ، وانى قياما بحق الوطن على ، قد نظمت هـذا النشيد الدستورى السلمى ، راجيا أن يكون لمصر ما لغيرها من الأمم فى هـذا السبيل ، وأن يكون نشيدى هـذا : النشيد الوطنى العام ، فقد وضعته من بحر سـهل التلحين ، وقاربت بينه وبين افهام الشعب على اختلاف طبقاته ، وأرحت وجدانى بأداء هـذا الواجب الوطنى المقدس ، والله ولى التوفيق » .

انمـــــا الدســـتور آت فعليـــــنا بالثبـــات
عنـــد آمـــال البـــلاد

نحن للمجـد نســير .. الخ

نحـــن شـــعب لانضـــام قبـل ان نلقـــــى الحمام
فعـــلى النيـــل السلام مـــن فتـــاه المســتهام
يـوم يقضـى فـى الجهـــاد

نحـن للمجـد نسـير .. الخ

فـى هـــوى النيـــل السعيد ميـــت القـــــوم شــــهيد
ذكـــره حــــى جديـــــد يومـــه للشـــعب عيـــد
فيـــه ذكـــرى للرشــــاد

نحـن للمجـد نسير .. الخ .

مرحبـــــا بـالفـــوز لاح وانجاـــى ليـــل الكفـاح
وشـــدا طيـــر الصـــباح أدرك الشـــعب الفـــلاح
وقضـــت مصـر المـــراد

نحـــن للمجـــد نســـير وانـــــا الله نصـــير
لـيس يثنينـــا نذيـــر عـــن بـــلاد تســـتجير
وعبـاد فــى حــداد

* * *

« نماذج متفرقة »

واذا كانت كل قصائد ديوان « وطنيتى » للغاياتى ، ذات أثر وطنى ، وتاريخ قومى ، فنحن هنا لانستهدف نقل نصوصا بأكملها ، بقدر مانستهدف ، القاء النظرة العامة على ذلك الشعر ، فبالاضافة الى ماسبق ، اخترنا هذه النماذج الصغيرة ، التى تحس من خلالها أيضا بروح الوطنية والحرية والكرامة والاباء ... أفليست كل ذلك مبادىء الحزب الوطنى آنذاك ؟

فهو لايجد حرجا فى مخاطبة السلطان عبد الحميد فى الاستانة ، وكان يسمى فى ذلك الوقت بـ « أمير المؤمنين » ، يطالبه فيها بالدستور ، ويشير الى نكبة الاحتلال لمصر ، فيقول(٥٤) :

رمتها الحادثات بشر قوم
لهم فى كل مظلمة شئون

قضت فى عصرهم مصر ولولا
رجاء فيك ما قرت عيون

---

(٥٤) « وطنيتى » للغاياتى ، بعنوان (الدستور العثمانى — الى أمير المؤمنين) ص ٤٢ .

فاعــزز ياحمــى الاســـلام شـــعبا

بعـــزك لا يـــذل ولا يهـــــون

وعندما يدلى أحمد شوقى ، شاعر الأمير ، حديثا الى جريدة «المؤيد» ، على لسان الخديو عباس بأنه لايستطيع أن يصدر الدستور الا برضى الانجليز واذنهم ، يقول له الغاياتى(٥٥) :

يا شــاعر الأمير ويحك هـــل تــرى

فى النثر ما فى النظــم من خطـرات

انــى رأيتــك فى حــديثــك شــاعرا

لكـــن خيالـــك زائـغ النظــرات

يا شـــاعر النيــل العظيم أما تــرى

للنيـــــل الا أســـوأ الحالات

ما كنــت أحســب أن مثــلك وهو فى

شـــعراء مصر صـــاحب الآيــات

يجنــى على الشـعب الكريم جنايــة

ويــود أن يبقــى مـــع الأمــوات

أو أنــت تروى عــن ســواك حديثــه

كيمـــا نــرى الدســتور ليس بآت

---

(٥٥) تحت عنوان (الدستور وحديث شاعر الأمير) ص ٤٥ .

وعندما يتم عزل السلطان عبد الحميد (سلطان تركيا فى ٢٣ أبريل سنة ١٩٠٩) على يد الثوار الاتراك ينظم الغاياتى قصيدة تحت عنوان « فتنة الاستانة » يقول فى مطلعها(٥٦)

لم يدرك السلطان فى قصره
ما أدرك العسكر من امره

ولم يهب من دهره سطوة
حتى دهاه الخطب من دهره

ولما وقع حادث اغتيال بطرس غالى باشا (ناظر النظار القبطى) ، انتهزه خصوم الحركة الوطنية ، واسرفوا فى القول بان باعث الوردانى على القتل كان باعثا دينيا ، وكان هذا ابعد الأشياء عن الحقيقة ، انما كانت الحقيقة فعلا بث سموم التفرقة بين المصريين ، وقد وقف أحد المحامين الذائعى الصيت (مرقص فهمى) يدفع عن الحركة الوطنية هذا الاتهام الظالم . فتأثر الغاياتى لهذا الموقف النبيل للمحامى القبطى ، وكتب قصيدة عنوانها « الى خطيب السلام »(٥٧) يبدأها بقوله :

خطبت فلم تجنح الى شرعة الهوى
ولم تتخذ نهج الخصام سبيلا

كما أنه عمل على تنقية الجو من هذه السموم . داعيا الى جمع الشمل ووحدة الصف ·· فيقول فى نفس القصيدة :

---

(٥٦) ص ٥٨ من الديوان .
(٥٧) ص ٩٩ من الديوان .

وما امــة القــرآن فى مصـــر أمــة
تــرى أمـــة الانجيــل أبغض جيلا

فانا وأنتـــم اخــوة فــى بلادنـــا
اقمنـــا على ديـــن الســلام طويــلا

وننتقل من الوحدة الوطنية عند الغاياتى ـ والتى سوف تكون شغله الشاغل بعد ذلك ـ لنعيش معا تلك الزيارة التى قام بها تيودور روزفلت ـ وكان رئيسا سابقا للولايات المتحدة ـ الى مصر فى مارس سنة ١٩١٠ ، والقائه لخطاب فى الجامعة المصرية ، أشاد فيه بالاحتلال الاجنبى البريطانى ، وأياديه البيضاء على مصر ، فأزعجت هذه الخطبة ـ وماتبعها من خطب أيضا ـ خواطر المصريين ومشاعرهم ، فأصلوه نارا حامية ، وأنبرى له الكتاب والشعراء ، وأعد الغاياتى قصيدة بعنوان « روزفلت بعد خطبته فى الجامعـــة المصرية » يقول فى بدايتها(٥٨) :

لعمرك لســت بالرجـــل الهمـام
اذا عـــد الهمـــام مـــن الكـــرام

كـــرام النـــاس أصدقـــهم حديثـا
وابعـــد عـــن أكـــاذيب اللئـــام

وذكر الغاياتى روزفلت فى هذه القصيدة ، بأن الانجليز كانوا حكامهم ، وأن أبناء أمريكا الأحرار قد ثاروا على الانجليز ، الذين

---

(٥٨) ص ١٠٨ من الديوان .

ساموا الشعب الأمريكى الخسف والهوان ، وأشاد ببطولة زعماء النضال الأمريكى ·· واشنجتون وجفرسون ، وعندما سافر روزفلت من مصر الى انجلترا ، خطب ثانية فى قاعة جيلد هول) بلندن . فحمل على المصريين من جديد ، مشيدا بالاحتلال البريطانى ، فنظم فيه الغاياتى قصيدة أخرى ، لاتقل قوة عن الأولى(٥٩)

وهناك نماذج لشعر الغاياتى ، يرى انها بين « هدى وضلال » ، يضعها فى نهاية ديوانه ، منها هذين النموذجين ·· أولهما تحت عنوان « بين اللحظ والخال »(٦٠) يقول فيها :

لــــك اللحـــظ ســـكارى	أســـقمت وهــــى سقيمــة
وبـــورد الخـــد خـــال	خلقتـــه فيـــه تميمـــة
ان رمــــى النظـــار سهمـا	نحـــوه صـــان اديمـــه
اشـــبهت حبـــة قلبـــى	فـــى معـــانيه رقيمــــه
انمـــا انـــت غـــرام	حـــل مـــن قلبـــى صميمـــه
لـــيس للأيـــام عنـــدى	فـــى ســـوى حبـــك قيمــة

وهكذا نرى ارتباط هذا النوع من الشعر العاطفى عند الغاياتى

---

(٥٩) ص ١١٢ من الديوان ، تحت عنوان « الى خطيب جلد هول » ـ وهى اسم دار بلدية لندرة ـ يقول فى مطلعها :

ماذا تحاول يا روزفلت من خطب   ترمى به مصر عن حقد وعن غضب

(٦٠) ص ١٢٧ من الديوان .

بالوطنية أيضا ، فهو يشرح معنى البيت الأخير بقوله : « كذلك تكون الحياة رخيصة ، والآمال صغيرة ، لـدى بعض الشعراء ، بينما الوطن يشكو ويألم ولايجد منهم ذكرا،ولامتوجعا» ، وهو نفس مانجده فى ذلك النموذج الثانى ، والذى كان تحت عنوان « فى مرقص »(٦١)، فتراه يقول :

ميلـــى علـــى العاشـــقين ميلـــى
بخصــــرك الاهيـــف النحيـــل

وصوبيـــى نحوهـــم سهـــاما
من لحظـك النـــاعس الكحيـــل

واشعلـــى النـــار فـــى حشـــاهم
مـن خـدك الأغيـــد الأسيـــل

وافـــىء باللمـــى لظاهـــم
فـــان فيـــه شـــفا الغليـــل

فيـــك القلـــوب تهـــيم حبـــا
ومـــا لحبـــك مـــن بديـــل

وانتـــى فيـــك مســـتهام
ولســـت اخشـــى مـــن العـــذول

---

(٦١) ص ١٢٧ من الديوان .

ولا أهـــاب الـــردى اذا مـــا
صبا فـــؤادى الـــى جميـــــل

فياحيـــــاتى فدتـــك نفســـى
فهـــل الـــى المـــوت مـــن ســـبيل

ذلك أن الغاياتى يرى ـ أيضا ـ أن معنى البيت الأخير ...
هو « نعم الى الموت .. فهو خير سبيل فى الوطنية » .

الحــكم على الديــوان

نحن هنا لسنا بصدد نقد بلاغى وأدبى للديوان ، بقدر ماهو وصف عام لديوان شعرى كان له دور مؤثر فى الحركة الوطنية المصرية ، فالديوان من الحجم المتوسط ، ويقع فى ١٣٠ صفحة ، يضم بين جنباته مقدمات نثرية سواء لمؤلفه : على الغاياتى ، أو لزعماء الحركة الوطنية حينذاك ، محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش ، أو شعرا يرتبط بما كان يجرى على أرض مصر مابين سنوات ١٩٠٨ الى ١٩١٠ ، كما كانت هوامشه تعج بالحياة والحركة وقد انتهى الغاياتى من تحرير هذا الديوان ـ أو كما يقول هو ـ (الجزء الأول من وطنيتى يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية ســنة ١٣٢٨ ـ ٢٤ يونيه سنة ١٩١٠)(٦٢) ولكن لم يستدل من الكتاب على مكان طبعه ٠

وقد روى الغاياتى بعد ذلك قصة طبع هذا الديوان(٦٣) ، حيث يقول : « ولما كان طبع هذا الديوان فى مطبعة مصرية ، يعرضه للمصادرة ، وهو بعد أصولا لم تجمع حروفها ، فقد قصد مطبعة يملكها فرنسى اسمه (كستيولا) ٠ وقد كان الأجانب يومذاك غير خاضعين لتفتيش البوليس المصرى ، الا اذا أذنت القنصلية التى يتبعها هؤلاء الأجانب ، وكان استصدار الأذن من القنصلية يسمح

---

(٦٢) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ١٢٨ ٠

(٦٣) فتحى رضوان « عصر ورجــال » ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ٠

باخفاء جسم الجريمة وأثرها ، وتم طبع الديوان دون أن يصادر ، وكان عدد النسخ المطبوعة ألف نسخة »

وهكذا يشعرك الغاياتى للوهلة الأولى ، بأنـه كان لديـه احساس داخلى بأن الديوان سوف تتم مصادرته ، ومعنى ذلك أيضا اقتياده للمحاكمة ، ومع ذلك جازف بطبع الديوان ٠

ويعلق الدكتور أحمد هيكل عميد كلية دار العلوم(٦٤) ، على الديوان وصاحبه ، بأن على الغاياتى ينتمـى الى ذلك الجيل من الشعراء الذى سار فى نفس اتجاه الشاعر محمود سامى البارودى ، ويترسم خطاه ، نحو الاتجاه المحافظ البيانى الحى، وترجع أهـم أسباب ظهور هذا الاتجاه الى الوعى الناضج الذى بـدأ عند بعض المثقفين ، الأمر الذى حمل على الالتفات الى مجد الماضى وتراث الأمس ، للاتكاء عليه ، ومواجهة تحدى الحضـارة الغربية به ، والايمان بفكرة الجامعة الاسلامية ، لذلك تجد الغاياتى فى عـداء واستنكار ونضال ضد السلطة الغاشمة التى كانت جاثمة على صدر البلاد فى تلك الفترة (الانجليز) وكان صريح العـداء ، مسـتمر الاستنكار ، دائم النضال ٠٠ والتنديد بالاحتلال ومخلبه ٠٠ الخديو، دائم الحث للوطنيين ـ فى ذلك الديوان ـ على النهوض والثورة ٠

والذى يقرأ ديوان « وطنيتى » قد لايجده كله شعرا من طراز رفيع ، ولكنه يجد فيه باكورة رائعة لشاعر شباب لم يتجاوز عمره ٢٥ سنة ، والى جانب ذلك ، تجد الوطنية الحقة ، والعقل المتحرر (غير المحافظ) ، وتراه يمدح الزعيم مصطفى كامل ، وهو على قيد الحياة ، ويرثيه عندما يلحق بالرفيق الأعلى ، ويخاطبه قائلا :

---

(٦٤) فى كتابه « تطور الأدب الحديث فى مصر » ط ٤ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٣) ص ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٨ ٠

لا زال فـــى مصـــر لواؤك خافقــا
مــن حــوله شـــعب أعــز نجيـــب

ويقصد بذلك طبعا جريدة « اللواء » التى أصدرها الزعيم في ٢ يناير سنة ١٩٠٠ ، ثم يمدح محمد فريد ويثنى عليه بعـد انتخابه رئيسا للحزب الوطنى ، خلفا لمصطفى كامل ، ويقف بجوار الشيخ عبد العزيز جاويش عندما يتهم فى احدى القضايا ويتم الحكم عليه ويسجن ، وكيف أن المصريين اكتتبوا لعمل وسام يتقلده الشيخ بعد خروجه من السجن ويسمى (وسام الشعب) ، ويصف الغاياتى هذا الوسام فى هامش احدى صفحات « وطنيتى » فيقول(٦٥) :

« جاء هذا الوسام آية من آيات الوطنية الدالة على فضل الأستاذ بأجمل معنى وألطف شارة ، وهو مؤلف من ثلاث قطـع ذهبية نقش على الأولى رسم الأهرام ، وكتبت تحت الرسم هذه العبارة : « تذكار الشعب الى الشيخ عبد العزيز جاويش اعترافا بوطنيته الصادقة » ، والثانية وهى أكبرها حجما ، رسم عليها نبات كان يتخذه القدماء رمزا للفوز والنصر ، ونقشت فيها هذه الآية الكريمة : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » والثالثة هلال فى وسطه ثلاثة نجوم وقد شبكت هذه القطع الثلاث بوشاح من الحرير الأحمر والأبيض ، مرصعة كل واحدة منها بالأحجار الكريمة ترصيعا جميلا » .

ويرى الأستاذ فتحى رضوان(٦٦) ،بأنك لو تابعت قصائد الديوان قصيدة قصيدة ، وقرأت هوامشه ، هامشا بعد هامش ، اكتملت لديك صورة كاملة للعهد الذى ظهر فيه هذا الديوان ، صورة شعب

---

(٦٥) ص ٧١من الديوان .
(٦٦) « عصر ورجال » ، ص ٣١٧ .

يناضل من أجل اجلاء الانجليز عن أرضه ، بقلمه ولسانه ، ويتحفز لقتال أشد ضراوة فى سبيل نفس الغاية ، ومن أجل الدستور ومن أجل مزيد من الحريات الداخلية ، واصلاح الحكم ، والضرب على يد المفسدين والحكام الذى يبعثرون أموال الدولة على أنفسهم ويغترفون منها بلا حساب ، ومن أجل نشر التعليم والعناية بالصحة ، ورفع مستوى التلاميذ والعمال ، واشراكهم فى شئون بلادهم اشراكا فعليا ٠

كما يرى أيضا(٦٧) تعليقا على قصيدة « رب ذكرى هيجت شجنا » والتى تعرضنا لها عندما نشرها الغاياتى فى جريدة «اللواء» ـ وكيف أنه راح يبشر بهذه الطريقة الجديدة فى نظم الشعر ـ بأن تكون القصيدة قطعا ، كل قطعت ذات روى خاص ـ عند حافظ ابراهيم واسماعيل صبرى ، بأن الغاياتى ـ وان كان مشغولا بأحداث الوطن السياسية ، وأنه وقف قلمه ونفسه للمعركة الوطنية ، الا أنه لم يكن أديبا محافظا ، ولو اتسع له الوقت فى مصر ، ولم يهاجر الى سويسرا ، لأكمل العمل الذى بدأه بهذه المحاولة المبكرة فى وقت لم يكن يجرؤ فيه أحد على التفكير فى الخروج على الشعر العمودى ، ولا فى التجديد فى طرق الشعر وقوالبه ، ولو صدق الشاعران الكبيران حافظ وصبرى فيما وعدا به الغاياتى من تناول هذا الأسلوب الذى اقترحه الغاياتى لهما ، ووافقا عليه وأقراه ، لتحرر الشعر العربى تحررا كان يفتح له آفاقا جديدة فى الشكل والموضوع ، ولما تأخرت المسرحية الشعرية فى أدبنا عن الظهور هذه الحقبة الطويلة ٠

وقد حاول الغاياتى مرة أخرى أن يجدد فى شعره ، فحاكى

---

(٦٧) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ٠

شوقى فى قصيدته التى مطلعها « مال واحتجب · وادعى الغضب » فنظم فى ذكرى مصطفى كامل قصيدة جرى مطلعها(٦٨) :

أيهـــا المفتـــى جـــرد القلـــم
وانشر الاســـى واشـــرح الألـــم
غـــاب مصـــطفى حاضـــر الهمـم
رافـــع اللـــوا خافـــق العلـــم
صائـــن الحمـــى ناصـــر الهـــرم
عـــاد يومه فاذكـــر الشـــيم

ولكن المحاولتين ذهبتا بلا أثر يذكر ، فقد استغرقت السياسة والجهاد ، ومتاعب الهجرة ، ومشاق الصحافة فى الخارج ، جهد الشاعر الشاب ، كما سنرى ·

ويرى الأستاذ « محمد طاهر الجبلاوى »(٦٩) ، أن شـــعر « الغاياتى » يمكن أن نسلكه فى عداد الشعر التأثيرى (امبرشنزم) وينجبس من فورة معين فياض فى سهولة ويسر كأنه الشعر المرتجل أو شعر البديه لا تكلف فيه لأناقة أو محاكاة ، وقد خرج من الجنان ليستقر فى الأذهان ، ويجرى على كل لسان ، وما أشبهه بشعر الأناشيد وان لم يكن فيه ·· أما عن الديوان نفسه (وطنيتى) فهذه أول مرة يصدر فيها ديوان مخصص لموضوع واحد هو الوطنية ·· ذلك أن دواوين الشعراء فى ذلك الوقت كانت تصدر مقسمة الى أبواب ، غالبا ماتكون على النحو الآتى : باب المدح ، باب الرثاء ، باب الغزل والنسيب ، باب الوصف ، ثم وطنيات فى بعض الأحيان وهكذا ·· كان « وطنيتى » وثبة من وثبات الشاعر فى عالـــم الشعر والأدب ·

---

(٦٨) ص ٩٢ من الديوان ، وقد قال شوقى (شاعر الأمير) ، قصيدته فى وصف « باللو » أقيم بسراى عابدين ·

(٦٩) مرجع سابق ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ·

« قضـــية وطنيتى »

ذكرنا بأن الغاياتى كان يحس بأن الديوان سوف يثير عليه المتاعب الجسام ، سواء ما قاله بنفسه فى مقدمته للديوان ، أو بعد ذلك ، عندما قام بطبعه عند مطبعة غير مصرية ، حتى لايصادر أثناء الطبع ، ولكن كيف كانت البداية ، ليصبح الديوان « قضية » أمام محكمة ؟

يستحسن لنا أن نترك صاحبها يقصها علينا .. فيقول(٧٠) : « قضية وطنيتى من أشهر القضايا السياسية فى العصر الحديث . وقد كان لها صدى بعيد المدى فى مصر والشرق ، كما وصلت أنباؤها تترى الى الغرب ، وهى الآن من قضايا التاريخ المصرى مسجلة فى بطون الصحف والكتب ... ولا شك أن أول من وجه أنظار الحكومة علنا الى كتاب « وطنيتى » ، وحرضها بطريقة غير مباشرة على صاحبه ، هو المرحوم الشيخ على يوسف (أو السيد على يوسف باشا) ، صاحب جريدة « المؤيد » الشهيرة فى ذلك العهد ، فقد كتب بقلمه مقالة فى الموضوع ، هى فى الواقع صحيفة الاتهام التى افتتحت بها هذه القضية ثم كان بعدها ماكان » ، أى لم تكن مقالة أدبية تعرض للفن الشعرى أو تقريظا للقصيد الرائع(٧١)

---

(٧٠) جريدة « منبر الشرق » العدد ٤ ، ١٩ يونيو سنة ١٩٣٨ ، ص ٨ .

(٧١) مختار الوكيل ، على الغاياتى ، فصل من كتاب « خمسة من شعراء الوطنية » ، مصدر سابق ، ص ٣٠٢ .

أما كيف وصلت نسخة الديوان الى الشيخ على يوسف ٠٠ ؟

فلقد حدث أن رأى الأستاذ سليمان فوزى المحرر بجريدة « المؤيد » ـ والذى أصدر مجلة الكشكول بعد ذلك سنة ١٩١٤ ـ الديوان فى يد الغاياتى ، فسأله لماذا لم يهد نسخة منه الى الشيخ على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » ليقرظه ويعلق عليه ، ثم صحبه الى مكتب الشيخ على يوسف ، حيث أهدى الغاياتى اليه نسخة ، ولكن ماكاد الشيخ يطلع على الديوان حتى جرد عليه حملة ضارية ، وكأنه كان يكتب قرار الاتهام فعلا ضد الديوان وصاحبه ، مع العلم بأن«المؤيد» فى ذلك الوقت ـ سنة ١٩١٠ ـ تنافس « اللواء » جريدة الحزب الوطنى ، وتتهم الحزب وجريدته بالتطرف المجنون ، وقد تلقت الحكومة هذه الحملة بصدر رحب ٠٠ واليك مقالة الشيخ على يوسف ، قبل أن نفصل لعمل الحكومة ازاء الديوان وصاحبه(٧٢) :

« زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغاياتى المحرر بجريدة « العلم » وقدم لنا نسخة من كتاب شعرى وضعه حديثا بعنوان « وطنيتى » وقال أقدمه اليك ، وان يكن بلهجة حزب لاترضيك لهجته فقابلته بحسن القبول ، وعزمت على أن أقرظه كما يستحق أديب مثله ، يحسن الشعر ، ويعمل كما يعتقد لاحياء الشعور الوطنى » ٠

« أردت اليوم أن أقرظه بعد مافرغت من مهام مواضيع الجريدة حتى يكون للقلم حظه من الأدب بعد حظه من السياسة ، ففتحت الكتاب وأول ماوقع نظرى عليه منه الصفحة ـ ٤٦ ـ قول هذا الشاعر المجيد : ـ

ياليت شعرى هل رأيت كما أرى

ان « المؤيد » معهد الهفوات

---

(٧٢) جريدة « المؤيد » ، الاثنين ٤ يوليو سنة ١٩١٠ (٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨) ٠

فنشـرت فيـه ما نشــرت وانمــا
هـــى زلـــة مـن أكبـــر الزلات

فاستوقفنى هذا السباب الموجه الى « المؤيد » هنيهة ، وقلت لعل حضرة الشيخ أراد أن يوجه لى هذا الكلام مشافهة بتقديم الكتاب ، كما فعل شاعر آخر له وطنيات لاتقل فى الحماســة والبلاغة عن وطنية هذا الشيخ ، ولكنى رجعت وقلت لعل ذلك الزائر لم يقصد هذا وانما قصد أن أدل قراء « المؤيد » على شىء من أيات وطنيته البينات » .

« وماذا يضر « المؤيد » لو كان فى يوم من أيامه على لهجة مثل لهجة « العلم » على حساب غيره ، فبعد الاستئذان من قانون المطبوعات ، وبعد الاستعاذة من القوانين الجديدة ، وبعد الاعلان بأنه لا اتفاق بين « المؤيد » وبين الشيخ على الغاياتى ، نستعير قلمه وشعره وفكره ساعة منالزمان ، قال حفظه الله تحت عنوان (وطنى يناجى ربه) صفحة ٣٤ من كتابه ٠٠٠٠٠٠٠ » ثم أورد الشيخ على يوسف أبياتا متفرقة من تسع قصائد للغاياتى نشرها فى «وطنيتى» ، ستكون ضمن حيثيات الحكم فى تلك القضية الخطيرة !!

ولم يمض يومان على مقالة « المؤيد » ، حتى نشرت الصحف خبرا مؤداه « أبلغتنا المحافظة فى هذا الصباح أن ادارة الضبط قبضت على الشيخ على الغاياتى ، لأنه نشر ديوانا فيه قصائد تقع تحت طائلة قانون المطبوعات ، وقد أحيل الى النيابة ، فشرع حضرة على بك توفيق من نيابة مصر فى التحقيق معه(٧٢) »

---

(٧٢) جريـدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٢٠ ، فى ٦ يوليو سنة ١٩١٠ ص ٤ .

نشر هذا الخبر فى صحف يوم الاربعـــاء ٦ يوليو ، ولكـن الحقيقة أن الشيخ على الغاياتى لم يكن مقبوضا عليه ـ كما قالت محافظة القاهرة فى بلاغها ـ ولكنه كان خارج القاهرة فعلا ، ذلك أنه علم بأن الحكومة بدأت تبحث عن الديوان فى كل مكان تعلم أنه موجود فيه ، وأن أمرا باعتقاله قد صدر ، وقد نصحه بعض الأصدقاء بأن يفر الى خارج البلاد ، وليكن الى تركيا ٠ ٠

وقد اختلفت أقوال المؤرخين والكتاب فى سفر الغاياتى خارج الوطن ، فمنهم من يسمى ذلك فرار(٧٤) ، ومنهم من يطلق على ذلك هروبا(٧٥) ، أو ارتحالا(٧٦) ، كما أن هناك رواية تربط الهروب « بأنه كان من السجن »(٧٧) ، وهذا لم يحدث على الاطلاق ، وان كنا نأخذ برأى الغاياتى نفسه فى أن ذلك كان فرارا(٧٨) ، كمـــا روى فى ذكرياته التى نشرها فى جريدة « منبر الشرق » بعد عودته الى الوطن نهائيا سنة ١٩٣٨ ٠

فكيف استطاع الغاياتى أن يفر خارج مصر ؟ وهو يعلم أن البوليس يتعقبه ، ونترك ذلك لشهادة الشاهد الوحيد الذى رافق الغاياتى « مرافقة وطنية » وهو صاحب العزة حسين بك فتوح ليحكى لنا كيف تم ذلك(٧٩) فقال :

---

(٧٤) أحمد شفيق باشا « **مذكراتى فى نصف قرن** » القسم الثانى من الجزء الثانى (القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٦) ص ٢٣١ ٠

(٧٥) آرثر ادوارد جولد شميث (الابن) ، **الحـزب الوطنى المصرى** (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣) ص ٢٢٣ ٠

(٧٦) أحمد هيكل ، مرجع متقدم ، ص ١١٠ ٠

(٧٧) ابراهيم عبده ، **تطور الصحافة المصرية** (١٧٩٨ ـ ١٩٨١) ط ٤ (القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢) ص ٣٠٦ ٠

(٧٨) **جريدة « منبر الشرق »** ، الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ٠

(٧٩) جريدة « **منبر الشرق** » ، العدد ٧ فى ١٠ يوليو سنة ١٩٣٨ ، ص ٨ ٠

« ذهبت الى شقة الشيخ على الغاياتى بالمنزل رقم ٨ بحارة سليم بك المتفرعة من شارع الشيخ ريحان بعابدين ، فجمع أثاثه منها وأخذ مايلزمه من ملابس وكتب ، ولكنه بدلا من أن يأخذ الخفيف من المتاع الذى لاغنى عنه أخذ يكوم كل مافيها من أشياء لاقيمة لها ، متمهلا متأنيا وكأنه ذاهب الى رحلة للاستجمام والترويح ، وكانت نفسه تنازعه فى أن يحمل معه كل ما فى الشقة حتى الحصيرة والمرتبة ، وكلما استحثه وأحذره من الخطر الذى ينتظره ، ان لم يسارع بالنزول ، لايلتفت الغاياتى لذلك ، حتى لمحت مأمور قسم عابدين قادما من بعيد فى عربة (حنطور) ، فأسرع الغاياتى فى حمل (صرة) ثقيلة حوت من الملابس والكتب مافوق الحاجة ، وعندما رأتنى صاحبة المنزل ونحن نهرول ، سألتنا عن الخبر ، فقلنا لها ٠٠ أننا مسافران الى دمياط ، فأخذت تشيعنا بالدعوات الصالحات » ٠

وقد قطع تذكرة السفر الى الاسكندرية أحد الأصدقاء ، وهو أحمد أفندى رفعت وكان محررا فى جريدة « العلم » وسلمها الى صديقه حسين فتوح الذى دخل بها الى القطار بينما دخل الغاياتى بتذكرة مقابلة ، ثم تبادلا التذاكر داخل القطار(٨٠)، وسافر الغاياتى فاذا به يجد فى ديوان القطار ضابطا تركيا كان فى رحلة صيد فى السودان ، عاد منها بعدد من النسانيس ، وقد تصادق مع الغاياتى ، ونزلا معا فى فندق واحدة بالاسكندرية ، قبل أن تقلع بهما الباخرة الى استانبول بتركيا ٠

فما كان من البوليس المصرى الا أن أصدر نشرة للصحف ، أعلن فيها أن الشيخ على الغاياتى صاحب كتاب وطنيتى قد برح الثغر الاسكندرى فى أوائل هذا الشهر قاصدا مرسيليا (بفرنسا)

---

(٨٠) مختار الوكيل ، مصدر متقدم ، ص ٣٠٦ ٠

ويقال ان من المحتمل ان تخابر الحكومة المصرية حكومة الجمهورية لاعادته الى مصر(٨١) ٠

« وقد استدعت النيابة مساء ١٢ يوليو سنة ١٩١٠ حضرة الشيخ جاويش واستمرت تحقق معه من الساعة ٣ والنصف بعد الظهر الى الساعة الثامنة الا ربع فى شأن المقدمة التى كتبها لديوان الغاياتى (وطنيتى)(٨٢) ٠

ثم كان قرار الاتهام فى القضية ٠٠(٨٣) فلقد قررت النيابة العمومية احالة كل من الشيخ جاويش ـ المحرر بجريدة العلم ـ والشيخ على الغاياتى ـ المصحح بجريدة العلم ـ والشيخ محمد حسن القزوينى ـ الموظف بقلم تحرير العلم ـ والياس افندى دياب ـ صاحب مكتبة التأليف ـ الى محكمة الجنايات يوم ٦ أغسطس ، برئاسة محمد بك مجدى وحضرة على بك ذو الفقار والمسيو سودان أعضاء ، كما تقرر اخراج حضرة اسماعيل افندى حافظ ـ صاحب جريدة العلم ـ وتأجيل رفع الدعوى على حضرة محمد بك فريد ـ رئيس الحزب الوطنى ، لحين عودته من أوربا ، وذلك لوضع ونشر كتاب يسمى « وطنيتى » ويشتمل على قصائد ومنظومات ، يتضمن بعضها التحريض مباشرة على جناية القتل (صحيفة ٥ و ٣٤ و ٣٨ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٩٢ و ١٠١ و ١٠٢) وبعضها التحريض على كراهة الحكومة والازدراء بها (صحيفة ٣٤ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٧) وبعضها تحسين الجريمة التى ارتكبها الشيخ جاويش ، وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى وغيرها (صحيفة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢

---

(٨١) جريدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٢٥ ـ ١٢ يوليو ١٩١٠ ـ ص ٤ ٠
(٨٢) جريدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٢٦ ـ ١٣ يوليو ١٩١٠ ـ ص ٤ ٠
(٨٣) جريدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٣٨ ـ ٢٧ يوليو ١٩١٠ ـ ص ٥ ٠

و ٩٢ و ١٠١) وبعضها العيب فى حق ذات ولى الأمر (صحيفة ٥٥ و ٥٦) وبعضها اهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا (صحيفة ٦٣ و ٦٤) وبعضها اهانة هيئة الوزارة والمحاكم صحيفة ٥٦ و ٦٨) ٠

وهكذا أصبحت صفحات « وطنيتى » فى ورقة اتهام ٠٠ حتى كان موعد انعقاد محكمة الجنايات الكبرى وهذه صورة لجلستها ، والتى جاءت فى « اللواء »(٨٤) : « انعقدت الجلسة فى الساعة التاسعة صباحا تحت رئاسة محمد بك مجدى وكل من العضوين على بك ذو الفقار والمسيو سودان ، وكان على كرسى النيابة توفيق بك نسيم وسكرتير الجلسة جلال أفندى ، وكان النظام سائدا ، والقاعة غاصة بالحاضرين يتخللهم رجال البوليس السرى المنتشر خارج القاعة وداخلها ، وكان حضرات الشيخ عبد العزيز جاويش والشيخ محمد حسن القزوينى والياس افندى دياب واقفين فى موقف الاتهام ، وحضر حضرات المحامين الأفاضل للدفاع عن موكلهم ، فحضر الاساتذة أحمد بك لطفى ومحمد بك على للدفاع عن الشيخ عبد العزيز جاويش ، ومحمد بك أبو شادى عن الشيخ القزوينى ، وعبد السلام افندى ذهنى عن الياس افندى دياب ٠

ثم تكلم حضرة رئيس الجلسة بعض كلمات طلب فيها من الجمهور المحافظة على النظام ونودى على المتهمين ، فسئل كل منهم عن اسمه وصناعته وعمره وسكنه ثم قام حضرة كاتب الجلسة وتلا محضر الجلسة ٠ وبعد ذلك قام حضرة وكيل النيابة وطلب معاقبة الشيخ الغاياتى والشيخ جاويش بصفته فاعلا أو شريكا فى الجناية ، وذلك لنشره أشياء مخالفة للقوانين بالجرائد ٠

---

(٨٤) « جريدة اللـــواء » ، العدد ٣٣٤٦ ، فى ٦ اغسطس سنة ١٩١٠ ، ص ٥ ٠

سأل حضرة رئيس الجلسة الشيخ عبد العزيز جاويش عن التهم الموجهة ضده ، فقال انه قرظ الكتاب عن نية حسنة ، وسئل الشيخ القزوينى عن التهم الموجهة ضده ، فقال انه لم يطلع على الكتاب ، وسئل دياب افندى عن التهم الموجهة ضده فقال انه باعه كسائر البائعين ، ثم قام حضرة وكيل النيابة وقال: قام هذا الشاعر المفتون (يقصد الغاياتى) ووضع هذا الكتاب ، فلا حيى الله وطنيته ولا بارك الله فيها من وطنية فاسقة ، لقد مجد فعل دنجرا والوردانى وكلاهما قاتل سفاك ، وهذا تحريض على ارتكاب الجنايات ، وقال نعم هنا فى هذا الكتاب (وطنيتى) جملة قصائد أدبية مثل شفاء ولى العهد ٠ ورثاء حسن عاصم باشا ، ولكن هذا لايبرر مافى هذا الكتاب الذى يعظم الاثم ويدفن الحسنة ٠٠٠ ثم قال : مالهؤلاء الكتاب يزخرفون الكلام البذىء للجمهور ، ألا يعرفون عواقب مايكتبون ، انهم اذا أصلحوا كتاباتهم اصلحوا أمتهم ، واذا أفسدوا كتاباتهم أفسدوا أمتهم ، فاذا كان هذا حال الكتاب ، فكيف يكون حال العامة، وليس أهون على الكاتب من أن يجلس على مقعده ويكتب مايشاء ٠٠ ثم طلبت المحكمة من المحامين الدفاع ٠٠٠ فقام كل من الاصولى البارع محمد بك على ، ومن بعده المحامى الفاضل أحمد بك لطفى ٠

وفى اليوم التالى(٨٥) وقف حضرة توفيق بك نسيم قائلا : بأن النيابة العمومية تطلب معاقبة المتهم الأول (الغاياتى) بالمواد ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥١ و ١٥٤ و ١٥٦ و١٥٩ و ١٦٠ من قـــانون العقوبات لوضعه وطبعه كتاب « وطنيتى » ، ثم ردد ماقاله بالأمس قائلا : لقد وضع هذا الشاعر المفتون ذلك الكتاب ، ووسمه بوطنيتى، فلاحيا الله وطنية تجعل آلة للحصن على اجتراح السيئات ، وبث

---

(٨٥) جريدة « اللـــواء » ، العدد ٣٣٤٧ ، فى ٧ اغسطس سنة ١٩١٠ ، ص ٢ و ٣ و ٤ ٠

التعاليم التى تفسد القلوب وتذيق الناس بعضهم بأس بعض ، بل لا بارك الله فى وطنية تلبس كما يلبس الثوب مقلوبا فتؤلم النفوس وتفتن الخواطر ٠٠٠ ثم قال : ما لهؤلاء الشعراء والكتاب يفسدون الأخلاق بما يقولون ويكتبون ، انتصارا لأنفسهم بعنوان الوطنية ، والكتاب كما يعرفون هم من مجموع الأمة بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الانسان ، فصلاح حالهم وكتاباتهم مصـــلح لحالها ، وفسادها مفسد له ٠

ثم نشرت « اللواء » كلمات الدفاع(٨٦) ، وكيف أن عبد السلام افندى ذهنى قال : اننا لانطلب الا احقاق الحق وازهاق الباطل ، فليعلم حضرات القضاة أن الصحافى يكتب ويتصور ان فوقه سيف قانون المطبوعات ، فارأفوا بهؤلاء الصحافيين التعساء !! ، أما أبو شادى بك فقال : انه كتب فى مذكرته الخاصة أبياتا شعرية أشد وطنية وحماسا وتهيجا من أبيات الغاياتى ، الذى لن يساوى أصغر الشعراء بجوار احمد نسيم وشوقى بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية ، وحافظ افندى ابراهيم وخليل افندى مطران ، أما محمد بك على فقال : أن المتهم (يقصد الشيخ جاويش) يتقدم الى حضرتكم وكله يقين بأن القانون المصرى الذى يفك عن المتهمين بالقتل قيودهم وأغلالهم ، مادموا فى حرم القضاء وذمته احتراما لمقام الحكم وتأييدا لحمية الدفاع لايسمح طبعا أن يعقل اليوم لسان المتهم عن أن يشكو بثه وحزنه اليكم وأنتم الأمناء على رعاية القانون وملجأه الأعلـى وكلمتكم هى الحد الفاصل بين الحق والباطل ٠٠٠

ومع ذلك ، فلقد وافق « الجناب الأفخم عباس حلمى باشا خديو مصر » على حكم محكمة جنايات مصر ، فى قضية النيابة

---

(٨٦) جريدة « اللـــواء » ، العدد السـابق ، ص ٥ و ٦ ، ، وكذلك العدد ٣٣٤٨ ، فى ٨ اغسطس سنة ١٩١٠ ، ص ٢ ٠

العمومية (نمرة ٦٧ سايرة الازبكية لسـنة ١٩١٠) بالحكم على الشيخ على الغاياتى غيابيا بالحبس لمدة سنة مع الشغل ، مع تبرئته من تهمة التحريض على القتل ، والحكم على الشيخ جاويش بالحبس ثلاثة أشهر حبسا بسيطا ، مع التنفيذ بتهمة تحسين ماجاء فى كتاب وطنيتى ، والحكم على الشيخ القزوينى ودياب أفندى الياس بالحبس شهرين مع ايقاف التنفيذ ٠

ومن قرائتنا « لحيثيات الحكم فى قضية الغاياتى »(٨٧) فهذه هى أبيات الشعر التى على أساسها تم اصدار الحكم السابق :ـ

ـ تحت عنوان : « طيف الوطنية » ص ٣٤ يقول :ـ

وولاة أقسـموا أن يسـجدوا
كلمـا رام العـدا منهـم مرامـا

ـ تحت عنوان : « الى سمو الأمير والوزارة والأمة » ص ٥٦ يقول : ـ

الا أمطـر الله الوزارة نقمـة
ولا بلغـت ممـا تـروم مرامـا

تحـاول أن تقضـى علينـا باثمهـا
ولكـن سـتلقى دون ذاك اثـاما

وزارة خـداع أقامتـه بيننـا
يـد الحـاكمـين الآثمين فقـاما

ـ بعد الحكم على الشيخ جاويش ص ٦٧ يقول :

---

(٨٧) العدد ٣٣٤٨ من جريدة « اللـواء » فى ٨ اغسطس سنة ١٩١٠ ، ص ٥ ٠

ياليت شعرى هل بدا
في مصر يوم أقمتم

حتى تصاربنا الحكو
مة عندما نتألم

وتسومنا سوء العقو
بة حينما نسترحم

– والى أعضاء الحكومة تحت عنوان « احتقار ام اغتصاب ؟»
يقول ص ٧٤ : –

فتزلزت أقدامكم من هولها
وهرعتموا فزعا الى الابواب

ورضيتموا الهرب المعيب لأنه
خير من الافلاس عند حساب

– ثم يقول صفحة ٧٥ للوزارة : –

عار عليكم أن يقال وزارة
لم تدر ان سئلت بيان جواب

هربت فرارا من ميادين السؤا
ل وسجلت ما سجلت من عاب

– وفى صفحة ٧٧ يقول فى « أهة مصرى ينوح على مصر »:

ظلمات من المظالم أودت
بضياء الحياة بعد الحياة

يشتكى الشعب والقضاة خصوم
فلمن يشتكى خصام القضاة

ـ ثم يقول الغاياتى موجها حديثه الى « سمو الأمير » ص ٥٥ و٥٦ :

ونيأس مـن آمالنـا فيـك كلمـا
قضـيت علينـا أن نكـون غضابـا

وارضيت اعـداء البـلاد وأهلهـا
وأصليتنا بعـد الوفـاق عـذابا

رويدك يا عبـاس لاتبلـغ المـدى
ولا تسـتمع للظالمين خطـابا

ـ ثم لتقريظه جريمتى دنجرا الهندى (الذى قتل السيركيرزون ويللى) والوردانى (لقتله بطرس باشا غالى ناظر النظار) ، فيقول « الى دنجرا قبل الاعدام » ص ٦٠ و ٦١ : ـ

هنيئا فقيد الهنـد نلت مدى المجد
وخلدك التاريخ فى مصـر والهند

وقدمت نفسـا للفـداء كبيـرة
لتبعث وجـدا فى النفوس على وجد

يمـوت ولكـن لايمـوت جهـاده
وعما قريـب تصبـح الهنـد للهندى

ـ والى « دنجرا بعد الاعدام » صفحة ٦١ يقول :

كيـف أرثيـك دنجـرا بمقـال
يـدعى القـوم أنـه اجـرام

مـت بالأمس والممـاة حيـاة
خلدتـهـا لذكـرك الأيـام

فســلام عليــك والدمــع جــار
وســـلام وفى القلــوب ضــرام

ـ والى ابراهيم افندى ناصف الوردانى يقول ص ١٠١ :

هــل خال ابراهيم عنـد وفاتـــه
أمـــلا من الآمـــال دون حياتـــه

حتى كـأن المــوت مـن رغبـــاته
ليكــون فى الأحيـــاء بعـد مماته

ـ والى ناظر الحقانية (وزير العدل) صفحة ٦٣ و٦٤ يقول الغاياتى :

حكمت فلم تنصف وقلت فلـم تصب
ورمت مــراما دونه الله والنـــاس

وبحــت بأســرار الــوزارة معلـــنا
وأبديــت مالـم يبـد غالــى وعباس

فأغضــبت فى مصــر القضــاء وأهله
وأرضــاك أن يرضى خوؤن ودساس

فلاتــك بعـد الآن للعـــدل موئـــلا
فغيـرك بعـد الآن للعـدل حـــراس

وحارب بســيف الظلم من شئت بيننا
فغايــة مايغنــى عـن الظلم افـــلاس

ـ وأخيرا فهو يقرظ الشيخ جاويش صفحة ٦٨ قائلا له :

ياساكن السجن الكريـ
ـم وأنت نعم الأكرم

ما السجن للشرفاء الـ
ـلا رفعة وتنعم

أنت البرىء ومن يخا
لك مجرما هو مجرم

***

((محاكمة الزعيم محمد فريد))

ذكرنا أن معظم القصائد التى احتواها كتاب « وطنيتى » لعلى الغاياتى ، سبق للصحف نشرها فى حينها ، ولم تجد النيابة فيهـا ما يستدعى المحاكمة ، الا أن الوزارة ــ أخذا بسياسة الشـدة التى انتهجتها حيال الحركة الوطنية ــ أوعزت الى النيابة بالتحقيق فيما ورد بالكتاب ، فأمرت بمصادرته ، وأخذت تحقق مع مؤلفه ، ومع الشيخ جاويش ، وأصدرت حكمها المتقدم ، أما الزعيم محمد فريد ، والذى اشترك أيضا فى تقديم الكتاب ، فقد كان أثناء التحقيق فى أوروبا يدافع عن قضية مصر ، وقد أرجأت النيابة اجراءاتها معه حتى يعود(٨٨) ...

واذا كان من الثابت ان الزعيم قد كتب مقدمته دون أن يطلع على محتويات الكتاب ، بل وقبل أن يتم الاستاذ الغاياتى من وضعه ، فلقد سلمها اليه فى فبراير سنة ١٩١٠ ، بينما الكتاب لم يظهر الا فى يوليو سنة ١٩١٠ ، وكان الزعيم قد سافر الى أوربا فى ٥ مايو ، فلم يكن من سبيل الى أن يراقب مايحتويه الكتاب ، أما المقدمة فى ذاتها فليس فيها ما يؤاخذ عليه ، ومهما قلبت الطرف فى عباراتها ، لاتجد فيها أية مسئولية قانونية ، ومع ذلك عدته النيابة شريكـا للمؤلف فى التهمة ، ولقد كانت الحكومة تريد بالحكم المتقدم على

---

(٨٨) عبد الرحمن الرافعى ، **محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية** ، ط ٣ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

الشيخ جاويش ألا يعود فريد بك الى مصر ، وقد أشاع خصومه أنه اعتزم أن لايعود خوفا من الحكم عليه ، فنفى هذه الاشاعة وهو فى أوروبا ، ونفاهـــا عنـــه أصـــدقاؤه والأقربون فى مصر ، ويرى الرافعى(٨٩) أنه بلغ من تأصل الوطنية الصحيحة فى بيت الزعيم أنه تلقى من كبرى كريماته خطابا بتاريخ ١٤ أغسطس ، ترغب اليه فى الحضور ، قالت : « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ماحكموا به على الشيخ عبد العزيز جاويش ، فذلك أشرف من أن يقال بأنكم هربتم ، وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم » ، وختمت خطابها بقولها : « وأختم جوابى بالتوسل اليكم باسم الوطنية والحرية ، التى تضحون كل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا ، وتتحملوا آلام السجن » . فهذه البطولة التى تتجلى فى ذلك الخطاب الكريم هى ثمرة الوطنية الحقة التى غرسها الزعيم فى أقرب الناس اليـــه واعزهم لديه .

وقد بدأت النيابة العمومية فى التحقيق مع الزعيم ، اثر عودته الى مصر فى أواخر ديسمبر سنة ١٩١٠ ونظرت القضية أمام محكمة جنايات مصر يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ، فانعقدت المحكمة برئاسة المستر دلبروجلى ، وعضوية كل من أحمد ذى الفقار بك وأمين بك على ، وجلس فى كرسى النيابة محمد توفيق نسيم بك ، وحضر الزعيم غير مصطحب أحدا من المحامين ، اكتفاء باقواله فى التحقيق ، وأن التهمة فى ذاتها لا أساس لها من الحق والقانون ، فلا تحتاج الى دفاع ، وقد سأله رئيس الجلسة عنها ، فأجاب قائلا : « فى الوقت المنسوب الى فيه تقريظ الكتاب كنت غائبا عن مصر ، لأنه ظهر فى آخر يونيه ، وأنا سافرت الى أوروبا فى ٥ مايو ، أما المقالة فكتبتها قبل صدور الكتاب ، ولا علم لى بالمسائل التى فيه ، لأن كثيرا منها

---

(٨٩) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

حدث ونظم شعره فى غيابى ، ولما كتبت المقالة كتبتها باعتقاد أنها مما لايعاقب عليه القانون » ، فقال رئيس الجلسة : انه لايمكن لواحد أن يكتب عما لايعتقده ، فكتابتك تدل الاستحسان لما فى الكتاب ، فأجاب الزعيم : « أنا لم أحسن الكتاب ، لأنى كتبت المقالة بدون أن أتعرض لما فى الكتاب ، وهى مما يصح أن ينشر فى جريدة أو مجلة أو كتاب ، وأنا قصدت بكتابتى الشعر من حيث هو »(٩٠) ، وقد صدر حكم المحكمة بحبس الزعيم ستة أشهر مع النفاذ ٠

وقد علق الرافعى على ذلك بقوله(٩١) : « ٠٠٠ وتبين للجميع أن القصد من رفع الدعوى العمومية لم يكن محاكمته على أمـــر معاقب عليه ، وانما هو التنكيل به وبالحركة الوطنية ، والقاء الرعب والفزع فى صفوف أنصارها ، لينصرف الناس عنها ، تفاديا من مثل هذا الاضطهاد الذى لقيه الرئيس » ، « ٠٠٠ ان الزعيم لـم يحاكم من أجل المقدمة التى كتبها ، بل من أجل موقفه العدائى من الاحتلال والحكومة ، وأن الغرض من محاكمته انما هو ارهابـه ومعاقبته على اخلاصه فى جهاده » ، « لقد كانت المحاكمة مأساة قضائية ووطنية وأخلاقية ، تلقى ظلا كثيفا على الحركة الوطنية » ٠

---

(٩٠) جريدة « اللــــواء » ، العدد ٣٤٨٧ فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ٠

(٩١) « محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية » صفحات ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ ٠

« أقوال الصحف فى قضية الغاياتى »

علقت الصحف جميعا على الأحكام التى صدرت فى قضية « وطنيتى » للغاياتى ، ولم ترض عنه واحدة منها لأنه « صادر ضد رجل من ذوى الأقلام » وقد استوت فى ذلك صحف المسلمين والاقباط والأجانب(٩٢) ، خاصة جريدة « المقطم » ـ المعروفة بميولها الاحتلالية ـ التى « شق » عليها « وهاج » عواطفها أن يصدر ذلك الحكم على خصيمها العتيد ، « وكأن ذلك الخصم القديم قد انقلب فى شعورنا دفعة واحدة الى صديق حميم »(٩٣) ٠

وقالت جريدة « الأجبشيان جازيت » : بأن الدلائل تدل على أن النيابة لاتعمل بمفردها فى تحقيق قضية الغاياتى ، بل ثمة يد انجليزى من وراء ستار لادارة التحقيق »(٩٤) ٠

وتحدثت (لوبرو جريه) قائلة بأن الجزء الأكبر من كتاب الشيخ الغاياتى عبارة عن ترجمة لقطع من الأدب الأوروبى ـ تقصد الأناشيد الوطنية الفرنسية ومنها المارسلييز ـ وأنها لم تر فيه الا تبسيطا يناسب العقلية المصرية ، ولكنه يهدف الى جذب القارىء بافهامه « أن محاربة الانجليز وحلفائهم ، والخديو وحكومته ، عمل

---

(٩٢) و (٩٣) « **العلم** » فى ١٩١١/١/٢٧ ، و « **المقطم** » فى ١٩١١/١/٢٣ ، من ابراهيم عبده ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ ٠

(٩٤) أنور الجندى ، **تطور الصحافة العربية فى مصر** ، (القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٧) ص ١٩٦ ٠

من الأعمال الوطنية »(٩٥) ، ولكنها عادت مرة أخرى تتحدث عن هذا الكتاب فقالت انه مؤلف سياسى لا أدبى ، ولم يكن أمامها من دليل تذكره الا أن محمد فريد بك والشيخ جاويش قدماه الى القراء ، ونادت الصحيفة بأنه اذا كانت النيابة قد وجهت التهمة الى الشيخ الغاياتى ، فيجب أن توجهها أيضا الى الاثنين الآخرين(٩٦) ٠

وقد كتبت جريدة « ايجبت شاناخر شتن » مقالا عنيفا كل العنف تحمل فيه على الحكومة حملة شعواء ، وتدافع عن فريد بك دفاعا لم نشهده فى أكثر الصحف العربية وطنية ٠ وتساءلت عن الجريمة التى اقترفها زعيم الحزب الوطنى ، وقررت أن مقدمة الكتاب لم تخرج عن كونها دراسة أدبية عامة ، وأبدت دهشتها من أن هذه المقدمة كتبت قبل اصدار الكتاب بشهرين ، وأن أكثر القصائد التى ضمها الكتاب كانت قد نشرت فى جريدة (اللواء) دون أن تتخذ الحكومة أى اجراء حيالها ، ولذا لم يدر فى خاطر فريد بك أن مافى الكتاب يقع تحت طائلة القانون ، بدليل عدم اهتمام الحكومة بما نشر فى (اللواء) ، واستبعدت الصحيفة عن نفسها شبهة مهاجمة الحكم فى ذاته خوفا من أن ينالها مانال غيرها ، ولكنها ذكرت فى صراحة أنها لاتصفق لهذا الحكم ولا توافق عليه ، وأنها واثقة كل الثقة من أن القضاة قد أصدروا حكمهم لا عن عاطفة صحيحة ولا عن تبصر معقول صادق ، ولكنهم نفذوا حرفية القانون ، « والقانون فى ذاته هو الشىء ، مادام يؤدى الى هذه النتائج الخرقاء » . واستطردت الجريدة فى كلامها قائلة ان الحكم على فريد بك كان نتيجة طبيعية « لما اختطته الحكومة لنفسها من نهج خلال السنتين

(٩٥) محمود نجيب أبو الليل ، **الأمانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية** ط ١ (القاهرة ، مطبعة التحرير ، ١٩٥٣) ص ٢٠٤ ، العدد الصادر فى ١٢ يوليو سنة ١٩١٠ .

(٩٦) عدد ١٦ يوليو سنة ١٩١٠ ، عن المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

الماضيتين حيال الصحف والنشر والاجتماعات ، من انذار وتعطيل للصحف ، وسجن ونفى للكتاب والخطباء »(٩٠) ٠

وقد طالب ريمون كولرا فى « ليجبت » : سمو الخديو أن يستعمل حقه فى العفو عن فريد بك ، ذاكرا أن الرأى العام جميعه ، والصحفيين منه خاصة يشاركونه هذا الرجاء(٩٨) ، ولكن « ايجبتشاناخر شتن » تذكر أنها لاتكتفى بذلك بل ترجو أن ترجع الحكومة عن تصرفاتها حيال حرية الرأى ، وتنتهج لنفسها خطة جديدة نحو الصحف الوطنية والاجنبية ، تقوم على الأفكار الحديثة فى الحرية والتساهل ، وأن هذه الفرصة هى أنسب الفرص لاتخاذ هذا الاجراء ، الذى يكون له أثره الحميد بين مختلف طوائف الشعب المصرى ، فتطبق بذلك المثل القائل « رب ضارة نافعة » ، فربما كان الحكم على فريد بك ، على مافيه من ضرر ، له أكبر النفع فى أن تعود الحكومة فتقرب مابينها وبين الشعب الذى تحكمه(٩٩)

وعن « كيف تقرظ الكتب ؟ » نشرت « اللواء » مقالة بتوقيع «طائف» يقول فيها ــ تعليقا على قضية تقريظ «وطنيتى» للغاياتى(١٠٠)

---

(٩٧) فى العدد الصادر يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ، من المرجع السابق ، ص ٢١٥ ــ ٢١٦ ٠

(٩٨) فى العدد الصادر يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١١ ، من المرجع السابق ، ص ٢١٧ ٠

(٩٩) فى العدد الصادر يوم ٢٤ يناير سنة ١٩١١ ، من المرجع السابق ، ص ٢١٧ ٠

(١٠٠) جريدة « **اللواء** » ، العدد ٣٣٣١ فى ١٩ يوليو سنة ١٩١٠ ، ص ١ ٠

بأن التقريظ فى هذا البلد أصبح ضربة لازب على كل كاتب يطلب منه ، فان تخلى عنه فانه لايتخلص من استماع عبارات تقريظ المؤلف لكتابه ، الا باستماع عبارات الالحاف والتوسل فى الرجاء والعتاب الثقيل ، ويطالب حضرات المؤلفين بارسال كتبهم الى المرقظين مع البريد ـ وليس مع أنفسهم ـ ليكون لهم الوقت الكافى للاطلاع ، ويطالب المؤلفين الذين يحبون أن تقرظ كتبهم بلا بحث ولا نظر . بالاحتجاج على القوانين الجديدة ، وقانون المطبوعات ، بشدة تماثل شدة الحكومة الحاضرة ، لتعود المياه الى مجاريها ·

ثم تعلق الجريدة ـ فى نفس العدد ـ بقولها « ليس كل مايكتب فى المدح والرثاء والذم حقيقى ، فان أكثره مبالغ فيه ، وانه لايستنهض الهمم ، والدليل على ذلك قول شوقى بك :ـ

(والشعب ان رام الحياة كبيرة
خاض الغمار دما الى آماله)

وعلقت « الاهرام » بأن مثل هذا النوع من المحاكمات ـ محاكمة محمد فريد بك ـ سيكون محضأة يحرك الجمر الذى غطاه الرماد ـ رماد السكون والهدوء(١٠١) ·



(١٠١) جريدة « الأهرام » ، ٢٤ يناير سنة ١٩١٠ ·

(الفصـــل الثــالث)

(هجرتى بعد وطنيتى)

- في الآستانة
- ثم الى جنيف
- منبر الشرق
- الى مصر مرتين

« فى الآســتانة »

بعد أن اصدر الشيخ على الغاياتى « وطنيتى » فى منتصف عام ١٩١٠ ، وحدث بعدها ماحدث من تطورات ، أدت الى فراره خارج الوطن ، فرارا استمر ٢٧ عاما ، عزم خلالها على أن يجمع مقالاته فى الخارج ، وقصائده الشــعرية ، فى كتاب يســمى « هجرتى » ، وقد ظلت هذه الأمنية تلازم الغاياتــى منذ عودته نهائيا الى مصر سنة ١٩٣٨[1] ، حتى قبل وفاته الى رحمة الله بأربعة أشهر ، حيث نشر تحت عنوان « هجرتى بعد وطنيتى »[2] يقول : « كنا نرجو منذ أعوام خلت أن نستطيع القيام بجمع وطبع كتاب (هجرتى بعد وطنيتى) وهو مجموعة نادرة لما سطرناه شعرا ونثرا فى خــلال غربتنا الطويلة ، ولكنا لم نوفق لانجاز ذلك الى الآن ، ونحن اليوم نجدد هذا الرجاء ، وسنعمل قريبا على تحقيقه بعون الله » .

وفى هذين الفصلين (الثالث والرابع) ، نحاول أن نحقق أمنية ذلك المجاهد الوطنى ، والتى لم يستطع أن يحققها ، ويخرجها الى النور ، فى حياته .

***

---

(١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الثالث ، فى ١٢ يونيو سنة ١٩٣٨ ، ص ٨ .

(٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٧٤ ، فى ٤ مايو سـنة ١٩٥٦ ، ص ١ .

ذكرنا أن الغاياتى خرج من القاهرة يوم الثلاثاء ٥ يوليو سنة ١٩١٠ ، قاصدا الاسكندرية فى طريقه الى تركيا ، وقد تعرف بالقطار على ضابط تركى ، قدم له نفسه باسم آخر هو (على محمود) ولكن الضابط التركى ظل يناديه طوال الرحلة بمحمود صالح أفندى !! ، وقد سافر الغاياتى بدون جواز سفر ، حيث أن ذلك لم يكن له أهمية فى ذلك الوقت ، وعندما وصلت « الباخرة الخديوية » الى استانبول ، قال الغاياتى للضابط ، أنه أخفى عنه حقيقة أسمه لأنه كان فارا من وجه السلطات البريطانية ... ، وأن اسمه هو : على الغاياتى ، فضحك الضابط طويلا ، وأخذ يتجاذب معه اطراف الحديث ، فلما استأذن منه للانصراف ، وقف يودع الغاياتى وهو يقول : « مع السلامة محمود صالح أفندى !! » ، وقد روى مراسل جريدة « المقطم » فى الاستانة ـ الاستاذ ابراهيم النجار ـ رواية أخرى ، يقول فيها(٣) : انه اجتمع بالشيخ على الغاياتى ، فحدثه فى أسباب فراره ، فأنبأه ـ بعد أن أعطاه نسخة من ديوانه ـ بأنه طبع منه ألفى نسخة وزع منها ألفا وستمائة قبل سفره (فى الفصل الأول قال ألف نسخة فقط) .

كما أخبره بأنه قد غير ملابسه الأزهرية وارتدى طربوشا ، وحمل شمسية زيادة فى التخفى عن أعين البوليس ، وقد التقى بكبير من رجال الضبط ، فخاف أن يعرفه ، وكان معه كتاب من صاحب جريدة « دار الخلافة » التى تطبع فى الاستانة ، لوكيله يقول له فيه ، بأنه يأذن « للغاياتى » فى تحرير الجريدة عند وصوله. فمزق « الغاياتى » ذلك الكتاب ، حتى اذا قبضت الحكومة عليه لاتتهمه بالفرار من وجه القضاء ، الا أن رجل الضبط هذا لم يستطع التعرف على : « الغاياتى »

---

(٣) نقلا عن جريدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٣٧ ، فى ٢٦ يوليو سنة ١٩١٠ ، ص ٤ .

وقد نظم « الغاياتى » قصيدة طويلة عند بدء فراقه للوطن العزيز ، وهو على سطح الباخرة فى الاسكندرية يوم ٦ يوليو . بعنوان « هجرتى بعد وطنيتى » يقول فيها :

وعند فراق الثغــر أســيلت دمعة
ورب فــراق انكرتــه المدامــع

لئــن كــان غيرى قــد عصته دموعه
فان عصــى الدمــع عندى طائع(٤)

وفى « الاستانة العلية » ـ كما يقول الغاياتى ـ علــم بأن الحكومة بدأت فى تفتيش المنازل والمكتبات ، والمحلات ، عن أى نسخة من ديوانه ، حتى ان ثمن النسخة منه ارتفع من خمسة قروش الى مائة قرش ، ومع ذلك لم يصل الى يد « الغاياتى » الا ستة جنيهات فقط ، حملها اليه أحد اصدقائه الذين وفدوا اليه من القاهرة ، وقد علم ايضا « الغاياتى » هناك ، بأن محكمة الجنايات فى مصر ، قد حددت لمحاكمته ومحاكمة الشيخ جاويش يوما محددا ، وكانت جنح النشر والصحافة تنظر أمام محكمة الجنح ، الا ان الحكومة عدلت القانون، وجعلت الاختصاص فى نظر قضايا الصحف جميعا ـ ولو كانت جنحا ـ لمحكمة الجنايات ، وكان أول تطبيق لهذا التعديل فى قضية ديوان « وطنيتى » ! .

وعندئذ ارسل « الغاياتى » كتابا الى جريدة « الاهرام »(٥) ، به جزء من مقدمة كتابه ، وان هذه المقدمة تحتوى على عدة أغراض وشؤون وطنية ، لم يطلع عليها احد من قبل « فأين كان قريد بــك

---

(٤) مختــار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

(٥) عن جريدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٢٨ ، فى ٧ يوليو سنة ١٩١٠ ، ص ٤ .

والشيخ عبد العزيز ، أما والله انهما لأبعد عن سوء مايظنون وأبرأ الناس من اسرارى وغاياتى » ، ثم يقول : « ماذا جنيا وقد جئتهما راجيا أن ينفحانى بكليمات من كلماتهم الحكيمة فى الشعر وتأثيره فى تربية الأمم قائلا لهما عن حسن نية : انى سأجمع مانظمته فى الحوادث الوطنية فى كتاب أسميه (وطنيتى) وقد شئت أن يكون لكتابى ميزة بقولكما وخطكما ورسمكما ، وأنتما أعلم بأنى لا أعنى بالنظم فى غير الشئون التاريخية النافعة ، وقد عرفتما مما نشرته فى « اللواء » و « العلم » مذهبى فى الشعر فعسى أن تجيبا رجائى بعد ذلك ، وقد سألتهما اجابة هذا الرجاء المرة بعد المرة حتى أجاباه ،ولم يريدا أن يجعلا كلمتيهما تقريظا بحتا لكتاب لم يعرفا محتوياته الا قليلا بل سلكا مسلك الحكمة فيما كتباه » ، وأكد الغاياتى على أن فريد بك قد أعطاه كلمته « مسودة » وقد سافر الى أوروبا ، وهو للآن لم ير كتابه ، ولم يعلم من أمره الا انه متهم أمـــام الحكومة لأجله !

كما قال الغاياتى فى كتابه السابق « للاهرام » بانه قد تعرف فى رحلته الى الآستانة ، مستشرقا ألمانيا ، وعد بترجمة كتابه الى الالمانية والفرنسوية ، وهو يريد السفر معه الى المانيا أو سويسرا ، ليتعلم ماشاء ، ويقضى رحلته فى خمس ســـنين يعود بعدها الى مصر ، ولكننا لم نتأكد من قيام هذا المستشرق بتلك الترجمة ٠

وقد شاع فى أنحاء مصر ـ والغاياتى كان مايزال فى استانبول ـ بأن الغاياتى قد غادر الاستانة فى طريقه الى سويسره ، لعلمه بأن الحكومة المصرية بعثت تطلب من الاستانة تسليمه اليها ، وقد رجحت جريدة « اللواء » بأن الحكومة المصرية لن تطلب تســليم الغاياتى من الحكومة العثمانية ، لانها اذا فتحت هذا البـــاب ، سألتها الحكومة العثمانية ان تسلمها جميع الرجعيين المقيمين فى

مصر ، وكثيرون منهم قد صدرت عليهم أحكام من المحاكم ، ثم قالت الجريدة : « على انه اذا كان فى نية الحكومة أن تطلب تسليم الغاياتى ، فانما تطلبه اذا صدر عليه حكم لا قبل الحكم »(٦) ·

وقد نشر الغاياتى قصيدة طويلة فى الاستانة ، بعد أن علم بتفتيش البوليس لداره فى القاهرة ، وكيف أن البوليس تركها على أسوأ حال ، يقول فيها(٧) :

فماذا رأى العـــادون فى دارى التى
آحـــن اليهـــا كلمـــا راح لامـــع

لقـد ابصـــروا الاقـلام والكتب بينها
فياليتهـــا اذ أبصـــروهـــا مدافـــع

وعند مرور الزعيم محمد فريد بالاستانة قادما من أوروبا فى طريقه الى مصر ، ذهب الغاياتى لمقابلته ، وعـــرض عليه ــ من منطلق الوطنية ــ أن يعود معه ، لو كان فى ذلك تحسين لمركزه أمام القضاء المصرى ، أو تخفيف لمسئوليته ، ولكن فريد رفض هذه الفكرة وبقى الغاياتى فى استانبول ، حيث ذهب بعد ذلك لزيارة فريد بك بفندق (تاكو تليان) الشهير باستانبول ، فدخل بعض الضباط الشبان فى الجيش التركى ، فقدم فريد بك أحدهم الى الغاياتى وهو يقول : « عزيز على المصرى » وكانت هذه هى المرة الاولى التى يتعرف فيها بذلك الضابط ، الذى عاد الى مصر بعد انتهاء الحرب العالميـــة الأولى ، وشغل منصب رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، وكان القائد الروحى لثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ·

---

(٦) جريدة « اللــواء » ، العدد ٣٣٣٩ ، فى ٢٨ يوليو سنة ١٩١٠ ،
(٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الثانى ، ٥ يونيو ســنة ١٩٣٨ ، ص ٨ ·

ويقول الغاياتى فى ذكرياته فى الاستانة(٨) ، بأنه قد نشر
قصيدة طويلة فى مجلة من أشهر المجلات التركية التى كانت تصد
هناك اذ ذاك واسمها « صراط مستقيم » وجعل عنوانها « هجر
بعد وطنيتى » ، وقد أسمع هذه القصيدة قبل نشرها لكل من المرحو
محمد بك فريد ، وكان معه المرحوم عزت شـــكرى بك ، وذلك ف
صباح احد الايام بقهوة (طو قتليان) الشهيرة ، فحازت الرضا
والاستحسان ، ولكنها لم تحز مثل ذلك بالطبع لدى ذوى الأمر هنا
فى تلك الأزمان الغابرة ، يقول فى بدايتها : ـ

ايمنعنى خـوض الكريهـة مانـــع
وهذا يـــراعى قـــد برتـه المعامـع

بلوت الليـالى وهــو ســود عوابس
وعــدت فعادت وهــى بيض نواصـع

وفيها يقول أيضا :

ولســت أرى ســجن الكـرام مهـانة
ولكنــه للمجــد والحمد جامــع ٠٠!

فــان ســجنوا (عبد العزيز) فانــه
لــه بين حبـات القلـوب مرابـــع

ورامـــوا (فريدا) مثلــه وترقبــوا
لقــاه ، وفى هذا اللقـــاء مصـارع

اذا كنت بالتاليـف أصـبحت جانـيا
وســجنى عــاما فيه للحر قامع ٠٠ !

---

(٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد الثالث ، ١٢ يونيو سنة ١٩٣٨ ،
ص ٨ ٠

فمــا كان تقريــظ الكتــاب جنــاية
ولكن أعــداء البلاد تخــادع ٠٠ !

لقــد حبســوها فرصــة فتربصــوا
عســى أن تروع الشعب تلك الزعازع

وما الشــعب الا صــارم جــاد صقله
وكــل ســيجنى منه ما هــو زارع

الى أن قال :

وما (هجرتى) من مصر هجرة هاجر
لهــا أوجبــان روعتــه الروائــع

ولكنهــا والشــعب يشــهد هجــرة
لهــا اثــر بيــن المحــامد شــائع

فتحت بهــا حصــنا فمــن شــاء أمه
وبــات بــه يرمــى العدا وهو دارع

وقد تولى « على الغاياتى » عند وصوله الى دار الســعادة (استانبول) ، رياسة تحرير جريدة عربية أسبوعية ، كانت تصدر فى عاصمة السلطنة العثمانية تسمى « دار الخلافة » ، كان صاحب امتيازها « عبد الوهاب عبد الصمد » وهو شاب من طرابلس الغــرب (بليبيا) كانت له صلات متينة برجال الاتحاد والترقى فى تركيا ، والحزب الوطنى فى مصر ، وقد كتب على رأس الجريدة فى أول الأمر أن المدير المسئول ورئيس التحرير هو : « الشيخ ع٠غ » ، ثم استعيض عن ذلك ـ بعد قليل ـ بالاســم الصــريح : « على الغاياتى » ، فحل محل الشيخ ع٠غ المذكور ، وقد صودرت بالطبع هذه الصحيفة فى القطر المصرى بسبب مقالات مديرهــا الجديد الملتهبة حماسة وشبابا !

وقد كانت هذه الجريدة أقرب الى صوت الحزب الوطنى فى الخارج ، فقد هاجمت الوجود الاحتلالى بأقصى عنف وشبهت طغيان الانجليز بطغيان السلطان عبد الحميد ، كما لم تتوان عن نشر أشعار تهاجم الخديو وذلك فى عددها الصادر يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٠ ، وتطالبه بالثورة وسفك الدماء ، وأكثر من ذلك أن كل أعداد « دار الخلافة » تقريبا قد امتلأت بتمجيد ذكرى الوردانى »(٩) (ابراهيم ناصف الوردانى الذى قام باغتيال بطرس باشا غالى رئيس الوزراء المصرى فى فبراير سنة ١٩١٠) ٠

وقد نشر « الغاياتى » فى جريدة « دار الخلافة » فى عددها الصادر يوم ٩ من رمضان سنة ١٣٢٨ هـ الموافق ١٣ من سبتمبر سنة ١٩١٠ م ، قصيدة تحت عنوان : « مصر ودار السعادة » يقول فى مطلعها(١٠) :

دار السعادة هل أتاك مخبر
يشكو لديك شقاء مصر وينشر ؟

النيل من حمر المدامع فائض
والوجد فى أحشائه يتسعر

لهفى على النيل الحزين وشعبه
وفؤادى المضنى به يتفطر

وقد غادر الغاياتى استانبول يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩١٠ ، متجها الى جنيف ، مارا بفينا ٠

---

(٩) يونان لبيب رزق ، **الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ – ١٩١٤)** (القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٠) ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ٠

(١٠) جريدة « **منبر الشرق** » ، العدد الثامن ، فى ١٩ يوليو ١٩٣٨ ، ص ٨ ٠

(ثم الى جنيف)

وصل الغاياتى الى جنيف قادما من الاستانة مساء يوم السبت ٣ ديسمبر سنة ١٩١٠ ، وذلك بقطار الشرق الذى غادر الآستانة مساء الثلاثاء ٢٩ نوفمبر ، مارا بفيينا عاصمة النمسا فى مساء الخميس التالى . أما لماذا اختار هذه المدينة بالذات فيقول : لأنه سمع من محمد فريد أن بها عددا غير قليل من شباب العرب وفدوا اليها من أقطار عربية مختلفة ، وانهم فى حاجة الى من يدرس لهم اللغة العربية ، ولما تهيأ للسفر الى جنيف اهتم بتعلم اللغة الفرنسية ، وكان قد بدأ يتلقى بعض دروس فيها فى مصر ، فى تلك المدرسة التى انشأها الشيخ جاويش ، ليتعلم فيها الشبان الأزهريون هذه اللغة ، ويلموا بشىء من الثقافة الحديثة ، فلما هاجر (الغاياتى) الى استانبول ، استأنف دروسه فى الفرنسية على يد مدرس يهودى بها ، كما كان يعلم نفسه بقراءة اسماء المحال التجارية المكتوبة على اللافتات ، وفى هذه الفترة وصل الدكتور محمود عزمى (الصحفى المشهور ، وأول عميد لمعهد التحرير والترجمة والصحافة بجامعة القاهرة) الى استانبول ، فألتقى بالغاياتى وغيره من الشبان المصريين واللاجئين . الى عاصمة الخلافة ، وقد أطلع عزمى ــ الذى كان مايزال طالبا ضمن البعثة العلمية المصرية الى باريس ــ خطابا ورد من خطيبته الفرنسية ــ والتى تزوج منها فيما بعد ــ الى الغاياتى واخوانه فى قهوة (مسرة) باستانبول ، وقد اعتبر الغاياتى الاستماع الى هذا الخطاب درسا فى الفرنسية !!

وقد استقبل الغاياتى على محطة جنيف عند وصوله(١١) ، أحد الطلبة المصريين الوطنيين وهو الأستاذ خليل مدكور (الموظف الآن بادارة الأزهر الشريف ـ سنة ١٩٥٤) ، ومع ذلك فلقد كان احساس الغاياتى بالغربة عن أرض الوطن فى بداية الأمر ، شديدا لدرجة جعلته ينظم شعرا « باللغة العامية » يقول فيه(١٢) :ـ

يانيـــل أنـــا بشـــكى الهـــوى
مــن يــوم ماشــفتك فـــى هــوان

حبـــك رمـــــانى بالنـــوى
ورمـــاك بأشـــجانى كمـــان

ومن طريف ذكرياته الأولى فى جنيف(١٣) ، أنه بعد أن خلع الزى العربى ، وارتدى القبعة والبدلة ، أراد أن يسجل لنفسه صورة بالعمامة والجبة والقفطان توديعا لزيه ، فذهب الى أحد المصورين بهذا الزى ، وتصادف أن السويسريين كانوا يحتفلون بأحد أعيادهم القومية ، ويسمى « عيد التسلق » ، وهو عيد يلبس فيه السويسريون ملابس تنكرية ، فظن الاطفال ، أن الغاياتى يشارك فى هذا العيد بهذا الزى الغريب ، فالتفوا حوله ، وأخذوا يشيرون اليه مبتهجين ضاحكين ، وهو يحسب أنهم يضحكون من عمته وجبته ، وهم فى واقع الأمر . معجبين باختياره زيا لم يفطن أحد الى ارتدائه !!

وكان أول ما اتجه اليه اهتمام الغاياتى ، هو البحث عن الشبان

---

(١١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٠٨ ، فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، ص ١ .

(١٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد السادس ، ٣ يوليو سنة ١٩٣٨ ، ص ٨ .

(١٣) فتحى رضوان ، **عصر ورجال** ، ص ٣٠٨ ــ ٣١٠ .

العـــرب الذين قال عنهم فريد .انهم كثيرون فى جنيف . وانهم في حاجة الى مدرس فى اللغة العربية ، فلم يجد لهم اثرا ، فاضطر الى عرض نفسه على ادارة معهد (لانس) لتعليم اللغات ، ليعلم بـــه العربية لن يحب أن يتعلمها من السويسريين والاوربيين الآخرين ، وفى هذا الوقت كان الخديو عباس قد عزل من عرش مصر (تولى السلطان حسين كامل عرش مصر من بعده يوم ١٩ ديسمبر ســنة ١٩١٤) ونشر فى الصحف أن ولديه عبد المنعم وعبد القادر سيفدان الى جنيف ، وسيلحقان فيها بمعهد (لانس) ، وفى ذات يوم كان الغاياتى فى أحد أبهاء هذا المعهد ، فلقى شابين مصريين ، فوقف يتجاذب معهما الحديث فقال انه سمع أن ولدى الخديو سينخرطان فى سلك هذا المعهد ، فأمن الشابان على هذا القول ، فتســاءل : متى ياترى سيحضران ؟ فقال أحدهما : انهما حضرا الى المعهد بالفعل ، فقال الغاياتى : وأين هما الآن لأراهما ؟ فقال الشاب :

« انهما معك .. يتحدثان اليك !! » .

وكان من بين الطلبة المصريين الذين عرفهم « الغاياتى » فى جنيف ، شاب وطنى كريم اسمه « الأمير العطار » ، كان قد سـبق أن عرفه فى مصر قبل هجرته ، وكانت خطيبته ، ثم قرينته السويسرية الشقراء ، واسطة فى معرفة الشيخ « على الغاياتى » بصديقة لها ، لم يلبث أن اقترن بها بعد ذلك ، وكان « الأمير العطار » أحد شاهدى عقد الزواج ، والشاهد الثانى هو الأستاذ « خليل مدكور » .

وبعد زواج « الغاياتى » بدأ يتطلع الى تعلم اللغة الفرنسية بدرجة اكبر ليتمكن من الدراسة فى الجامعة ، وكان هو قد رغب فى الالتحاق بكلية العلوم الاجتماعية ، وقدم طلبا بالفعل باعتبار أنه كان طالبا بمعهد دمياط ، وهو تابع للأزهر الشريف ، والأزهر عندهم يعتبر من أكبر الجامعات العربية ، وقد قبلوه فعلا بسجل

الطلاب الجامعيين فى يناير سنة ١٩١١ ، وأخذ يحضر الدروس والمحاضرات المختلفة ، وكانت تعينه فى دراسته خطيبته ثم زوجته السويسرية ، فكانت تكتب له المذكرات ، وتعينه فى فهم اللغة الفرنسية وايضاح ما يستعصى عليه فهمه من عباراتها، ولكنه بعد أن بقى بالجامعة ثلاث سنوات ودرس فيها البرنامج المطلوب وسواه ، لم يتقدم لأى امتحان ولم يحصل على شهادة جامعية لأنه لم يستطع القيام بالالتزامات المالية ، وكان قد سبق أن تزوج وأنجب ، ودهمته الحرب العالمية الأولى ، فقلت موارده لسفر أكثر تلاميذه الى ديارهم ، ولغلاء المعيشة(١٤) ٠

وقد بدأ « الغاياتى » فى مراسلة صحيفة الحزب الوطنى حينذاك وهى « العلم » ، من مقر اقامته فى جنيف ، مقابل ثلاثة جنيهات فى الشهر ، كانت تعينه ــ لو استمرت ــ على تكاليف الحياة هناك ، حتى يجد عملا ، ولكنه لم يتلق سوى مرتب شهرين اثنين فقط ، انقطع بعدهما وروده اليه ، وقد حزن حزنا شديداً بعد معرفته سبب ذلك ، فقد علم فيما بعد أن أحد الأشخاص ــ لم يذكر اسمه ــ اقترح للدفاع عن « محمد فريد » أن يقال أن « الغاياتى » كان مدسوسا عليه من الحكومة ، والظاهر أن هذا الاقتراح « الطائش » ــ وان كان قد رفض ــ الا أن الألسن تداولته ، وفى ظل هذه البلبلة التى أحدثها ، رؤى أن يقطع صلة جريدة الحزب بالغاياتى ٠٠ « وهكذا يساء الى الابرياء برعونة البلهاء » ، الا أن الغاياتى استطاع أن يحصل على قوت يومه بتدريس اللغة العربية لبعض الشبان المصريين والعرب القليلين الذين كانوا يطلبون العلم فى جنيف ٠

وقد علم الغاياتى وهو فى سويسرا ، بأن الاحداث فى مصر (خاصة بعد استقالة وزارة محمد سعيد باشا فى ٣ ابريل سنة ١٩١٤ ، وتشكيل وزارة جديدة برئاسة حسين رشدى باشا فى ٥

---

(١٤) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٣١٢ ــ ٣١٣ ٠

أبريل) أن يشارك بقلمه وأفكاره فأرسل الى جريدة « الاهرام » ، مقالا تحت عنوان « الوحدة الوطنية المصرية »(١٥) يقول فيها :

« أقدم اليكم تحيتى واحترامى ، وادعوكم الى مايدعونى اليه ضميرى ويبعثنى عليه وجدانى من العمل على جمع كلمة الأمة ، ومحو مايفرقها شيعا وأحزابا ، ويحول بينها وبين الوحدة الوطنية التى قلما يجدى شىء بدونها فى تحرير البلاد ، وبلوغها المبلغ المأمول ، وأسألكم بحق مصر عليكم أن تكتبوا فى هذا الموضوع الأساسى لرقى الوطن وحياته كلمة ، بل كلمات ، تدعون فيها المصريين كافة الى الاتحاد والوئام بدل الانقسام والخصام ، وتبينون لهم ضرر تعدد الأحزاب ، وتفرق الكلمة ، وتشيرون عليهم بأن يستبدلوا بهذه الأحزاب (١٦) ، حزبا واحدا هو « حزب الوحدة الوطنية » الذى يجب على كل مصرى عاقل أن يعمل على ايجاده ، والانضمام اليه ، حبا فى مصر ، وانقاذا لها من الهاوية التى رماها فيها رامى الخلاف والتفريق ، والتى لايمكن خلاصها منها مادامت على هذه الحال ... »

وقد علق رئيس تحرير « الاهرام » فى نفس العدد (الصادر يوم ٨ ابريل سنة ١٩١٤) بكلمة بليغة مسهبة أقر فيها الغاياتى على ماكتبه ، حتى لايتدخل الانجليز فى كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ، ولأن « الوحدة الوطنية المصرية ، هى وحدها سفينة النجاة ، بل سلم الرقى والنجاح والاخلاص ، فمن أحب مصر عمل لها وحدها

---

(١٥) ابراهيم عبده ، جريدة الأهرام : تاريخ وفن ، (القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٦٤) ص ٣٣٥ ، وقد أعاد الغاياتى نشر مقالته فى جريدته « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٧ فى ٥ يناير سنة ١٩٤٥ ، ص ١ .

(١٦) وهذه الأحزاب هى : الاصلاح على المبادىء الدستورية ـ الوطنى الحر (الأحرار) ـ الحزب الدستورى ـ النبلاء ـ المصرى ـ الأمة ـ الوطنى ـ ، راجع : يونان لبيب رزق ، مرجع سابق ، ص ٢٣ : ٧١ .

دون سواها ، ومن كان حربا عليها ، كان حربا على مصر لايريد بها خيرا ، ولا يرعى فيها ذمة ولا آلا » ٠

وكانت البداية الحقيقية للعمل فى جنيف ، هى عمل الغاياتى بالترجمة والكتابة فى الصحف السويسرية ٠٠ أكثرها فى جنيف ، وبعضها فى لوزان وغيرها ، فعمل فى أكبر وأوسع صحفها وهى (تريبون دى جنيف) و(جورنال دى جنيف) و (لاسويس) ، كما راسل جريدة (جازيت دى لوزان) بمدينة لوزان وكانت تدفع له ثلاثين فرنكا عن المقال الواحد ، وقد انتهى به الأمر الى أنه أصبح يتقاضى من (تريبون دى جنيف) مرتبا شهريا قدره ٣٠٠ فرنكا ، بعد أن كان يتقاضى مكافآت عن القطع التى يقدمها فقط ، وقد ظل الغاياتى فى هيئة تحرير هذه الجريدة عشرة أعوام (من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٤) وأصبح كسائر محرريها ، عضوا فى نقابة صحافة جنيف(١٧) ٠



---

(١٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٣٠ ، فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، ص ١ ٠

(منبر الشرق)

(La Tribune d'Orient)

ولكن لما قامت الثورة المصرية فى سنة ١٩١٩ ، وأخذ الغاياتى يدافع عنها ويدعو لها ، قل ماكانت تنشره الصحف السويسرية له ، وقد كان النشاط الصحفى محجورا عليه فى مصر والخارج خلال الحرب العالمية الأولى ، وقد استمرت الصحافة بين التضييق والتيسير ولم يكن هناك محل لصحف مصرية تصدر فى أوروبا ، خاصة بعد ان بدأت حياة مصر تستقر فى الداخل ، لولا الغاياتى (ذلك المصرى ذو التاريخ فى الحزب الوطنى(١٨) فلحسابه الخاص ، أصدر جريدة عربية فرنسية أسماها بالعربية : « منبر الشرق » وبالفرنسية : «La Tribune d'Orient» ، وكان المرحوم الاستاذ رياض الصلح (رئيس الوزراء اللبنانى بعد الحرب العالمية الثانية) قد اقترح عليه ان يسميها « منبر العرب » ، ولكن الغاياتى آثر أن تكون جريدته لسان حال حركات التحرير فى الشرق كله ٠

ويروى الغاياتى فى ذكرياته(١٩) عن تلك التجربة الفريدة فى تاريخ صحافتنا المصرية ، وكيف أنها كانت تصدر فى أربع صفحات ثلاث منها باللغة الفرنسية ، والرابعة باللغة العربية ، ولما لم تكن هناك

---

(١٨) ابراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ٠

(١٩) جريدة ((منبر الشرق)) ، العدد الاول ، فى ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ، ص ١ ٠

فى جنيف مطبعة عربية ، فقد كان الغاياتي يكتب هذه الصفحة من أولها الى آخرها بخطه ، ثم تحفر على الزنكوغراف . فاذا وقع فيها خطأ واحد ، لم يشطبه بل يعيد كتابة الصفحة من أولها الى آخرها ثانية ، وتسمى هذه الطريقة بالألمانية (مانول) ، ولكن هذا المجهود أضناه ، أمام صفحة واحدة كثيرة المتاعب ، كبيرة النفقات، فاشترى حروف مطبعة عربية من ألمانيا ، وتعلم صف الحروف ، وتولى بنفسه جمع حروف هذه الصفحة ، ولكنه لم يجد لهذه الصفحة العربية ـ والتى كانت تتقاضاه من الجهد ، مالا تتقاضاه الصفحات الثلاث الأخرى ـ صدى عند العرب ، فرأى الاكتفاء باصدارها باللغة الفرنسية ، وهى لغة البلاد التى تصدر فيها ، والأوساط التى تريد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت فى الشرق والغرب ، وبات لها ذكر حسن واسم معروف ، وخاصة فى مركز جمعية الأمم التى عملت فيه ما استطاعت على خدمة مصر والشرق والاسلام ، ويرجع الفضل فى نجاحها كما يقول صاحبها ٠٠ اليه والى بعض البيوتات التجارية فى جنيف والتى أمدته باعلاناتها ، ثم يحمل على المصريين البخلاء ذوى المال والجاه « الذين لايزالون مدينين لهذه الجريدة بالكثير أو القليل » ٠٠

وقد صدرت « منبر الشرق » بالفرنسية أو « تريبيون دوريان » فى يوم الأحد ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ (٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٠)، واستمرت تصدر فى انتظام عجيب حتى يوم الأربعاء ٢٦ مايو سنة ١٩٢٧ (١٦ ربيع أول سنة ١٣٥٦) وسط صعوبات مالية وسياسية فوق كل تصور ، صمد لها الغاياتي فى استبسال وصبر جديرين بكل اعجاب ، وان لم يظفر من مواطنيه بالتأييد والمعونة ، فى وقت كانت البلاد فى أشد الحاجة الى مثل هذه الجريدة التى سمابها صاحبها فوق الخلافات الحزبية ، لتبقى خالصة للوطن ، لاتعرف الا مصر ، ومصلحة مصر ، وأن يكون الشرق للشرقيين ٠

وعندما دخلت الجريدة (السنة العشرون) وكان الغاياتى قد عاد الى مصر ، نشر فى جريدته « منبر الشرق »(٢٠) ، صورة لمكتب الجريدة فى سويسرا الحرة ، وكان فى شارع من أهم شوارع جنيف الجميلة ، والعلم المصرى يخفق على احدى نوافذه ، وكذلك صورة زنكوغرافية للعدد الأول الذى صدر بجنيف يوم ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وقد أعلن الغاياتى فى صدرها « بأنها جريدة نصف شهرية أنشئت للدفاع عن حقوق الشرق الناهض ـ تصدر بالعربية والفرنسية فى جنيف مركز جمعية الأمم » ، وان الاشتراك السنوى :

فى سويسرا ١٠ فرنكات وفى الخارج ٢٠ فرنكا ·

كما نشر داخل برواز فهرست القسم الفرنسى ويشتمل على :

الى القراء ـ الشرق والغرب أو الاسلام والنصرانية ـ اضطراب الشرق وحالة ايران ـ « المذابح ! » ـ المسألة السورية ـ شؤون مصر ـ رسالة على بك كامل ـ نداء حرم زغلول باشا ·

وهذه هى نص مقالة على الغاياتى فى العدد الأول ـ الصفحة العربية ـ وكانت تحت عنوان « ما أردناه ومانرجوه » : « ان الاعوام الطويلة التى قضيناها فى هذه البلاد ، وخصوصا ابان الحرب الكبرى · قد علمتنا كثيرا من مرامى السياسة ، ومآرب الصحافة ومعانى الجهاد القلمى ، واسرار نشر الدعوة ، ادركنا كذلك مقدار مصاب الشرقيين بانفسهم أولا ، وبالغرب الطامع فيهم ثانيا ، فلم نجد خيرا من اصدار صحيفة شرقية فى هذا الوسط همها الدفاع عن حقوق الشرق الناهض ، وتقريب مسافة (الخلف) بينه وبين الغرب ذى القوة والسلطان ، والبطش والعدوان ، ولما كانت جنيف قد باتت

---

(٢٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٣٨ ، فى ٧ فبراير سنة ١٩٤١ ، ص ١ ·

مركز جمعية الأمم ، ومرصد سياسة العالم ، كان من الواجب فيها المبادرة بنشر تلك الجريدة لتحمل الى هذه الجمعية المباركة ما قد لا تعلمه من الام الشرقيين ومن امالهم ، وتساعدها بذلك على القيام بمهمتها من اقامة معالم العدل ، ونشر لواء الاخاء والسلام بين الأمم والشعوب ، هذا ما أردناه ومانرجوه والله الموفق » .

أما مقالة الغاياتى الثانية ـ في الصفحة العربية من العدد الأول الصادر فى جنيف يوم ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ ، فكانت تحت عنوان « سعد باشا » ، حيث كان سعد باشا زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ ، فى منفاه مع خيرة صحبه ، وكيف استقبله شعب وادى النيل قبل عشرة أشهر ، ثم ينظم فى « سعد باشا زغلول » قصيدة طويلة يقول فيها :

نظموا فيك أيها العلم
دررا قيل انها كلم

وهل عندى أجل جوهرة
حملت تاج مصر لو علموا

بك ياسعد هام شاعرهم
مثلما هام النيل والهرم

وجرت فيك من قصائدهم
أبحر من النور والحكم

الى أن قال :

طال عهدى بموقف الشعرا
ء و بينى وبينهم ذمم

ان نسونى فما نسيتهمو
أو جفونى فما جفو تهمو

ان أمــت او أعيش بقيــت علــى
العهد أشــقى بــه وقـد نعمــوا

هيــج النفس ذكــر مصـر فبــا
ت عصـــــى القـريض ينتظــم

ومن الحنين الى الوطن فى العدد الأول الى محنة الاسلام فى العدد الثانى فيقول :

ادركــوا الاســلام فــى دولتـه
هتــك العــادون مــن حرمتـه

أمطروا النيــران فــى أوطانــه
صــعقوا الأرواح فــى أمتــه

حاولــوا تمزيقــه فــى أرضــه
ومضــى كــل الــى طعنتــه

الى أن يقول :

ولعمــرى نحـن أسـباب الـردى
فلنــذق ما مــر مــن صـدمته

قـد اضعنـا الديــن والدنيـا فلم
نتحـد الغـرب فــى نهضــته(٢١)

***

وقد تزوج « على الغاياتى » فى جنيف بسيدة سويسرية فاضلة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ ورزق منها بولد ، وخمس بنات ، وقد كان يلقى المصريين فى داره ، فيحتفى بهم ، ويســرف فى الحفاوة

---

(٢١) عن مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

ويخدمهم ، ويتفانى فى الخدمة ، ثم لا ينفك يتحدث معهم عن مصر ، ونيل مصر ، وجو مصر ، فاذا سمع غناء مصريا هطلت الدموع من عينيه على خديه ، كأنه طفل ذكر أمه ، فاجتاحته نوبات الحنين ، وقد تحدث ارحوم « أحمد حسين » زعيم «مصر الفتاة»(٢٢) ، عن جنيف ومكانة الاستاذ الغاياتى فيها ، حيث كانت بحق عاصمة العالم الدولية ، فهى مقر « عصبة الأمم » ، ومدينة المؤتمرات العـــالمية ، لاينفض فيها مؤتمر حتى ينعقد مؤتمر ، ولا يغادرها عظيم من رؤساء الحكومات أو وزراء الخارجية أو كبار الكتاب الدوليين ،حتى يفد عليها عشرات من هذا الطراز ، وكان « أحمد حسين » قد أعـــد رسالة ليقدمها الى سكرتارية عصبة الأمم ، فصحبه « الغاياتى » الى مقر العصبة ، فكان « الغاياتى » موضع الترحيب والاجلال من كل موظف كبير هناك ، وكان الناس يحييونه فى الطريق تحية الحب والتقدير ٠٠٠ وما أن سلم الغاياتى هذه الرسالة الى مندوبى وكالات الأنباء ، حتى نشرت فى عشرات الصحف والمجلات ٠



(٢٢) فتحى رضوان ، **عصر ورجـال** ، ص ٢٩٩ ٠

(الى مصر مرتين)

ولما انقضت ثلاث سنوات على الحكم الصادر ضد الغاياتى وسقط بانقضائها ، بدا له أنه يستطيع أن يسافر الى مصر ، فعرض على بعض الصحف السويسرية أن يكتب لها تحقيقا صحفياعن الحالة فى منطقة قناة السويس ، وكانت ميدانا هاما من ميادين القتال فى الحرب العالمية الأولى ، فرحبت تلك الصحف بذلك الاقتـــراح ، فاستأذن الغاياتى فى الدخول الى مصر ، فأذنت له السلطات بذلك ، فسافر اليها فى ١٥ يوليو سنة ١٩١٥ ، ولما وصلها زار من يعرف من كبار الشخصيات ٠ وكانوا أنذاك يقضون الصيف فى الاسكندرية ومن هؤلاء محمود باشا شكرى رئيس ديوان السلطان حسين كامل الذى ارتقى عرش مصر بعد عزل الخديوى عباس ، كما زار أحمد زكى باشا (شيخ العروبة) وكان سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء ، ولكن الغاياتى بعد أن استمتع بالحرية سبعة أيام ، ملأ خلالها صدره من هواء بلاده ، ورأى مواطنيه ، صدر أمر باعتقاله وارســـاله مقبوضا عليه من الاسكندرية الى القاهرة ليقابل رئيس الوزراء حسين رشدى باشا ، ووضعوه فى حراسة مخبر من رجال البوليس السرى لم يكن يعرف القاهرة ، فتولى الغاياتى ارشاده الى ديوان المحافظة، ولما قابل رئيس الحكومة فهم منه أن المعلومات التى وصلت اليه تؤكد أن الغاياتى جاء الى مصر ليدبر دسائس لحساب الخديو المعزول (عباس) ، فأخرج من مصر ، وهو لايدرى لماذا سمحت له السلطات البريطانية بدخول مصر من البداية ، اذا كانت تشـــك فى نواياه ، ولماذا أبقته طليقا سبعة أيام ، ثم اعتقلته ، ثم رحلته

الى الخارج ، والطريف أنه حينما اعيد الغاياتى الى الاســكندرية توطئة لترحيله منها ، أودع أيضا فى حراسة بوليس سرى لم يكن قد عرف الاسكندرية من قبل ، فتولى الغاياتى مهمة ارشاده فيها ، كما تولى ارشاد زميله السابق ، عند ارساله الى القاهرة ، وقد حمل الغاياتى على حسين رشدى باشا رئيس الحكومة ، حملة شديدة بعد عودته الى جنيف ، فأرسل اليه رشدى باشا قائلا : ان صدرى معرض للرصاص ، فلا تهمنى حملات الاقلام » !

هذه كانت هى المرة الاولى التى يأتى فيها على الغاياتى الى مصر ، أثناء هجرته في جنيف ، أما المرة الثانية فكانت فى صيف سنة١٩٣٣، وقد نشر ذلك تحت عنوان «عاد للنيل فتاه»(٢٣)، وكانت تصحبه فى تلك الزيارة كبرى بناته (جميلة) وفيها يقول بأنه لم ير وطنه المحبوب منذ تسعة أعوام ، وقد أمضى فى الزيارة الثانية شهرا واحدا أقامه على ضفاف النيل ، لم ينقع له غلة ، أو يرو أواما ، فلما غادر الربوع بكاها ، وطار فؤاده شوقا اليها ، ولقد تمثلت امامه الديار على بعد المزار ، بجمالها الرائع ، فزاد اليها حنينا ، وبها هياما ، ووافاه شيطان الشعر بعد أن هجره طويلا ، فقال وهو يرى بعين الخيال بهاء الوادى وجلاله الخالد :ـ

مصر هــذا فتـاك وافـــاك شيخـا
كـــاد لـولا الهـوى يـدب دبيبـا

بعــث الوجـد فيــه ساعة مـرآ
ك شــــبابا ونشــــوة ولهيبــا

فكـأن الحيــاة قـد وثبـت عشـــ
ـــرين عـاما الـى الوراء وثوبــا

---

(٢٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد السادس ، فى ٣ يوليو سنة ١٩٣٨، ص ٨ .

وكــأن الســنين بعــد نــواه
كــن وهـما وان تركـن المشيبــا

وكــأن الفــراق كـــان وصـــالا
وكـــأن المـــزار كـــان قريبـــا

وكــأن التغريــب أصبح تشـريعا
كمـــا أصــبح الشـمال جنوبـــا

وجنيف ليســت جنيف التى آوتــ
ـــه دهـــرا ورحبــت ترحيبـــا

هى مصــر ، وهـل يـرى غير مصر
مـن بهـا ظـل مستهاما ســليبا

عــز أو هـــان كل شـــىء لديـــه
قـد تلاشـــى ، عـدا الحمى المحبوبا

تلـــك أحـــلام عاشـــق وطـــنى
حكـم الدهــر أن يعيش غريبـــا

الى أن قال :

حـب مصر أقصـاه عـن مصر حتى
ظـن من طـول النـأى الا يؤوبــا

قـــام يشـــدو بحبهـــا وبهـــا من
قبـل أمســـى مشـــببا تشـــبيبا

كما نظم شعرا عن سوء الأحوال السياسية الحزبية فى مصر يقول فيها :

ومـــا الأحـــزاب مســعدة ولا زعمـــاؤها الكـــثر

اذا ماطاب للباغى ... بمصر الكر والفر
وأصبح بين ظهرينا ... له من دوننا الصدر

الى أن قال :

فلا الدستور فى أمن ... ولا الوزراء والقصر
ولا استقلال فى بلد ... به العادون قد قروا
معاقله لهم حصن ... ونحن لجندهم أزر
ولولا أننا شيع ... يحارب شطرنا الشطر
لما أضحى لهم ظل ... ولا أمسى لهم ذكر !

وهى بحق من عيون الشعر الوطنى كما يقول الاستاذ الدكتور مختار الوكيل[٢٤] - والذى ينبىء عن الحكمة والموعظة الحسنة ، وتلك صفات اكتسبها الشاعر فى غربته ٠

* * *

(٢٤) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ ٠

(الفصــل الرابــع)

(منبر الشرق)

- العودة نهائيا
- فى جريدة « السياسة »
- جريدة « منبر الشرق »
- أهم القضايا التى آثارها
- « وطنيتى » مرة أخرى
- فى انتخابات المجلس النيابى
- « هجرتى » الثانية
- وفاته وآخر مقالاته
- رثاءه وملامحه الشخصية

(العـودة نهائيـا)

قبلت مصر عضوا فى عصبة الامم ، فخيل لعلى الغاياتى ، أن دوره فى أوروبا قد انتهـى ، وأن بلاده قد تكون فى حاجة اليه ، بعد تجربة طويلة شاقة فى الصحافة والسياسة ، وبعد صلات واسعة مع زعماء العرب والشرق ، وزعماء الغرب ، وبعد أن شهد الاحداث العسكرية والسياسية للحرب العالمية الأولـى ، ثم ماتلاهـا من مؤتمرات ومعاهدات ، كما رأى نشوء عصبة الامم فى جنيف ، وحضر مداولاتها ، وسمع أشهر خطبائها ·

وقرر الغاياتى العودة نهائيا واسرته الى وطنه ، بعد غربة استمرت سبعة وعشرين عاما ، فخرج من جنيف مساء الثلاثاء ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٧ فوصل الى الاسكندرية يوم الاثنين ٢٨ يونيو سنة ١٩٣٧ ، وكان الأمل معقودا على أن يعمل الغاياتى فور عودته ، بوظيفة حكومية فى وزارة الخارجية ، حسب الوعود والعهود التى سمعها من كبار المسئولين ، ولكن الله لم يكتب له النجاح فى هذا السبيل ، لأسباب يعلمها الاحتلال ، وأذناب الاحتلال ، على حـد تعبيره(١) ·

أما أول مقال خطه قلم الغاياتى ، بعد أوبته الى ارض الوطن

---

(١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٦١ ، فى ٣ فبراير سنة ١٩٥٦ ، ص ١ ·

العزيز ، فكان تحت عنوان « الملك المحبوب » ، وقد نشره فى جريدة « الجهاد » لمحمد توفيق دياب ، وكانت جريدة وفدية ، وذلك فى عددها الصادر يوم الخميس ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ ، وقد أعاد نشر المقالة ثانية فى « منبر الشرق »[٢] ، مجددا العهد ، ومرددا آيات الولاء الخالص لجلالة صاحب العرش المفدى ، بمناسبة فاتحة العام الثانى من عهد ملك الفاروق السعيد ، وفى نهاية المقالة ، يعيد نشر أبيات الشعر ، التى رفعها « للسمو السلطانى » بمناسبة مولد الفاروق يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ ، وفيها يقول :

فاروق وافيت والاهرام مائجة
بالحادثات وقلب النيل ملتهب

فهل تعيد لمصر عهد (فاتحها)
أو عهد (منشئها) والدهر مضطرب

جدد اذا مابلغت الرشد رشدهما
وأسلك سبيل فتى للنيل ينتسب

كن حيثما كنت مصريا فلا شرف
للتاج ان لم يزنه ذلك اللقب

ونلاحظ على هذه الأبيات أنها ليست مدحا ولا نفاقا للملك فاروق ، فلقد نظمها الغاياتى عند مولده ، وفيها تحس بروح الانتماء للنيل وللوطن ، والتى يحب الغاياتى للفاروق ، أن يكون لهما منتسبا مخلصا ...

---

(٢) فى عددها العاشر ، الصادر يوم ٢ اغسطس سنة ١٩٣٨ ، ص ١ .

كما وجه الغاياتى للملك فاروق سنة ١٩٣٨(٣) ، أبياتا شعرية، يشير فيها الى هجرته خارج الوطن ، وعودته ثانية بدون مـــال ولازاد ، وكيف أن الدنيا تقف له بالمرصاد ، فى ايجاد وسيلة رزق حلال يتعيش منها ، كما سنرى عندما ترفض الحكومة ـ وكانت وفدية فى ذلك الوقت ـ باعطائه رخصة لاصدار جريدة ، ويقول الغاياتى :

أعيـــادك الغــر يافاروق أعيـــادى
وسلوتى فى زمـــان خـــادع عـــاد

لـــم يبق لـــى هم هذا العيش من أمل
يبقى ســـواك لابنـــائى وحفادى

نأيـــت عن وطنى دهـــرا وعـــدت لـــه
كمـــا نأيـــت بـــلا مـــال ولازاد

وجـــاء عيدك يغنيلـــى ويســـعدنى
وان أقامـــت لـــى الدنيـــا بمرصاد

عـــم الكنانة بشـــر عنـــد طلعـــته
فاهنـــأ بـــه وبـــه فليهنأ الوادى

***

(٣) جريدة « منبر الشرق » ، العـدد الأول ، ٦ مايـو ســـنة ١٩٣٨ ، ص ١ .

فى جريدة «السياسة»

ذكر الغاياتى فى العدد الأول من جريدته « منبر الشرق » ، بأن الاقدار شاءت له أن يصبح محررا أو رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » اليومية ، فى عهدها الجديد ، الذى أريد لها فيه أن تكون قومية قبل كل شىء ، حتى أنهم حذفوا من رأسها ماكان يدل على انها لسان حال حزب معين (هو حزب الاحرار الدستوريين)، فكتب افتتاحية العدد الاول ، وواصل نشر بعض المقالات ـ وقد بلغت سبعا ـ باسمه فى الصفحة الاولى ، وقد أراد فيها أن يكون مصريا مستقلا بكل معنى الكلمة ، ولعل ذلك لم يرق لبعض الناس ، ولهذا فقد انقطع عن مقالاته ، مكتفيا بكتابة السياسة الخارجية (نظرة عامة فى سياسة العالم) بامضاء ع٠غ ، والذى أعاد نشرها مرة ثانية فى « منبر الشرق » ٠

وقد اهتمت الصحف الاوروبية فى مصر ، بتلك المقالات ، وترجمتها لقرائها ، معلنة بوضوح مجمل مايرمى اليه الغاياتى من الاغراض الوطنية النبيلة ، التى أخذ على نفسه أن يجاهد فى سبيلها ، منذ عاد الى الصحافة تحت سماء مصر العزيزة ٠

فى أولى المقالات يقول الغاياتى(٤) : « اذا كان لهذا القلم الذى اغترب سبعة وعشرين عاما ، نائيا عن وطنه المحبوب من أجل

---

(٤) جريدة « السياسة » ، فى ٢ ابريل سنة ١٩٣٨ ٠

« وطنيتى » ، والذى مابرح فى غربته كل هذه السنين يذكر مصر ، ويحن اليها ويجاهد فى سبيلها ، أن يسطر اليوم كلمة يفتتح بها « السياسة » فى عهدها الجديد ، ويطلع بها على القراء بعد عودته الى حظيرة الصحافة فى وادى النيل ، فانه يقول :

« باسم الكنانة واسـم شعب ناهض
لا باسم مجـد زائـف وطـلاء »

« كـل يزول وينقضى أمـا الحمـى
فوديعـة الآبـاء للابنـاء »

فى هذين البيتين كل مايرمى اليه كاتب هذه السطور من المعانى وما يقصده من المبادىء التى سيسير على هـداها ، ويعمل على انتشارها وانتصارها فيما يكتب جاعلا نصب عينيه دائما مخافة الله تعالى ، وارضاء الضمير وحب الوطن والاخلاص للعرش » .

ثم يؤكد الغاياتى على أن الاسلام هو دين الدولة ودين بنيها الا قليلا ، وان مصر مدينة له بتحريرها قديما ، وتقدمها حديثا ، وبأن الأزهر الشريف هو الحصن الحصين للدين الحنيف ، وان الامة كلما اقتربت من تعاليم هذا الدين ، واهتدت بهديه سعدت ونجت ، وكلما نأت عنه ضلت وشقيت ، ثم يحذر من تقاليد الغرب ، فى غير مانحن فيه بحاجة من علم وفن ، يهدم الاخلاق والوطنية على ضفاف النيل السعيد ، سواء للمسلمين أو غيرهم ، لأن الاسلام سيبقى أبدا دين واحسان وتسامح .

ثم يقول الغاياتى : « وان هذا اليراع بعد ذلك لن يصول أو يجول فى ميدان الشتائم التى امتازت بها وأسفاه بعض الاقلام فى فى هذا الزمان ، بل سيعود بالقارىء الى العهد السابق ، الذى

عرفه منذ ثلاثين عاما ، حيث كانت الأخلاق قويمة ، والوطنية نزيهة والسياسة شريفة ، بالنسبة لما وصلت اليه الحال من التدهور فى هذه الأيام ، وسيكون رائده على الدوام خدمة المصلحة العامة ، والفكرة القومية المستقلة ، ومحاربة الجهل والدس والانقسام . داعيا ما استطاع الى جمع الصفوف ، واتحاد الكلمة تحت لواء العرش الخافق بحب مصر أم الجميع الخالدة المحبوبة ..

كفـــى ما مـــــر من جهـــل
أبـــــاه الديـــــن والفكـــــر

ومن خلــــف اذا اســـتعصى
دواه فانـــــــه القبـــــــر

لنصـــــبح واحـــدا فـــردا
فـــلا زيـــــد ولا عمـــــرو

فنحـــــن لمصـــر أبنـــــاء
ونعمـــــــت أمنـــا مصـــــر

ووادى النيـــــل وادينـــــا
وفـــــاروق لنـــــا ذخـــــر

وفى مقالته الثانية ، بعنوان « ماهذه الوطنية !»(٥) نراه أكثر جرأة وحبا لمصر ، وهو يقول : « ماعجبت لشىء منذ عدت الى بلاد العجائب ، مصــر العزيزة ، عجبــى لقــوم يزعمون أن الوطنية وقف عليهم ، ويرمون سواهم بكل عيب ، ويتهمونهم بكل تهمة ، ثم يكونون هم أبعد الناس عن الوطنية الصحيحة ، التى « تعمل كثيرا وتتكلم قليلا » ، كما وصفها بحق المرحوم قاسم بك أمين » .

---

(٥) جريدة « السياسة » ، فى ٣ ابريـل سـنة ١٩٣٨ .

وتأخذ الغاياتى الدهشة ويتضاعف عنده العجب ، لهؤلاء القوم ، الذين لم يكتفوا فقط باحتكار الوطنية ، ولكنهم يحتكرون ايضا كل ألفاظ السباب التى يسرفون فى نعت غيرهم بها ، خاصة « الخيانة » التى رموا بها أكثر أهل الرأى والفكر والسياسة فى مصر ، ويرى أن البلاد بريئة من هذه التهم الاثيمة ، فأبناء مصر يشتركون جميعا فى حبها ، ويرمون سعادتها ، ويناضلون من أجل حريتها واستقلالها وعزتها ، وهم وان تفرقوا شيعا وأحزابا ، وتعددت وسائل الجهاد لديهم ، واختلفت طرق السير بهم ، انما يسعون فى الحقيقة الى غرض واحد هو خدمة مصر ، ونفع مصر ، واعلاء ذكر مصر ، فخير للقوم اذن أن يذروا مثل هذا السلاح الساقل ، والا ارتد سهمهم الى نحرهم ...

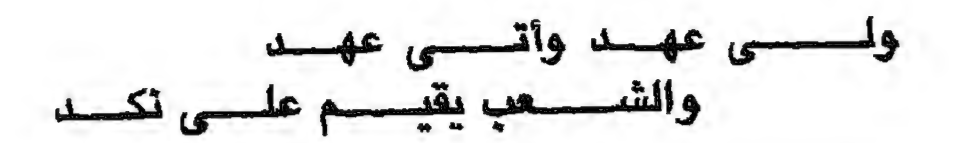
ثم يتساءل .. لماذا لاتكون الوطنية الا حيث يكونون ؟ أليس فى الارض متسع لغيرهم ، وفى سماء الفكر موضع يطل منه نجم غير نجمهم ، على هذا الكون الفسيح ؟ ثم لماذا يريدون أن يتحكموا فى ارادة الأمة ، ويفرضوا نياتهم عنها فرضا لا مفر لها منه ، حتى اذا أبت ذلك يوما عليهم زمجروا وثاروا وسبوا الشمس والقمر ؟ وعلى هذا الأساس .. فان الغاياتى يرى بأن الوطنية قد تكون فى السياسة وغيرها .. وقد تكون فى غير ميدان السياسة خيرا منها وأعم فائدة ، لأن عددا النواب قليل محدود ، وانه من المتعذر بالطبع أن يصبح كل مصرى نائبا أو سياسيا ، وأن أعمال الاصلاح المتعددة فى شتى الشؤون تتطلب مجهودا فوق مجهود النائب والسياسى ، وأنها أبقى للامة بنتائجها النافعة من ألف نيابة ، وألف سياسة ، وألف برلمان ! .

ثم يطالب بلم الشمل وجمع الكلمة ، واذا كان النحاس باشا ومن معه قد أخطأوا تقدير الأمور وجعلوا المصلحة الشخصية فوق

المصلحة القومية فلا يحسن بغيرهم ، أن يتبع طريقتهم ويسير على سياستهم ، التى قادتهم الى الفشل والخسار ، ثم يختتم مقالته بقوله : « الوطنية ليست اذن ما قالوا ومايقولون ، وانما هى العمل والجهاد فى كل ميادين العمل والجهاد ، وهى ليست ملكا لفريق من الأمة دون فريق ، بل هى عاطفة سامية تبعث الجميع على خدمة الوطن ، وتبث فيهم حبه ، وتنهض بهم الى نصرته ، والدفاع عنه ، ورفع شأنه ، وتقديس اسمه الخالد المجيد ، هذه هى الوطنية الصادقة ، أما الأخرى فهى ليست منها فى شىء » ٠

وعن مصر من الوجهة الداخلية ، وكيف أنها فى أحوج ماتكون الى الاصلاح ، وصولا الى الدولة ذات الشأن البارز ، والاستقلال الحقيقى،يكتب الغاياتى تحت عنوان «الى الأمام ٠ الى الاصلاح»(١) يطالب الحكومة ــ بعد خروجها منتصرة من معركة الانتخابات الحامية ــ أن تقتحم معارك أخرى اجتماعية فى الداخل ، بعد أن اكتفت الوزارة السابقة بالكلام الفارغ ، والطلاء الخداع ، حتى أن الرأى العام سأم من تلك الاساليب العقيمة فى السياسة والحكم ، ومن سياسة الالفاظ والوعود ، ومن السياسة الحزبية المقوتة ، والزعامة المرذولة ٠

ثم يقول : « ان هذا الشعب الكريم المطيع المــرح ، هو مع الأسف شعب تعس لم ينله شىء من السعادة التى يتمتع بها غيره من الشعوب ، وقد تعاقبت الحكومات وتوالت العهود ، وهو هو على مانرى وما نعلم ، ومالا نرى وما نعلم ٠٠


ولـــى عهـد وأتـــى عهـد
والشــعب يقيــم علــى نكـد

(١) جريدة « السياسة » فى ٤ ابريل سنة ١٩٣٨ ٠

يشـــقى فـــى الحاضـــر والماضى
ويكـــاد يـــذوب مـــن الكمـــد

فالعامل ، والفلاح ، والجاهـل ، والعاطـل ، والشـــيب ، والشبان ، الذين ضاقت بهم السبل ، وأقعدهـم المرض ، واستولى عليهم البؤس ، وكاد يفنيهم اليأس ، لينتظرون اليوم من رجال الحكم عناية بهم وعطفا عليهم،وحلا سريعا لمسائلهم ، حتى يضىء المستقبل لهم ، وتبتسم لهم شمس الحياة قليلا ٠٠ » ثم قال : « فالى الأمام ! الى الاصلاح ! الى تشييد بناء الغد على أساس العدل الاجتماعى ، والسياسة القومية ، والاتحاد المقدس » ٠

وبعنوان « مصر المتحدة »(٧) ، وعن طوفان التقاليد الغربية التى دخلت الى القومية المصرية ، وأن الحزبية من ذلك الطوفان الخطير ، يقول الغاياتى ، بأن تأثير ذلك سوف يكون فى جعل مصر أمة ضعيفة ، ووطنا هزيلا مهزوما ، أصاب خطبه كل بنيه ، وبات لايدرى على من منهم يعتمد عند الشدائد ، وعلى من منهم تقـــع تبعة ماحل به من وهن وتفرقة وتخاذل ٠

لذلك فلا امل الا بمصر المتحدة ، فهى التى تستطيع وحدها ان تبعث الى الحياة مصرا فتيه ، منتصرة سعيدة ، ينال فيها كل فريق ، بل كل فرد حظه الوافى من القوة ، والظفر والغبطة ، أما الخلاف ، وأما الشقاق ، فلا يؤديان الا الى الخذلان والتلاشى وسوء المصير ، ومتى ساء المصير ــ لاقدر الله ــ فلا تغنـــى الاحزاب ، ولاتجدى الشيع ، لأن البلاء اذا نزل بالبلاد عم الجميع ، وأهلـك الجميع ، وعندئذ يندم الجميع ٠

---

(٧) جريدة « السياسة » ، فى ٥ ابريـل سـنة ١٩٣٨ ٠

ثم يضع الغاياتى مزيدا من النقاط فوق الحروف ، فيقول : « لست بقائل انه يجب على الأمة أن تفكر برأس واحد ، وعلى الآراء ألا تتشعب ، كما لا أطلب بتوحيد المنازع والمذاهب ، لأن هذا من المحال ، ولأن طبيعة الوجود تقضى بأن يكون الناس هكذا ، وخير للانسانية أن يكونوا كذلك ، ولست أيضا بقائل انه على الأمة أن تبقى صامتة جامدة أمام الذين يحاولون فيها من أبنائها ايقاظ الفتنة واثارة الشغب · لأن سلامة الوطن ، وطمأنينته وهدوءه فوق كل شيء ، فلابد اذن أن تصان من عبث العابثين ، ولا بد أن يحال بين هؤلاء وبين مايبغون لكى يستتب النظام ويستقر الأمر ، وبعد ذلك ترجع المياه الى مجاريها ، ويضرب بين الماضى الأليم والمستقبل المأمول بحجاب كثيف ، ويعمل العاملون أجمعون على رأب الصدع وتوحيد الجهود لخير هذا البلد الأمين » ·

وتحت عنوان « التعاون مع الاجانب(٨) » ، كانت مقالة الغاياتى الخامسة فى جريدة « السياسة » ، وقد كتبها بعد أن تحقق له ـ مع أسفه الشديد ـ أن البلاد لاتزال بحاجة كبيرة الى التعـــاون مع الاجانب ، فى مختلف شؤون الاقتصاد ، وضروب الاعمال والعلوم والفنون ، وان الذين يذهبون الى أوروبا من المصريين ليتعلموا أو يتكونوا ، يعود كثير منهم وهم أسوأ حالا من قبل ، ان لم يكن فى الدرس والتحصيل ، ففى الخلق والسلوك والفقر فى الوطنية ، وأن العلم اذ طغى على الاخلاق فهو لا خير فيه ، بل هو شر من الجهل ·

ثم يحذر الغاياتى من أن يكون لهذا التعاون مع الاجانب مرمى خفى لايتفق مع استقلال الوطن ، وألا تصاب الصحة الاجتماعية من جرائه بأذى ، ولا بكرامة الامة وعقائدها وتقاليدها المقدسة بسوء ،

---

(٨) جريدة « السياسة » ، فى ٦ ابريل سنة ١٩٣٨ .

ولا يتوانى عن المطالبة بطرد كل أجنبى يعمل لغاية استعمارية أو سياسية أجنبية ضارة ، أو حتى يحاول افساد الاخلاق أو الاخلال بالأمن والنظام ، ولكن مصر الحديثة تمديدها بالصداقة والتقدير ، لضيوفها العاملين معها لخيرهم وخيرها ، ويستشهد بكلمة باعث الوطنية الأول ، وناشر لوائها فى وادى النيل ، مصطفى كامل باشا : « أحرار فى بلادنا ، كرماء لضيوفنا » .

ثم يعود الغاياتى من جديد ، مطالبا باصلاح مصر داخليا ، فيكتب تحت عنوان « هيئوا الدار أولا »(٩) عن أن حال مصر « لاتسر العين ، ولاترضى النفس ، ولا تعلى من قدر هذه البلاد بين الامم الراقية » ، فمنذ ثلاثين عاما ، والبؤس والشقاء وعدم النظافة والنظام ، كما هو ، سواء فى البيت والطريق ، أو القرية والمدينة . فاذا ماتركت مؤقتا البحث فى بؤس الفلاح ، وتعاسة العامل ، وشقاء الفقير ، ونظرت الى القاهرة عاصمة المملكة السعيدة لم تجد الا تراب متراكم وقاذورات مكدسة حتى بجوار الوزارات ، وجيوش جرارة من الرجال والنساء والاطفال المتسولين والعاطلين والمرضى والمنبوذين ، والحفاة العراة الذين يفترشون الغبراء ، ويلتحفون السماء فى الحدائق العامة ، والشوارع الكبرى ، والميادين العامرة ، وامام الفنادق الشهيرة ، المليئة بالسياح ، مما يسىء الى اسم مصر المجيد ، ويطعنها فى سمعتها الطيبة !!

واذا كان الغاياتى يرد على دعايات الاجانب ، عندما كانوا ينشرون ذلك فى صحفهم بالخارج وكان هو مهاجرا خارج مصر ، فانه الآن بعد عودته لايجد بدا من النقد ، مطالبا بانشاء الملاجىء والمستشفيات والاصلاحيات ، وتحسين الشؤون الاجتماعية ، ونشر

---

(٩) جريدة « السياسة » ، فى ٨ ابريل سنة ١٩٣٨ .

التربية والتعليم ، وتجميل القاهرة عاصمة القطر المصرى ، بل عاصمة الاسلام وبهجة الشرق ، ثم يختتم مقالته بقوله : « ألا يجب أن تهيأ الدار قبل دعوة الضيوف ؟ لتهيأ الدار اذن أولا ، ثم ليدع اليها من يدعى ثانيا ، واذا كانت السياسة الحزبية الممقوتة ، قد شغلت الدولة عن الاهتمام بكثير من المسائل الحيوية العظيمة ، فلتذهب هذه السياسة الى حيث لن تعود ، ولتقم على آثارها البالية سياسة قومية انشائية قوية ، عاملة لمصر وحدها ، ومن أجل المصلحة الوطنية دون سواها ، ألا ليت شعرى أنحن بالغون هذا الأمل ، ومدركون سريعا هذه الغاية ؟

ايهـــا النيـــل هـــل تعود ســعيدا
ويجـــود الزمـــان بالحســـنات ؟

وتعليقا على كلمات مصطفى كامل الخالدة « لو لم أكن مصريا ، لوددت أن أكون مصريا » ، يكتب الغاياتى تحت عنوان « الاعتزاز بالمصرية(١٠) » ، بأن فى ذلك لدرسا لمن شاء الدرس ، ولعبرة لمن شاء العبرة ، فالمصرى ان لم يعتز بمصريته الى أقصى حد هـــان على نفسه ، وعلى قومه ، وعلى الأجنبى ، وساعد على تســـرب الضعف والانحلال الى الروح الوطنى السامى السارى فى النفوس، الثاوى فى القلوب ، ومثل هذا المصرى مثل الداء ، الذى ان لم تقض عليه ، قضى عليك ، والعضو الفاسد ان لم يعالج دب فساده فى سائر الجسم فأتلفه وأهلكه .

ان المصرية ليست عارا ، بل هى شرف أى شرف لصاحبها فى الشرق والغرب ، أضف الى ذلك ان عظمة مصر القديمة ، قلما

---

(١٠) جريدة « السياسة » ، فى ١٢ ابريل سنة ١٩٣٨ .

طاولتها عظمة فى العصور الخالية ، وان مكانتها الحديثة فى العالم الاسلامى قلما دانتها مكانة ، فمن رمى المصرى واحتقره بأنه عربى أو فلاح ، يجب أن يحاسب حسابا عسيرا ، ويعاقب معاقبة شديدة ، وهو ليس منا ، وان عظم شأنه ، وكثر ذهبه ، وضخم لقبه !!

ثم يقول الغاياتى بأن جمال مصر ، وجلالها ، وعزها ، ومجدها هى نعم جلت وجل من حباها ، وهى ملك وفخر للمصرى قبل سواه يشاطره التمتع بها من أحب هذا الوطن ، وأعلى اسمه ، وذب على حماه ، وان لم يكن من صميم أهله ، وكما أكد من قبل ، فاننا نرحب بالتعاون الحبى النافع مع الاجانب النافعين ، ماداموا لنا عونا على خدمة مصر ، ورقيها وسعادتها ، وما دام ماء النيل قد ألف بين القلوب ، ووحد بين العواطف ، ثم يختتم مقالته نثرا وشعرا فيقول : « فليعلم الشعب ذلك حق العلم ، وليزه بتاريخ بلاده ، وليتغن بخلودها ، ولينهض مملوءا أملا فى مستقبلها ، واثقا بنفسه. حريصا على كرامته ، ثم ليكن شعاره على الدوام « مصرى قبل كل شىء » .

أيها الشعب أفق ولى الظلا
م ولاح النور للمستبصر

فدع النوم وقف مستخبرا
هل لمصر فى الورى من خبر ؟

سائل التاريخ عنها انه
صادق الاخبار جم العبر

تلك دار سجات آثارها
بين اجلال وذكر عطر

هذه مصر وهذا ذكرها
ناطق الآيات باقى الاثر

فانهض اليـــوم ولا ترقـــب غـــدا
وادفـــع الشـــر بسيف الحـــذر
انمــــا الآلام آمــــال وفـــى
قـــدرة الشـــعب مـــدار القـــدر

وكانت آخر مقالات على الغاياتى فى جريدة « السياسة » ، بعنوان « سياسة مصر الخارجية » ، وقد وقعها بحروفه الأولى فقط (ع٠غ)(١١) ، وطالب فيها بأن تكون لمصر سياسة خارجية مستقلة ، تتفق مع مصالحها ، وتساعد على اعلاء شأنها فى الشرق والغرب ، فهذه السياسة هى وليدة الاستقلال ، الذى يجب أن يكون صحيحا ، لكى ينمو فى الداخل والخارج ، وهذا دور وزارة الخارجية الطبيعى، لأنها هى الآلة الفنية العلمية ، وصحيح أنها وزارة ، ولكن بمضاعفة الجهود ، تتأكد لنا شخصيتنا الدولية الاستقلالية ٠

وهو لايكتم القراء ، شعوره بالحزن والألم ، كلما رأى تقصير أولى الأمر — من حكومة الى حكومة ، ومن عهد الى عهد — فى تلك المهمة الوطنية الكبرى ، وحسبك أن ترى وزارة الخارجية ، وهى قليلة الموظفين ، والميزانية ، عن بعض المصالح الحكومية ، فضلا عن سائر الوزارات ثم يقول : « اننا لا نقول بالأسراف ولا ندعو اليه البتة ولكننا نوجه الانظار الى وجوب تقرير سياسة خارجية مستقلة ثابتة لمصر ، عظيمة مثلها لتستطيع أن تؤدى مهمتها الكبيرة الدقيقة الشاقة لا فى جنيف وأوروبا وأمريكا فقط،ولكن أيضا وبصفةخاصةفىالعالم العربى والشرق الاسلامى ، باعتبار ما لمصر العربية المسلمة من المكانة المكينة والزعامة المحترمة فى هذه الأقطار الشقيقة ، وبين هذه الشعوب الناهضة » ٠

***

---

(١١) جريدة « السياسة » ، فى ٢ مايو سنة ١٩٣٨ ٠

جريدة « منبر الشرق »

فى عهد الوزارة النحاسية الوفدية ، تقدم على الغاياتى ، الى ادارة المطبوعات بوزارة الداخلية ، بالنموذج رقم(١) مطبوعات ، وفيه يطلب رخصة باصدار جريدة سياسية أدبية جامعة ، تسمى « منبر الشرق » على أن تصدر مرتين فى الاسبوع ، يكون هو صاحبها ورئيس تحريرها ، وكان ذلك فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ، أى بعد عودته الى مصر بحوالى أربعة شهور(١٢) .

وقد تم الاستعلام من مفتش ادارة الضبط بوزارة الداخلية فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ عن طالب رخصة هذه الجريدة ، فكانت الاجابة بأنه : « على الغاياتى ، رئيس تحرير صحيفة « منبر الشرق » التى كانت تصدر بسويسرا ، وهو مصرى الجنسية ، ورعية محلية ، وعمره ٥٢ سنة تكامل الاهلية وحسن السمعة ، وقد كان أحد كتاب جرائد الحزب الوطنى فى العهد الماضى ، وقد ترك القطر المصرى عقب صدور الحكم عليه لتأليفه واصداره كتاب « وطنيتى » فى سنة ١٩١٠ ، وقد حضر نهائيا للاقامة فى مصر مع عائلته ، وعول على استئناف جريدته بمصر كوسيلة للتعيش(١٣) » .

---

(١٢) وزارة الداخلية ، ادارة المطبوعات ، دوسيه رقم ١١ — ٢٩٢/٢ الخاص بجريدة « منبر الشرق » ، مستند رقم ٣ .

(١٣) الدوسيه السابق ، مستند رقم ٤ .

وقد نشرت الصحف(١٤) ، بأن الغاياتى قد تلقى خطابا من مصلحة الصحافة ، يفيده بأن الطلب الذى تقدم بـــه الى وزارة الداخلية للتصريح له باصدار جريدة « منبر الشرق » قد رفض ٠

وفى عهد وزارة محمد محمود باشا ، فى ٨ فبراير ســـنة ١٩٣٨ ، تم التصريح باصدار الجريدة باللغة العربية ، وقام بدفــع الضمان ـ لأنها سياسية ـ وقدره ١٥٠ جنيها : أحمد خليل محمد المهندس((١٥) ٠

وفى يوم الجمعة الموافق ٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٧ ـ ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ، صدر العدد الأول من « منبر الشرق(١٦) » ، شعارها « الشرق للشرقيين » ، وهى « جريدة مصرية مستقلة أنشئت فى جنيف عام ١٩٢٢ للدفاع عن حقوق الشرق الناهض » ، وقد كتب الغاياتى هذين البيتين على رأسها :

« باســم الكنانة واسم شعب ناهض
لا باســـــم أحــزاب ولا زعمـــاء »

« كل يزول وينقضــى أمـــا الحمــى
فوديعــة الآبـــــاء للأبنـــــاء »

---

(١٤) جريدة ((البـــلاغ)) ، فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ٠

(١٥) سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصــدارها فى مصر ، ادارة الصحافة والمطبوعات ، بالهيئة العامة للاستعلامات ، تحت مسلســل رقــم ٥٠٩ ٠

(١٦) كان اسم الجريدة ((منبر الشرق)) بخط الفنان الكبير الأســتاذ ((سيد ابراهيم)) رائد الخط العربى ٠

وهذه هى افتتاحية العدد الأول ، لمؤسس الجريدة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول : على الغاياتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« صدر العدد الأول من هذه الجريدة ـ واسمها بالعربية « منبر الشرق » وبالفرنسية « لاتريبيون دوريان » ـ فى جنيف يوم الأحد ٥ فبراير عام ١٩٢٢ (جمادى الثانية سنة ١٣٤٠) وعاشت هناك مايقرب من ستة عشر عاما ، وكان بها فى أول عهدها بجانب القسم الفرنسى صفحة عربية كثيرة المتاعب ، كبيرة النفقات ، ثم رؤى الاكتفاء باللغة الفرنسية ، وهى لغة البلاد التى تصدر فيها ، والأوساط التى تريد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت فى الشرق والغرب ، وبات لها ذكر حسن ، واسم معروف ، وخصوصا فى مركز جمعية الامم التى عملت فيه ما استطاعت على خدمة مصر والشرق والاسلام ، ولكن الفضل الاول فى نجاحها لايرجع مع الأسف لا الى مصر ، ولا الى الشرق والاسلام ، بل الى مجهود صاحبها الخاص ، والى بعض المحلات التجارية بجنيف التى تفضلت فاختصتها بكثير من اعلاناتها الغالية » .

« أما المشتركون المصريون مثلا ، ونعنى منهم ذوى الأموال والألقاب ، فهم أبخل الناس بدفع قيمة الاشتراك ، ولايزال الكثيرون منهم مدينين بالكثير أو القليل لهذه الجريدة ، وربما نشرنا أسماءهم الكريمة فى فرصة أخرى لعلهم يذكرون »

« وقد صدر آخر عدد من « منبر الشرق » فى جنيف يوم الاربعاء ٢٦ مايو عام ١٩٣٧ (١٦ ربيع الاول سنة ١٣٥٦) ، وصدرناه بكلمة وداع من أعماق الفؤاد لذلك البلد الكريم الجميل الذى آوانا واسعدنا أكثر من نصف العمر (من سنة ١٩١٠ الى

سنة ١٩٣٧) ، ولم يكن بالطبع هذا الوداع وداعا أيضا للصحافة والصحف ، وان كانت هنالك وعود وآمال خدعنا بها حينا من الدهر ، وكأننا كنا نشعر بقرب العودة الى دولة « صاحبة الجلالة » التى قضينا فى خدمتها ثلاثين عاما ، فأشرنا فى تلك الكلمة الى أن هذه الصحيفة ان احتجبت من شواطىء بحيرة ليمان ، فقـــد تظهر يوما على ضفاف النيل ، كما أشرنا الى أننا لانخشى العودة الى النزال ، واستئناف الجهاد فى سبيل الوطن ، والى أننا دائما على أتم استعداد لخدمة مصر المحبوبة ، وتلبية ندائها المطاع » ٠

« وها نحن أولاء ، ننزل الى الميدان فرحين مستبشرين ، وهـــا هوذا « منبر الشرق » يظهر فى القاهرة بعد جنيف ، وبالعربية بعد الفرنسية ، وقد أبان صاحبه فى مقالات « السياسة » المنشورة فى غير هذا المكان عن كثير مما يرمى اليه من المرامى العامة الوطنية ، وكتب على رأسه أنه جريدة مصرية مستقلة ، فهو اذن سيكون بعيدا كل البعد عن الحزبية والاحزاب ، وستكون مصر الخالدة وحدها هنا كما كانت هناك شغله الشاغل ، كما سيتابع العناية والاهتمام بشؤون العرب والشرق والاسلام ، وسيهتم كذلك بالسياسة الخارجية وجمعية الامم ، وبالمسائل الاقتصادية ، والاجتماعية ، والانسانية ، وبالعلم والفن والأدب ، وغير ذلك مما يفيد القراء ، ومتى سمحت الظروف أصدرنا منه طبعة شهرية خاصة بالفرنسية لتحمل رسالة مصر الى العالم الغربى ، ولتجدد بها مابيننا وبينذلك العالم من صلات نافعة وعهد حميد » ٠

« هذا مانريد أن نقوله باجمال فى فاتحة هذا العدد ، فليعلم اذن كل حزب وكل زعيم انهم جميعا أمامنا سواء ، وان الوطنية عندنا ليست هى الحزبية ، أو الزعامة ، أو النيابة ، أو الوزارة ، وأنه لافضل لهذا على ذاك الا بالعمل ، وان البلاد لاترضى عن

حكومة دون حكومة الا بالنتائج لا باشخاص الحكام ، وما الاسماء الرنانة ، والالقاب الضخمة ، والجاه العريض ، والسلطان الواسع الا اعراض خادعة زائلة ، فليتقوا الله فى هذا الشعب المسكين ! ، وليعملوا بجد واخلاص على انقاذه مما يعانى من الفواجع والآلام ، قبل أن يحاسبهم حسابا عسيرا ، ويومئذ لا يجدون لهم وليا ولا نصيرا » ٠

« وما الشعب الا صارم جـاد صقله
وكـل سـيبنى منـه ما هـو صانع »

« فلا بقيت فـى جانب النيـل أمـة
اذا بقيـت فـى النيل تلك الفواجـع »

***

كما قدم الجريدة الى القراء ــ فى عددها الاول ــ « الأستاذ الجليل صاحب السعادة محمد على علوية باشا نقيب المحامين حالا ووزير المعارف العمومية سابقا » فقال : « أقدم الى حضرات قـراء « منبر الشرق » هذه الجريدة ، وكنت فى غنى عن تقديمها لانهـا ليست حديثة العهد ، فقد كانت تصدر باللغة الفرنسية ، فى مدينة جنيف ، حيث يوجد مقر عصبة الامم ، وكان صديقى الأستاذ الغاياتى يصدرها ، على أن ينم اسمها عن خطتها ، وهى الدفاع عن حقوق الشرق عامة ، وحقوق مصر خاصة ، والتقريب بين أمم الشرق ، حتى تحتفظ بكيانها ككتلة متجانسة وتعيش عيشة الكرامة والعزة تحت شمس الله ، وانى اذا أقدم « منبر الشرق » بعد انتقاله الى القاهرة فانى لا أرى ان أقدم الى قرائه مؤسســه الأستاذ على الغاياتى لأنه فى غنى عن التعريف ، وأرجو الله أن يصدر عن هـذا المنبر صوت الحق الذى نعرفه دائما فى صاحبه » ٠

وكان الغاياتى يؤكد فى افتتاحيات جريدته ، كلما كانت تمر بها الاعوام وهى تصدر فى مصر ، بما أكده فى افتتاحية العـدد الأول،فتحت عنوان « من عام الى عام فى الحرب والسلم» يقول(١٧) « ان سياستنا فى الحرب والسلم هى سياسة وطنية قومية ، حرة مستقلة ، كما يبدو من خلال ما كتبناه من أول عدد الى اليوم ، ولامراء فى أن ماضينا لايسمح لنا كثيرا بقبول آراء لاتروق لنا ، وان جاءت من السماء ، اذا لم يقم الدليل على صحتها وخطئنا ، كما اننا ـ وان قبلنا تبادل الفكر احيانا ـ لانهضم بسرعة مشورة مشير أيا كان ، اذا لاح منها مايشبه الأمر أو النهى ، حتى ولو كنا فى زمن الرقابة والأحكام العرفية ، فما بالك ونحن لانزال نعيش والحمد لله فى ظل حكومة دستورية ديمقراطية ، تحترم الأمـــة ، وتقدس الحرية ؟ » .

ثم يرجو الغاياتى ـ بعد ذلك(١٨) أن يهيىء له الله فى المستقبل القريب الوسائل التى يستغنى بها عن نشر الاعلانات ، وما أشبهها، مما يشغل حيزا من أنهار الجريدة ، هى والقراء بحاجة اليه ، ومما قد لا يتفق أحيانا مع الكرامة أو المبدأ ، أو قد يحول دون المضى فى الرأى الى النهاية ، وهو يضع دستورا لصحيفة الرأى فى نفس الافتتاحية ، والتى كانت بعنوان « عام جديد ، وعهد قديم » : « أجل ان صحيفة الرأى يجب أن تتجرد بقدر المستطاع عن كل ماقد يعوقها ـ ان قليلا وان كثيرا ـ عن أداء رسالتها بحرية تامة ، وصراحة كاملة ، ويجب أن تستطيع البقاء ، والرواج والانتشار ، بكل مافى

---

(١٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤٩ ، ٩ مايو سنة ١٩٣٩ ، ص ١ .

(١٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٩١ ، ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ ، ص ١ .

وسعها بغير حاجة الى أية مساعدة ـ بأى شكل من الاشكال ـ من حكومة أو جماعة أو فرد من الأفراد ، اللهم الا ممن يرون رأيها ، ويدينون بعقيدتها ، ويعملون مخلصين على اتساع نفوذها ، وبث مبادئها » .

وكبيان لابد منه مرة أخرى وتحت عنوان « صحيفة الرأى الحر » ، يكرر الغاياتى ماسطره فى ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ، وماكرره فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ ، و٥ مايو سنة ١٩٤٤ ، من أن منهاج « منبر الشرق » فى أداء رسالته القومية هى : « ان الوطنية عندنا ليست هى الحزبية ، او الزعامة ، أو النيابة ، أو الوزارة ، وأنه لافضل لهذا على ذاك ، الا بالعمل المجدى النافع ، وان البلاد لاترضى عن حكومة دون حكومة ، الا بالنتائج لا بأشخاص الحكام »(١٩) .

وفى ذكرى مرور ٢٥ عاما على انشاء الجريدة فى جنيف ، ارسل « النحاس باشا صاحب المقام الرفيع » كلمة « لمنبر الشرق » يقول فيها(٢٠) : « أهنىء جريدة « منبر الشرق » بعيدها الفضى ، واثنى على مجهودها الصحفى ، واتمنى لها النجاح والتوفيق ، وانى ليسرنى أن تظل هذه الصحيفة فى كفاحها عما يعتقد مؤسسها انه الحق ، ومايرى انه الواجب لاداء رسالته حرة طليقة من كل قيد ، مجردة عن الهوى والميل . فليس أجدى على الصحيفة من ان تكون حرة فى حدود القانون ، مقداما فى سبيل الحق ، صريحة فى العمل لوجه الوطن ، مترفعة عن الاسفاف فى القول ، والذبذبة

---

(١٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٠٥ ، فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٤ ، ص ١ .

(٢٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٩٥ ، فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ ، ص ١ .

فى السلوك ، وعن الانحدار فى النقد الى مستوى البذاءة والسباب ، ثم تسير بعد ذلك فى طريقها لاتحابى ولا تداجى ، تؤدى رسالتها للصالح العام دون اعتبار سواه ··· ولا شك فى أن الصحيفه التى تسير على هذه السنن سيلقى صاحبها فى طريقه الاشواك والعقبات، ولكنه يتغلب عليها بقوة الشكيمة ، ومضاء العزيمة ، وطول المثابرة ، فاذا سارت الصحافة على هذا المنوال نهضت برسالتها ، واطمأنت الى نجاح غايتها ، وخدمة الوطن وابناءه ، واستحقت أن تكون كما يسمونها مرآة صادقة للرأى العام ··· »

***

وتعتبر الجريدة آية من آيات الصحافة ، لصمودها ، هى وصاحبها على الغاياتى ، أمام التحديات والعقبات ، المستحكمة والمتصلة ، والتى لم تنفرج يوما ، بل كانت تزداد تفجرا مع مرور الأيام والشهور والسنوات ، وأرى أن سبب ذلك استقلاليتها ، وشخصية الغاياتى نفسه ، التى أراد أن ينأى بها عن الأحزاب والزعماء والجماعات ، بينما كان المفروض أمام جريدة حديثة العهد – فى ذلك الوقت – وأمام الضيق المالى الذى كانت تعيش فيه ، أن يدفعه ذلك دفعا الى أحضان ذوى النفوذ ، وأصحاب الأموال ·

فنراها مثلا قد بدأت فى الصدور فى ثمانى صفحات ، تنخفض الى أربع فقط ، عندما يكون هناك أمر عسكرى بتحديد عدد صفحات الجرائد والمجلات(٢١) ، وهى تصدر أسبوعيا ، ولكن يمكن أن تجدها متأخرة اسبوعين كاملين ، عندما يصدر أمر عسكرى آخر باغلاق مطبعتها(٢٢) ، كما تعرضت لقرار من مراقبة

---

(٢١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٠٠ ، فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٤٢ ، ص ١ ·

(٢٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٥٦ ، فى ١٣ يونيو سنة ١٩٤١ ، ص ١ ·

النشر بوزارة الداخلية فى أول نوفمبر سنة ١٩٤٢ بوقفها لمـــدة اسبوعين ، لاقدامها على ترك فراغ أبيض كتبت فيه « للايجار » ، فى موضع مقال حذفته الرقابة ، ولم يستبدل بغيره (العدد ٢٢٥ فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٢)(٢٣) ٠

كما اضطرت لرفع الاشتراكات أكثر من مرة ، فبعد أن كان الاشتراك السنوى ٥٠ قرشا فى مصر ، و١٠٠ قرش فى الخارج ، اصبح ١٠٠ قرش فى مصر ، و ٥٠ قرشا فى الخارج(٢٤) ، وبعد ان بدات تصدر أعدادا ممتازة فى يومى الجمعة الأول من كل شهر فى ٨ صفحات (بدلا من أربعة) ويباع بعشرة مليمات(٢٥) ، جعلت العدد الممتاز بقرشين ، والعادى بعشرة مليمات (بدلا من خمسة) ، مراعاة للزيادة الكبيرة والمطردة فى أسعار الورق ، وفى بقية نفقات الطباعة ، وشدة الغلاء(٢٦) ٠

كانت ادارة الجريدة فى عمارة بحرى حرف C بميدان الخديو اسماعيل ، اما مطبعة « منبر الشرق » فكانت فى ١١ شارع منشأة المهرانى بالقاهرة ، ويحدثنا الأستاذ فتحى رضوان(٢٧) ، عن مقر الجريدة ، فيقول انها قد احتلت شقة رطبة معتمـــة نوعا ، وكانت

---

(٢٣) سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر ، مسلسل رقـم ٥٠٩ ٠

(٢٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٧٧ ، فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤١ ، ص ١ ٠

(٢٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٨٨ ، فى ١٤ يناير سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

(٢٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٠٤ ، فى ٥ مايو سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

(٢٧) فى « عصر ورجـال » ، مرجع سابق ، ص ٣١٣ ــ ٣١٤ ٠

أرضيتها من البلاط الذى يبعث فى الشتاء برودة قارصة تسرى فى جسم الانسان فيتثلج بها ، ولكن مع ذلك ، كانت هذه الشقة نظيفة منظمة ، فقلم الغاياتى على المحبرة فى وضع ثابت ، والمحبرة فوق المكتب الصغير فى مكان محدد ، والكرسى من المكتب على مسافة لاتتغير ، والمكتب مرتب لاتجد فيه ورقة ، ولا حتى رماد سيجارة ، ولا تراب تخلف من حذاء الا أن يكون من حذاء ضيف لم يتأدب بأدب ندوة الغاياتى ، فينظف نعليه على الممسحة الموضوعة على العتبة ، وفى هذا المكتب الصغير ، أستقبل الغاياتى عددا من زعماء الشرق : عرب ومسلمين ، من الهند والغرب ، من أندونيسيا والصين ، وكان سكرتير الغاياتى الذى يعينه فى عمله ، ويفتح له بريده ، ويرد على مكالمات التليفون ، ويفتح الباب للضيوف، ويقفل الباب وراءهم هو « الغاياتى » نفسه فلم يعنه فى كل مهام الصحيفة الا شاب سودانى اسمه (ميرغنى) ، أخلص « للغاياتى »، ولكن كان أكثر عمله خارج المكتب فى تحصيل الاشتراكات وارسال البريد ٠

ومثلما كانت « منبر الشرق » تصدر فى جنيف ، وبها بعض الاعلانات (الحلال) من المصانع والشركات والبيوت التجارية ، فلقد رفض « الغاياتى » أثر عودته الى الوطن ، واصدار جريدته فى القاهرة ، أن يقبل اعلانات الخمور والملاهى والمراقص ودور القمار واللهو الآثم(٢٨) ٠

***

(٢٨) مختار الوكيل ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ ٠

« الطبعة الفرنسية »

كانت أمنية الغاياتي ـ كما ذكر فى افتتاحية العدد الأول من « منبر الشرق » ـ أن يصدر طبعة شهرية من جريدته باللغة الفرنسية ، لتحمل رسالة مصر الى العالم الغربى ، ولتجدد بها مابين مصر ، وذلك العالم من صلات نافعة وعهد حميد ·

وظلت هذه الأمنية بين ضلوع صدر الغاياتى ، ووجدانه ، وفؤاده ، منذ عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٤٦ ، عندما بدأ يفكر عمليا لتنفيذ ذلك ، وذلك من أجل « الدفاع عن الحق والحرية والعدل ، فى وقت أخذت فيه ألسنة الاستعمار تشوه الحقائق وتفترى الاكاذيب ، وتسىء عمدا الى سمعة البلاد فى الداخل والخارج(٢٩) »

واستمر الغاياتى يعلن عن بدء اصدار هذه الطبعة الفرنسية فى الأعداد اللاحقة ، ثم صرح بأن هناك صعوبات تواجهه(٣٠) ، منها ماهو خاص بالتموين والحصول على الورق اللازم ، أو المطالبة بتأمين جديد ، لأن ذلك يعتبر ترخيصا باصدار جريدة جديدة ، رافضين الضمان الشخصى ، حتى ولو كان الضامن رئيس الوزراء نفسه !! ، ويرى بأن السبب فى ذلك يرجع الى وزارة الداخلية ،

---

(٢٩) بعنوان « طبعة فرنسية » ، العدد ٣٩٨ من « منبر الشرق » ، فى ٨ مارس سنة ١٩٤٦ ، ص ١ ·

(٣٠) بعنوان « حديث الطبعة الفرنسية » ، العدد ٤٠٨ من « منبر الشرق » ، فى ١٧ مايو سنة ١٩٤٦ ، ص ١ ·

التى يهيمن عليها الانجليز ، بأيدى بعض كبار الموظفين المصريين ٠٠ وعن طريق قانون المطبوعات الرجعى ، والذى هو من عمل الاحتلال ٠٠٠ ثم تلك الاوامر العسكرية الاستبدادية التى لم يعد لها من مبرر بعد انقضاء الحرب والقتال ٠٠ !!

ولذلك فقد بدأ الغاياتى ينشر أولا مايريده باللغة الفرنسية ، فى « منبر الشرق » الصادرة بالعربية ، فى صفحة بكاملها (هى صفحة ٤ الأخيرة)(٢١) ، وذلك حتى يتسنى له اصدار طبعة مستقلة بالجريدة ، كما أنه طلب معاونة الكتاب والاداريين الذين يكتبون باللغتين العربية والفرنسية ، لمساعدته فى هذا العمل الصعب ، والا اضطر آسفا الى تركه(٢٢) ، ويبدو أن الصعوبات التحريرية أيضا (بالاضافة الى المشاكل الخارجية) جعلت الغاياتى يعيد حساباته فعلا مع نفسه ، ويترك هذا العمل ذو الهدف الوطنى الخالص ، وها هو يقول(٢٣) : « لقد كانت تجربة مؤقتة ، ولكنها كانت نافعة منتجة على كل حال ، وقد مهدنا بها لاصدار الطبعة الفرنسية الكاملة المستقلة التى نحاول نشرها ، وتحول الحكومة « الوطنية » دون ما نريد ، وسنحاول أن ننفذها فى الغد القريب ، اذا كان فى العمر بقية ٠٠٠ ليتحقق الأمل رغم كل أنف » ٠

وكان فعلا فى العمر بقية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٦) ولكن الأمل لم يتحقق ٠!

---

(٢١) جريدة « منبر الشرق » ، الاعداد ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، فى ٧ و ١٤ و ٢١ و ٢٨ يونيو سنة ١٩٤٦ على التوالى ٠

(٢٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤١٢ ، فى ١٤ يونيو سنة ١٩٤٦ ، ص ١ ٠

(٢٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤١٥ ، فى ٥ يوليو سنة ١٩٤٦ ، ص ١ ٠

« الوســام البلجيكى »

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ليوبولد الثالث ، ملك بلجيكا ، فانعم على صاحب جريدة « منبر الشرق » بوسام تـــاج بلجيكا من درجة فارس ، بمناسبة اشتراكه الصــحفى فى مؤتمر مونترو بسويسرا (فى ربيع سنة ١٩٣٧) . وقد تسلم الغاياتى صباح يوم الاثنين ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ، هذا الوســـام الكريم ، شاكرا ، من يد صاحب السعادة وزير بلجيكا المفوض فى مصر ، وكتب الغاياتى تعليقا على ذلك قائلا(٣٤) « واذا كان فى هذا الانعام معنـــى من معـــانى التقديـــر والتكريـــم ، فانما ذلك فى الحقيقة تقدير وتكريـــم للصـــحافة المصــرية التى استطاعت أن تـــؤدى واجبهـــا الوطنـــى الدقيـــق فى هـــذا المؤتـــر العظيم ، مع حرصها على صلات المودة التى تربط وادى النيل بالدول الغربية ، ومعلوم أن بلجيكا دولة محايدة مسالمة كل ماترمى اليه هو المحافظة على مصالحها الاقتصادية فى مصر ، على أساس عادل من الصداقة ، وحسن التفاهم ، وتبادل المنفعة المشتركة ، فنحن من جهتنا ، لايسعنا الا أن نرحب بمثل هذا الروح النبيل النزيه ، الذى يجب أن يسود جميع علاقاتنا بسائر الحكومات والشعوب » .

---

(٣٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٦ ، فى ٧ فبراير سنة ١٩٣٩ ، ص ١ .

(أهم القضايا التى أثارها)

(الوحدة العربية الاسلامية ـ قضية فلسطين)

بالاضافة الى تلك القضايا ، سواء على المستوى الخارجى والدولى لمصر ، أو على المستوى الداخلى لها ، والتى كانت مشبعة كلها بروح الاستقلالية التامة عن الاحزاب والزعماء ، وانما فقط من أجل الوطن المصرى والتى نشرها فى جريدة « السياسة » ، فان هناك قضايا أخرى ، تبناها على الغاياتى ، فى جريدة « منبر الشرق » ، ولم يكن بالطبع بمفرده ، بل كانت هناك أسماء لامعة تشاركه بالرأى وبالكلمة الحرة الشريفة ، وأسماء أخرى لمعت بعد ذلك فى دنيا الصحافة والفكر والأدب والسياسة والدين والاقتصاد ..

من هؤلاء مثلا الأساتذة الدكتور مصطفى الحفناوى ـ محمد لطفى جمعة ـ فتحى رضوان ـ محمود تيمور ـ كامل كيلانى ـ على الجارم ـ عبد المنعم الصاوى ـ عبد الحميد جودة السحار ـ خليل مطران ـ محمد فهمى عبد اللطيف ـ أحمد القليبى ـ على الجندى ـ الشيخ محمود شلتوت ـ الشيخ أحمد الشرباصى ـ الدكتور عبد الحليم محمود ـ الدكتور محمد غلاب ـ الدكتور محمد البهى ـ الدكتور مختار الوكيل ـ الدكتور محمود عزمى ـ أحمد حسين ـ الشيخ عبد المنعم النمر ـ الدكتور محمد عبد الله ماضى ـ الدكتور أحمد زكى أبو شادى ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وغيرهم وغيرهم ..

فهو أولا ينطلق من أن مصر دولة عربية اسلامية ، لكى يهاجم

فكرة أنها دولة فرعونية ، ويرد على كلام هؤلاء قائلا : « ·· ان التفكير الفرعونى ، لتفكير خاطىء ، وان روح العروبة والاسلام ، لهو روح العزة والسلام ، الذى يجب أن يسود فى المشارق والمغارب، ولا ريب انه بالوحدة العربية وحدها تتحقق تلك السـيادة التى يرجوها العرب والمسلمون أجمعون »(٣٥) ، ثم يقول فى عدد تال : « ·· ان فى مصر العربية المسلمة ، بل زعيمة العالم العربى والعالم الاسلامى ، دعاية فرعونية ، كلها تضليل وتزوير وبهتان ، يراد بها اضعاف الفكرة العربية الاسلامية ، وفصل الكنانة عن وحـدة الضاد والقرآن ·· »(٣٦)

ثم نراه يؤكد دائما ــ بعد ذلك ــ على قضية الوحدة العربية ، ومعها الوحدة الاســلامية ، فتحت عنوان « الــولايات المتحدة العربية(٣٧) ، يرى بأن هذه الفكرة يجب أن تتحقق فقد طال الأمد عليها ، وكثر الكلام بشأنها ، وانقضت حرب ، واقبلت حرب ، وهى جامدة فى مكانها ، لاتكاد تتقدم خطوة الى الامام ··· ، ثـم يؤكد مرة أخرى ، « بأن ثمانين مليونا من العرب فى آسيا وافريقيا يتوقون بدون شك الى جمع شملهم ، واحياء دولتهم(٣٨) » ، واذا كانت الوحدة العربية حلما لذيذا ، فان الغاياتى يرى بأن لذته يجب ألا تنسينا حلما آخر ألذ وأعذب ، ألا وهو « الجامعة الاسلامية »

---

(٣٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٧١ ، فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤١ ، ص ١ ، تحت عنوان « الوحدة العربية » .

(٣٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٧٢ ، فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٤١ ، ص ١ ، تحت عنوان « التفكير الفرعونى والوحدة العربية » .

(٣٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٣١ ، فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ ، ص [illegible] .

(٣٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٤٨ ، فى ٩ ابريل سنة ١٩٤٣ ، ص ١ ، تحت عنوان « قضية العروبة والعرب » .

التى جاء بها الاسلام ، فجعل أبناءه جميعا ، اخوة ، لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ، كما قال جل شأنه فى كتـــابه المجيد : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، ويحبذ أن تتحقق هذه الفكرة مبدئيا فى مكة المكرمة ، فتتألف هناك هيئة من جميع الامم الاســـلامية ، مهمتها رعاية الاماكن المقدسة ، والاشراف على الحج ، والاتصال بالحجاج وبأوطانهم ، ونشر السلام والطمأنينة والرخاء والاخاء بينهم ، منعا لكل مايفرق المسلمين ، وسعيا وراء كل مايؤلف قلوبهم ويجمع كلمتهم(٣٩) ٠

وعندما بدأت الاجتماعات التمهيدية لانشاء « جامعة الدول العربية» ، يكتب الغاياتى تحت العنوان السابق قائلا(٤٠) : «٠٠ ومما لاريب فيه أن تأسيس هذه الجامعة فى الوقت الحاضر عمل تاريخى ضخم ، قد يؤدى ـ اذا احسن استغلاله ـ الى نتائج باهرة لخير العروبة والعرب ٠٠٠ واننا واثقون كل الثقة ، بأن الاساس الذى ستقوم عليه هذه الجامعة ، أساس صالح ، لبناء مستقبل سعيد للأمة العربية كلها ، وبأن العرب يستطيعون بهذه الاداة تحقيق مايصبون اليه من أهداف عظيمة » ٠

ثم يعود مرة أخرى الى الوحدة الاســـلامية ، فيقول تحت عنوان « العروبة والعرب »(٤١) : « ٠٠٠ ومن العجيب ان الحال وصل بالمسلمين الى حد انهم كانوا يخشون أن يقولوا انهم مسلمون ،

---

(٣٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٨٩ ، فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

(٤٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٤٨ ، فى ٢٣ مارس سنة ١٩٤٥ ، ص ١ ٠

(٤١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٢٠ ، فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٥ ، ص ١ ٠

ومن هنا ظهر اسم خاص لكل فريق منهم ، كالترك ، والمصريين ، والعرب ، وغيرهم ... ، واختفى اسم الاسلام ، بل اختفى أيضا أسم الشرق فى بعض الحالات ، وأصبح المجددون المغرورون من الشرقيين يتمسحون بالغرب والغربيين ، ويزعمون انهم منهم ، ان لم يكن فى الجنس ، ففى الثقافة والمدنية ... فليت شعرى ، هل ادركنا قيمة بلادنا ، وفهمنا قيمة الاســـلام ، الذى ندين به ونعتز باعتناقه ؟ اننا يوم ندرك ذلك حق الادراك ، ونفهمه حق الفهم ، يكون لنا فى الحياة شأن آخر ، هو خير بألف مرة مما نحن عليــه الآن » .

وتعليقا على مؤتمر الشعوب الأسيوية الافريقية ، المنعقد فى باندونج بأندونيسيا (فى ١٨ ابريل ســـنة ١٩٥٥) ، ومايرجوه الغاياتى منه كواحد من المسلمين ، يقـــول تحت عنوان « مؤتمر ومؤتمر »(٤٢) .. وان لنا لمؤتمرا عالميا آخر نوجه النظر اليه ، ونؤمل من ورائه ـ لو عرف المسلمون ـ خيرا أعم وأكبر ، ذلك هو مؤتمر الحج الذى دعا اليه القرآن ، وأعده الرحمن لعباده كل عام ، وقد اقترب موعده ، وأذن المؤذن بوجوب انعقاده ، فهل نلبى النداء ، ونجيب داعى السماء ؟ وهل يفهم الذاهبون اليه أسراره ويفيدون ويستفيدون من معانيه ومراميه ؟

ومنطلقا من وحدة القضايا المصرية مع القضـــايا العربية والاسلامية ، يتعرض على الغاياتى فى كتاباته لأكثر من مرة ، مع قضية الشعب الفلسطينى ، واسرائيل ، فتحت عنوان « العـرب امام الصهيونية »(٤٣) يطالب أولا قبل كل شىء بالتميز بين اليهود

---

(٤٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٢٦ ، فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٥٥ ، ص ١ .

(٤٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٢٩٦ ، فى ١٠ مارس سنة ١٩٢٤ ، ص ١

الفلسطنيين القدماء ، وبين غيرهم من اللاجئين والمهاجرين التابعين لجماعة الصهيونية ، كما يجب التمييز كذلك بين مسألة اليهود المضطهدين فى بعض البلاد الاوربية ، وبين مسألة الصهيونية فى فلسطين ، لأن العرب لايضمرون شرا لاخوانهم من السكان الاصليين ولا يقرون أحدا على اضطهاد أحد بسبب الجنس أو الرأى أو الدين ، وهم يعطفون على اليهود المضطهدين ، ويأسفون لما حل بهم ، ولكن هذا شىء ، والصهيونية ــ التى تحاول أن تجعل من وطنهم العربى وطنا قوميا لايلبث اذا استمرت ابواب الهجرة مفتوحة أن يصبح دولة يهودية فى قلب الدولة العربية ــ شىء آخر بالمرة ، يقف العرب جميعا بازائه موقفا واحدا لايتغير : هو موقف الاستنكار والمعارضة ، ثم المقاومة بالقوة ، ان دعت الحال ٠

ولذلك فأنت تراه يعرب عن اعجابه وتقديره للسيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر ، الذى لايدخر جهدا فى سبيل هذه القضية ــ وكان قد أصدر كتابا عن ذلك ــ ثم يقول تحت عنوان « حقائق قضية فلسطين »(٤٤) : « ولايسع العربى المؤمن الا أن يشمر عن ساعد الجد ، ويواصل الجهاد بكل مايستطيع من أجل فلسطين وحريتها ، وعودتها الى احضان العروبة والاسلام » ، ثم تراه ثانية يكتب تحت عنوان « يجب زوال اسرائيل »(٤٥) ، يؤيد الفتوى الخطيرة التى أصدرتها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، والتى تحرم فيها الصلح مع اسرائيل ، والتحالف مع حماتها ، وأنها أوجبت على المسلمين جميعا التعاون لاسترداد فلسطين ، وتزويد المجاهدين بالسلاح لبلوغ هذه الغاية ٠

---

(٤٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨١٥ ، فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٥ ، ص ١ ٠

(٤٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٥٨ ، فى ١٣ يناير سنة ١٩٥٦ ، ص ٢

(على هامش الحج)

أعلن الغاياتى لقرائه بأنه سوف يلبى دعوة الله الى حج بيته الحرام ، وأنه سيسافر « الى الله ورسوله »(٤٦) ، لأداء تلك الفريضة المقدسة ، وقد سافر فعلا فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، وبعد عودته الى مصر ، بدأ فى نشر مجموعة من المقالات والآراء التى تتسم بالجرأة ، والنقد البناء ، لما كان يحدث للحجاج ، فى السعودية ، فى عهد الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد بدأ فى هذه المقالات ، والتى كانت تحت عنوان « على هامش الحج »(٤٧) ، فى ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

وقد طالب الغاياتى ، فى تلك السلسلة الصحفية ، أن تكون الاماكن المقدسة فى الحجاز لجميع المسلمين ، لايمتاز فيها منهم فريق دون فريق ، ويجب أن تدير شؤون تلك الاماكن هيئة دولية اسلامية الى أن يعود للاسلام سلطانه ومجده ، فى ظل خلافة قوية ، وخليفة رشيد ، وماذلك على الله بعزيز ، كما كتب تحقيقا صريحا صادقا عن حالة البلاد المقدسة ، وعما يلاقيه الحجاج من متاعب وسوء معاملة للاهمال الشديد الذى تغرق فيه الأماكن التى يؤدى فيها الحجاج فرائضهم ، ولما يتعرضون له من استغلال فاحش ، واهانات بالغة ،

---

(٤٦) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤٢٧ ، فى ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١

(٤٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٤٣٠ ، فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، ص ١

وقد اعترف الغاياتي بأنه قد رفض مقابلة الملك السعودي ، وأسرع بالسفر الى المدينة المنورة ، بعد انتهاء مناسك الحج ، وقد قامت احدى دور النشر ، بطبع هذ هالمقالات ، تحت نفس العنوان (على هامش الحج) ، وقد كتب الغاياتي مقدمته لهذا الكتيب (الذي يقع في ٢٨ صفحة) في فجر الأحد ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٣٦٦ ، ٢٣ مارس سنة ١٩٤٧ ، وفيها يقول(٤٨) :

« أحمد الله وأشكره ، وأتوب اليه واستغفره ، وأسأله الهداية والتوفيق الى أقوم طريق ، وأصلي وأسلم على نبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الأكرمين ، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين ·

أما بعد ، فهذه كلمات وجيزة ، بل اشـــارات عابرة لبعض ماهنالك ، سطرتها عقب العودة مباشرة من الأراضي المقدسة في أحد عشر عددا من « منبر الشرق » لتكون حافزة الى شدة الاهتمام وسرعة الاصلاح ، ولاغرو فهي شؤون تثير الشجون ، وتدعـــو الى الاهتمام والاصلاح بلا تردد ولا ابطاء ·

لقد أريد وأنا بمكة أن أتشرف بمقابلة ملكية خاصة ، فاعتذرت وعجلت بالرحيل الى المدينة المنورة ، وأريد بعد ايابي الى مصر ، أن أكتفي بكتابة تقرير الى أولي الأمر ، فاعتذرت أيضا ، ونشرت مانشرت على ملأ المسلمين ، لأنه يهم جميع المســـلمين ، ولأن سياسة السكوت والاسكات المتبعة هناك ، اثمها عندي أكبر من

---

(٤٨) علي الغاياتي ، **على هامش الحج** ، ط (٢) (القاهرة ، دار النشر للجميع ، مايو ١٩٦٣) ص ٣ ، وهي الطبعة المحفوظة في دار الكتب العامـة بالقـاهرة ·

نفعها ، والرضا بها جريمة لاتغتفر ، فى حق الاسلام وأهل الاسلام ، وفق الله العاملين ، وحقق أمل الآملين » .

وقد نظم الغاياتى قصائد دينية ، جميلة ومؤثرة ، عندما كان يزور هذه الاماكن المقدسة ، فى مكة المشرفة ، أو المدينة المنورة ، فيقول تحت عنوان « فى الروضة الشريفة »(٤٩) .

أنا عاشـــق لمحمـــد	ولآلـــه ولصحـــبه
وأحـب مـا فـى العيش عنـ	ـدى سـاعة فـى قربـه
سـر الوجـود هـو الحبيـ	ـب وقلبـه من قلبـه
نـور علـى نـور تجلـى	مـن سـماء محبـه
فأخشـع أمـام بهـائه	فبهـاؤه مـن ربـه
لبيتـه لمـا دعـا	واذا دعـاك قلبـه
فـهو البشـير لقومـه	وهـو الشـفيع لحـزبه
البـر مـن آياتـه	وهـدى الورى مـن دأبـه
هـو رحمـة للكون طـرا	شـرقه او غـربه
انـى وقفـت ببابـه	والظهـر نـاء بذنبـه
ناديـته مسـتشفعا	فقضـى لبانـة صـبه
ورجـوت عـز المسلمين	بهـديه ويطبـه
فدعـا معى ملك الملـو	ك لهـم ، اذا اعتصموا بـه
أحيـا بـه فـاذا انقضـى	عمـرى انقضـى فـى حبـه

وفى مرة أخرى ، زار فيها الغاياتى ، المدينة المنورة ، يقول

---

(٤٩) على الغاياتى ، على هامش الحج ، المصدر السبق ، ص ٢٧ .

تحت عنوان « الى حمى الرسول »(٥٠) : « اليك يارسول الله نلجأ ، والى حماك نشد الرحال ، عسى الله أن يغفر ، وعساك أن تستغفر ، وعسانا أن نروى الغلة ، ونشفى العلة بمناجاتك أيها النبى الحبيب» ثم قال : ـ

يارسـول الله انـى كلمـا
قـرب اليـوم الـذى فيـه أراك

خفق القلـب وفاضـت أدمعـى
وعرانـى ما عرانـى من هـواك

وبـدا النـور الـذى شـاهدتـه
حيـن كنـا نتناجـى فـى حمـاك

قبـس مـن نـوره سـبحانـه
مـلأ الأرجـاء اشراقا هنـاك

ليت شـعرى والـحشـا مستعر
ومـلاك الحـب مـن غير مـلاك

اعـلى حمـل الهـوى اقـوى اذا
لاحـت الروضـة لـى يوم لقـاك

***

وأهتم الغاياتى فى جريدته بالتأريخ لعظماء مصر ، ورجالاتها، بدءا من مصطفى كامـل ، ومحمد فريد ، والشـيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ محمد عبده ... وغيرهم وغيرهم ، ممن كان

---

(٥٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٢٣ ، فى ١٨ مارس سنة ١٩٥٥ ، ص ١

لهم دور بارز فى الحركة الوطنية ، الى أن وصل الى زعيم ثورة ١٩١٩ ، سعد زغلول ، وكانت المناسبة هى رفـــع الملك فاروق ، الستار عن تمثاله بالاسكندرية فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، فى الوقت الذى سيرفع فيه ، باسم جلالته أيضا ، الستار عن تمثاله فى القاهرة ، وذلك فى ذكرى مرور احدى عشر عاما على وفاته ، فتحت عنوان « ذكرى »(٥١) نشر الغاياتى قصيدته فى سعد زغلول ـ والتى نشرها فى العدد الأول من « منبر الشرق » فى جنيف ، فى ٥ فبراير سنة ١٩٢٢ والتى مطلعها :

نظمـــوا فيـــك أيهـــا العلـــم
دررا قـــيل انهـــــا كلـــم

ثم يعلق على ذلك قائلا : « ولا ريب أن مثل هذه الأبيات انما فاض بها الشعور الوطنى الذى بعثته الحوادث فى القلوب ، والذى يعتبر سعد باشا فى ذلك الحين رمزا من رموزه ، وآية من آياته ، أما اليوم فلا نرى مايدفع الناس حقا الى مثل هذه العواطف بل ان هذه العواطف نفسها ، تكاد تكون قد تلاشت ، وكل مابقى هو بمثابة ذكرى لهذه الذكرى القديمة » ٠

ويرى الغاياتى ان لسعد حسنات ، كمـــا أن له ســـيئات ، والمستقبل وحده هو الذى سيبين لنا ايهما الارجح ، وليس معنى ذلك أنه لا يجدر بنا الثناء على سعد أو تعظيمه ، واكبار عمله ، خصوصا فى فجر النهضة المصرية ، أو أن سعدا لايستحق قبرا لكقبره، أو تمثالين كتمثاليه ، ولكن لايجب أن يعمينا عن الحقيقة ، وهى أنه يوجد بمصر ، غير سعد ، بل وخير من سعد ، من الابطال

---

(٥١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ١٣ ، فى ٢٣ اغسطس سنة ١٩٣٨ ، ص ١.

الذين يجب على الامة والحكومة تكريمهم وتخليد ذكراهم ، وفى طليعة الجميع رسول الوطنية الأول ، ونبيها الصادق الأمين : مصطفى كامل باشا ، صاحب التمثال السجين ، والقبر المهدم ... فهل من منصف ، وهل من مدكر ؟

(وثورة ٢٣ يوليو)

ذكرنا أنه لاتوجد أعداد « منبر الشرق » الخاصة بسنتى ١٩٥٢ و ١٩٥٣ ، محفوظة فى دار الكتب بالقاهرة ، لكى نتعرف على رأى الغاياتى فى بدء قيام ثورة ٢٣ يوليو ، ولكن عندما تمت محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر بثمانى رصاصات ، وهو يخطب فى ربع مليون مواطن بالاسكندرية ، بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء ، يكتب الغاياتى تحت عنوان « القتل السياسى » قائلا(٥٢) : انه ليس من الديــن ، وليس من الوطنيــة ، وليس من العقل ، وليس من الانسانية ، أن يقتل المسلم أخاه المسلم ، والمواطن اخاه المواطن ، والانســان أخاه الانسان ، لالشىء الا لأنه يخالفــه فى الرأى ، ويعارضه فى السياسة . لا ليس القتل السياسى هو الطريق القويم لاصلاح المجتمع ، وتطهير أداة الحكم ، بل انه قد يأتى بنتائج عكسية، تضاعف ويلات البلاد ، وتزيد فى احراجها ، اضف الى ذلك أنــه مما لاتسوغه الشرائع ، ولا تبيحه القوانين » .

وقد تعرض الغاياتى فى أكثر من مرة « للدستور المصــرى الجديد » ــ والذى صدر فى يناير سنة ١٩٥٦ ــ وفى احدى هذه المرات ، وكانت تحت عنوان « الدستور والرقابة والاسلام ونظام

---

(٥٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٠٣ ، ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ ، ص ١

الحكم »(٥٣) يطالب بأن يكون الدستور الحقيقى لنا هو دستور السماء ، ففى القرآن الكريم من الاحكام والحكم الخالدة ، مايغنى الناس عن أى دستور ٠٠ لأن الاسلام هو دين الشورى الصحيحة ، وعلى أساسه يجب أن يبنى صرح الدولة ، ونظام الحكم فى الاسلام نظام ديمقراطى حقيقى ، يعيش فى ظله المسلمون وغيرهم ، فى أمن كامل واطمئنان شامل ، كما يشهد بذلك التاريخ القديم والحديث ٠

وعندما يتم رفع العلم المصرى على قاعدة قناة السويس ، ويخرج آخر جندى انجليزى من مصر « بعد أربعة وسبعين عاما » من الاحتلال ، يقول الغاياتى ٠٠٠ « نعم ٠ انها لحظة سعد بها الجيل الحاضر ، وحرم منها الآباء والاجداد ، فيجب تقديسها ، وتخليد ذكراها ، حيا الله المجاهدين الأحرار ، ورحم الشهداء الأبرار ٠٠٠ ، ان كل من عرف مقدار المصائب والويلات التى نزلت بمصر فى عهد الاحتلال البريطانى البغيض ــ وكل احتلال اجنبى بغيض وبغيض ــ لايسعه الا الاغتباط برحيل المحتلين ، وهذه نتيجة طبيعية لكل شعب مجاهد يريد الحياة حرا مستقلا(٥٤) ٠٠

وتعقيبا على تأميم شركة قناة السويس (فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ بالاسكندرية) يكتب الغاياتى مقاله الافتتاحى تحت عنوان « ليحذر الغرب »(٥٥) ، وفيه يحذر الغرب من التمادى فى الغرور

---

(٥٣) جريدة «منبر الشرق» ، العدد ٨٦٠ فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٦ ، ص ١ ٠

(٥٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٠ فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٦ ، ص ١ ٠

(٥٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٥ فى ٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ص ١ ٠

والشطط ، فان الشعوب لم تعد ترهبها كثيرا مظاهر القوة المادية . لأن لها غاية فوق المادة ، وخير للغرب أن يبقى على صلة سليمة بالشرق ، من أن تنقطع هذه الصلة دفعة واحدة فتكون الطامـــة الكبرى على الشرق والغرب معا (وكان ذلك قبل العدوان الثلاثـــى بأسابيع) ٠

وقد كان آخر مقال افتتاحى فى جريدة « منبر الشرق » لعلى الغاياتى ، أيضا مرتبطا بثورة ٢٣ يوليو ، وسف نورد نصه ، عند الحديث عن وفاة الغاياتى الى رحمة الله ، وقد نشرت دار النشر للجميع أيضا ، ذكريات الغاياتى فى ذلك بعنوان « فجر الثورة » . ولكنه غير محفوظ فى دار الكتب ٠

***

((وطنيتى)) مرة أخرى ..

أعاد على الغاياتى ، طبع ديوانه « وطنيتى » ، بعد عودته الى مصر نهائيا ، طبعتين ، الأولى سنة ١٩٣٨ ، وكانت فى مطبعة عطايا بباب الخلق بمصر ، وثمنها عشرة قروش ، وكانت ترسل هدية مجانا ، الى كل مشترك جديد فى جريدة « منبر الشرق »(٥٦) ، أما الطبعة الثانية « لوطنيتى » بعد عودة صاحبها من جنيف ، فكانت سنة ١٩٤٧ ، فى مطبعة جريدته .

وقد قدم الغاياتى ، أولى هذه الطبعات بالمقدمة التالية(٥٧) : ـ

(بعد ثمانية وعشرين عاما)

« أصدرت هذا الكتاب فى منتصف عام ١٩١٠ ، وقد صودر اذ ذاك وحوكمت من أجله ، وحكم على غيابيا بالحبس سنة . ولكنى فررت سرا من مصر ، وطنى المفدى ، قبيل المحاكمة ، ويممت الآستانة حيث أقمت خمسة أشهر ، ثم سافرت الى جنيف ، وبقيت بها زهاء سبعة وعشرين عاما ، وأخيرا عدت الى بلدى المحبوب ، وسابين هذه الحوادث بالتفصيل فى مقدمة الجزء الثانى من « وطنيتى » الذى سأنشره قريبا ان شاء الله » .

---

(٥٦) جريدة ((منبر الشرق)) ، العدد الأول فى ٦ مايو سنة ١٩٣٨ ، ص ٧ .

(٥٧) على الغاياتى ، ((وطنيتى)) ، ط (٢) (القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٣٨) ص ٣ .

« رأيت بعد هذه المدة الطويلة ، وقد سقط الحكم على وتبدلت الاحوال السياسية فى وادى النيل السعيد ، ان أعيد طبع هذا المؤلف، الذى غير مجرى حياتى كل التغيير ، ويسرنى أن يتم لى ذلك يوم الذكرى الثلاثين . لوفاة رسول الوطنية الصادق الأمين المرحـوم مصطفى كامل باشا ، الذى فاض كتابى بذكره الطيب ، واسمـه الخالد المجيد ، ومن حسن الاتفاق ان يكون هذا اليوم أيضا يوم عيد الأضحى المبارك ، ويوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المحبوب فاروق الأول حفظه الله » ٠

(المؤلف)

القاهرة فى يوم الجمعة ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٥٦

١١ فبرايـر سـنة ١٩٣٨

***

اما مقدمة الطبعة الثالثة من « وطنيتى » كما كتبها الغاياتى فكانت تحت عنوان :

بيـــــان (٥٨)

« ظهرت الطبعة الأولى من « وطنيتى » فى الأسبوع الاخير من شهر يونيو سنة ١٩١٠ ، وقد اقام هذا الديوان دنيا الاحتلال واقعدها ، ولم يكن يصدر حتى صودر ، وهاجر صاحبه سرا من مصر فى ٦ يوليو ، فحوكم غيابيا ، وحكم عليه فى ٦ اغســـطس بالحبس سنة ، كما حكم على المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر ، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظه فيها ، ولمثل هذا السبب ، حوكم كذلك المرحوم محمد بك فريد ، بعد عودته من اوربا ، وحكم عليه فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر »٠

« وكان المؤلف قد يمم شطر الاستانة ، حيث اقام خمســـة شهور الا قليلا ، ثم سافر الى سويسرا ، وبقى فى جنيف زهاء سبعة وعشرين عاما ، أسس فى خلالها اسرته سنة ١٩١٢ ، وجريدته « منبر الشرق » أو «La Tribune d'Orient» سنة ١٩٢٢ ، وعاوده الحنين والرجاء ، فعاد الى وطنه المحبوب فى ٢٨ يونيه سنة ١٩٣٧ ، وأعاد طبع « وطنيتى » فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٨ تحت سمع الحكومة وبصرها ، بعد أن سقط الحكم ، وتبدلت الأحوال » ٠

« وجاءت الحرب الماضية ، واستمرت نحو أربع سنوات لـم

---

(٥٨) على الغاياتى « وطنيتى » ، ط (٣) (القاهرة ، مطبعة منبر الشرق ، ١٩٤٧) ص ٣ ، ٤ ٠

يتخذ فيها أى اجراء ضد ذلك الكتاب ، الذى يعتبر بحق سـجلا تاريخيا للحركة الوطنية فى فترة قصيرة من الزمن الخالى ، ولكن « الحليفة » الماكرة الغادرة شعرت فجأة بأن فى نشره ورحى القتال دائرة دعاية سيئة لها فما كان من القلم السياسى المصرى ، الا أن أوفد بعض ضباطه فى صباح السبت ١٧ يونيه سنة ١٩٤٣ الى المؤلف للبحث عن « وطنيتى » عنده فلما لم يجدوها لديه ، أخذوا عليه تعهدا كتابيا بألا يطبعها أو يوزعها مادامت الحرب قائمة » ٠٠

« وبذلك تكون « وطنيتى » قد طبعت مرتين ، وصودرت أيضا مرتين !! » ٠

« وهاهى ذى طبعة ثالثة أراد الله لها ان تظهر ، والبلاد من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال تطالب بالوحدة والجلاء ٠ ومن حسن الاتفاق ان يكون ظهورها كظهور الطبعة الثانية فى أيام ذكرى وفاة المغفور له مصطفى كامل باشا ، الذى فاض الديوان بآيات ذكره العطر المجيد » ٠

« أما الجزء الثانى من « وطنيتى » ، وهو « هجرتى » ـ فلا يزال الأمل كبيرا فى جمعه وطبعه قريبا باذن الله العلى القدير ، انه نعم المولى ونعم النصير » ٠

(المؤلف)

القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ربيع الاول سنة ١٣٦٦

١٠ فبرايـر سـنة ١٩٤٧

***

وسنلاحظ على آخر مقدمة للديوان انها لا تتضمن ذكرا للملك السابق فاروق ، مع العلم بأنها صدرت يوم مولده ـ كالطبعة الثانية

ـ ولكن شتان ما بين سنة ١٩٣٨ حيث كانت الآمال معقودة كلها على ذلك الملك الشاب لاصلاح حال مصر ، وتقدمها وازدهارها ، ولكن فى سنة ١٩٤٧ ، كانت الأحوال قد تغيرت بمصر الى الأسوأ ، ولذلك لم يشر الغاياتى الى ذكرى مولده ، فى نفس الوقت الذى ذكر فيه بالتمجيد والخلود ، باعث الوطنية الزعيم مصطفى كامل ، واذا كانت الطبعة الثـــانية لديوان الغاياتى ـ سنة ١٩٣٨ ـ قد صودرت سنة ١٩٤٣ ، كما صودرت الطبعة الأولى ـ سنة ١٩١٠ ـ فان الطبعة الثالثة سنة ١٩٤٧ ، لم تصادر ، وهكذا شأن الكلمة الحرة الشريفة ، والعمل المخلص البناء ، لصالح الشعب والوطن ، فانه باق ما بقيت الحياة ٠

وأخيرا ، فلقد رحل الغاياتى الى رحاب الله ، قبل أن يحقق أمنيته ، والتى ذكرها فى أكثر من موضع ، وهى أن يطبع الجزء الثانى من « وطنيتى » ويكون تحت عنوان « هجرتى » ٠

***

(فى انتخابات المجلس النيابى)

كانت البداية تحت عنوان (؟) ـ أى علامة استفهام ـ فى نهاية عام ١٩٤٤ ، وكان السؤال هو(٥٩) : هل يرشح صاحب « منبر الشرق » نفسه وطنيا مستقلا فى الانتخابات المقبلة ؟ وهل تؤيده الاحزاب السياسية ، أم يكفيه الدعاء الصالح من حزب مصر الفتاة ، أو من جماعة الاخوان المسلمين ؟

وكانت اجابة على الغاياتى ، فى العدد التالى مباشرة بقوله « توكلت على الله ! »(٦٠) ، حيث يقرر بأنه تقدم فعلا الى الانتخابات النيابية عن دائرة عابدين بالقاهرة ، وقد شجعه فعلا ـ لاقولا ـ أعضاء مصر الفتاة والاخوان المسلمون ، ومن نحا نحوهم من أنصار المبادىء السامية ، والمثل العليا ، والاخلاق القويمة ، ويقول بأن هذا النبأ قوبل عند بعض الجهات الرسمية بالترحيب والارتياح ٠ والدعاء الصالح ، والحمد لله ٠٠ ولكن أيكفى ذلك وحده لخوض المعركة ، المتفائلون يقولون : يكفى والمتشائمون يرون أنه لابد من معاضدة الحكومة أو الاحزاب ، ولابد مع ذلك من الانفاق عن سعة ، أما أنا ـ الغاياتى ـ فأفوض أمرى الى الله ، ومدام سبحانه وتعالى

---

(٥٩) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٢٨ ، ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

(٦٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٢٩ ، ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

هو الذى وجهنى هذه الوجهة مابين عشية وضحاها ، فهولى الولى النصير ، وهو حسبى ونعم الوكيل ٠

وقد اختار الغاياتى دائرة عابدين ، لأنه قبل هجرته من مصر سنة ١٩١٠ ، وبعد عودته اليها سنة ١٩٣٧ ، أقام بها اقامة دائمة ، وقد جعل شعاره الانتخابى : « الله ، الوطن ، الملك » ، ويقول : « أجل قد ينازعنى فى هذا الحب المنازعون ، وينافسنى فى هذا الشرف المنافسون ، وقد اسقط فى الميدان قبل بلوغ الهدف ، ولكن هذا لن يثنى من عزيمتى ، أو يفت فى عضدى ، وقد وضعت النجاح والفشل فى كفة الميزان ، وان كنت عظيم الأمل ، شديد الايمان ٠٠٠ وبعد ، فانى لست بذى مال ، ولا بذى بأس وسلطان ، ولكنى ذو عقيدة ، ووطنية ، وماض طويل فى الجهاد ، لأجل مصر والعرب ، والشرق والاسلام ، ثم اننى من أنصار السلام العام ، ودعاة الاخاء الانسانى وطلاب العدل الاجتماعى ، وللدين عندى فى سموه وتسامحه ، وتعاليمه الجليلة المكان الأول فى الحياة الخاصة والعامة ، وسأحاول ان شرفنى الناخبون بثقتهم ، مواصلة الجهاد ، وخدمة البلاد تحت قبة البرلمان ، باذن الله » ٠٠

ثم تساءل الغاياتى تحت عنوان (؟) مرة أخرى : « هل تدع الأحزاب دائرة عابدين حرة ، لصاحب « منبر الشرق » اعترافا بالجميل ، وتقديرا للجهاد الطويل ؟ »(٦١) ولكن الاجابة كانت معروفة مقدما ، فالغاياتى أصدر جريدته مستقلا عن الاحزاب ، ولم يرتمى فى أحضانها أو أحضان زعمائها ، وعلى هذا الأساس لم تدع الاحزاب تلك الدائرة حرة ، ومع ذلك فقد أعلن صاحب « منبر الشرق » بأنه : « بعون الله وحده ماض الى النهاية فى ترشيح نفسه وطنيا مستقلا

---

(٦١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٠ ، فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

عن دائرة عابدين ، ولن يثنيه عن قصنره حول ولا طول ، أو يحول دون غايته أمر قل أو جل »(٦٢) ٠

ثم يؤكد مرة أخرى تحت عنوان « على هامش المعركة »(٦٣) ، بأنه وان كانت المعركة الانتخابية المقبلة لمجلس النواب ستكون حامية ، وان الاحزاب ومن اليهم سيتنازعون الكراسى بشدة وعنف فانه يحرص كل الحرص على استقلاله ، ويحافظ على موقفه ، بأنه وطنى مستقل الى النهاية ٠ ثم يقول : بان النيابة عن الامة ليست سلعة تباع ، ولا ضيعة تستغل ، وهى اذا كانت كذلك فى يوم ما ، فيجب من الآن الا تكون الا بالكفاءة والنزاهة والاقدام ، أما أولاد الذوات ، وأغنياء الحرب ، والانصار والمحاسيب ، وبقية السخفاء ، فليست النيابة لهم وليسوا لها ٠٠ والا فقد هزل النظام البرلمانى ، وضاعت الديمقراطية ٠٠ ثم يذكر ناخبيه فى عابدين ، بأن فى يده صحيفتان ناصعتان هما « وطنيتى » و « منبر الشرق » الأولى صدرت فى عابدين ، والثانية أيضا تصدر منها ٠٠

ولكن يبدو أن التنافس فى تلك المعركة لم يكن شريفا ، وأن الحكومة لم تراع الحياد ، كما جاء ذلك على لسان الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء ، وأن شكاوى واحتجاجات الغاياتى لم

---

(٦٢) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣١ ، ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

(٦٣) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٢ ، فى ٢٤ نوفمبر ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

تكن ذات جدوى ، فآثر الانسحاب آسفا(٦٤) شاكرا لاخوانه الناخبين أبناء الدائرة الكرام ، الذين ألفوا الجماعات وأعدوا العدة للحملة الانتخابية ، وبدءوا فعلا فى نشر الدعاية الطيبة له(٦٥) ٠

***

---

(٦٤) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٣ ، فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ بعنوان « حياد الحكومة » .

(٦٥) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٤ ، فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ بعنوان « شكر الناخبين » .

((هجـرتى)) الثانيــة

يبدو أن انسحاب الغاياتى من المعركة الانتخـــابية عن دائرة عابدين ، وشــــكاواه التى لـــم يســـتمع اليهـا أحد ، ووقوفه شبه وحيد ، مستقلا عن الاحزاب والزعماء ، مطالبا بالوحدة الوطنية المصرية ، قد جعله يفكر بعد شهور قليلة فى « الهجرة الثانية » ، خاصة بعد أن وضعت الحرب العالمية الثـانية أوزارهـــا ، وكان الغاياتى يزمع الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن لماذا تلك الدولة بالذات ؟

يقول الغاياتى : »(٦٦) بأن أمريكا عالم حر جديد ، سأقابله ان شاء الله بنشاط حر جديد ٠٠ وشباب حر جديد ، ولاعبرة بالسن ، فما هى بعدد السنين ، وانما هى بقوة الروح ، وقوة الايمان ، وقوة الارادة » ، ذلك أنه بعد عودته من جنيف الى القاهرة ، وجد من بلده المحبوب نصبا وجحودا ، مقابل استقلاله فى الرأى ٠٠ كما وجد هوة عميقة بينه وبين أغلب القوم ٠٠ فلقد بقى كما هو قبل خروجه منها ٠٠ بينما هم « تقدموا » ٠٠ هذا التقدم الذى نراه فى ضلال وفساد « الطبقات العالية » ، بينما البؤس والشقاء عند السواد الأعظم من الشعب !!

***

---

(٦٦) جريدة ((منبر الشرق)) ، العدد ٣٦٧ ، فى ٣ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، ص ١ ، بعنوان ((الهجرة الثانية)) .

ولكن الغاياتى لم يهاجر الى أمريكا ٠٠ بل كانت أفكارا فقط ، أعدلها العدة ، ولكنها لم تنفذ ، حتى يستمر لمصر ، رجل مخلص ووطنى صادق ، ومجاهد مستقل ، وصحفى لايتلون ، له وجـــه واحد ، وقلم واحد ، ولسان واحد ، عبر عنه يوم عاد الى مصر بعد غربة استمرت سبعا وعشرين عاما ، عندما أنشد شعرا :

« باسم الكنـــانة واسم شعب ناهض

لا باســـم أحــزاب ولا زعمـــــاء »

* * *

(وفـــاته وآخر مقالاتـــه)

عندما داهم مرض الرحيل ، على الغاياتى ، فى شهر يوليو سنة ١٩٥٦ ، تخلف عن كتابة مقاله الافتتاحى المعتاد اسبوعين ، ثم سأل الله الشفاء ، وزوال هذا البلاء(٦٧) ، ويبدو أن الله قد حقق دعاء بطلنا الوطنى ، ليكتب آخر افتتاحية لجريدة « منبر الشرق » وكانت بعنوان :

(جمال قاهر كبرياء الغرب)(٦٨)

وفيها يقول : « لله در الرئيس جمال عبد الناصر ، فانه أول من تجرأ بشكل علنى على كبرياء الغرب ، الذى كان يعتبر الشـــرق والشرقيين من سقط المتاع ، فلا يسمع لقولهم ، ولايحسب لهـــم حسابا فى خططه وأساليبه الاستعمارية » ٠

« فضح جمال أساليب الاستعمار حتى أصبح المرء لايخشى من محاربة الغرب بهذا السلاح الجديد الفاضح ٠ وكذنا نــرى حملة جمال على الغرب ـ وهى حملة مؤيدة بأقوى البراهين والحجج ـ تعم العالم العربى فيستيقظ من سباته ، ويكيل الصاع صاعين لكل غربى مستعمر أثيم » ٠

---

(٦٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٤ ، فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٦ ، ص ١ ٠

(٦٨) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٨٨٧ ، فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ص ١ ٠

« انتشرت هذه الروح المتحررة فى الشرق العربى من اقصاه الى اقصاه ، فاهتز لها الغرب خوفا ووجلا ، وأخذ يحاول ان يغير من عسفه وعجرفته ، ولكن الشرق لم يأبه له ، واراد منه الدليل على كل مايزعم انه صادق فى قوله ، وبذلك فقدت الثقة التى كان يعيش الغرب عليها ايام سلطانه وجبروته » ٠

« فجمال عبد الناصر هو قاهر كبرياء الغرب فى هذا العصر ، وكل من رفع رأسه فى وجه الاستعمار مدين له بالفضل الأول فى هذا السبيل » ٠

« وماعلى القارىء الا ان يستمع الى خطب جمال ، ويقرأ بيانات جمال ٠ ليوقن بأنه نعمة من الله ورحمة لهذا الوطن ، الذى طال ليله ، وعم فيه الظلم والظلام » ٠

« فليحيى جمال ، ولتحيى مصر العزيزة ، أم كل جمـــال حر أبى » ٠

***

وبعد عشرة أيام سقط القلم ، وارتفعت روح الغاياتى الى بارئها يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ومن العجيب ، أن الغاياتى بينما كان حيا يرزق فى دمياط سنة ١٩٠٧ ، نشرت جريدة « اللواء» فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٧ ، خبرا عن وفاة على الغاياتى ، فبادر الى تكذيب الناعى بأبيات شعرية تحت عنوان « الموت الكاذب »(٦٩) يقول فيها :

تمنى أنـــاس أن أمـــوت صـبابة
وأنـى مـن قبـــل المتمنـى ميـت

---

(٦٩) « وطنيتى » للغاياتى ، ص ١٢٨ ٠

ولكـن آمـــالا تجـــول بخاطـــرى
فقحبى فـــــؤداى حينمـــــا يتفتت

فيا مـــن أشـاع المــوت عنــى فجأة
لعمـــرك انـــى نحـــوه متلفـــت

ولـــو كان نحبى فى يـــدى لقضـــيته
وغادرت عيشـــا فيـــه أمـــرى مشتت

ولكـــن ممـــات المـــرء مثـــل حياتـــه
الى الله يمحـــو مايشـــاء ويثبـــت

***

وقد تحرر الى الجهات المختصة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، بقرار وقف اصدار جريدة « منبر الشرق » ، وشطب اسمها من قائمة الصحف المصرح باصدارها فى مصر ، وذلك بعد وفاة صاحبها، وكأن الاخطار السابق تقديمه لاصدار الجريدة ، لم يكن(٧٠) ، وهكذا لم تتحقق أمنية أخرى للغاياتى ، عندما كتب تحت عنوان « منبر الشرق لن يموت »(٧١) يقول : « ان من أعز الامانى الا يكون سجن أو مرض أو موت كاتب هذه السطور ، سببا من أسباب عدم ظهور هذه الجريدة » !!

***

---

(٧٠) سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر ، تحت رقم ٥٠٩ .

(٧١) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٧٩٨ ، فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، ص ١ .

(رثاءه وملامحه الشخصية)

أسرعت الأقلام التى تعرف فضل فقيدنا الغاياتى ، فى رثاءه ، من علماء ورجال فكر وصحفيين ، وقد كانت جريدة « الاهرام » ، أول من دعا الله لأن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ، ذلك أن الغاياتى كان مراسلا للجريدة فى جنيف طيلة السنوات التى قضاها فيها ، كما كتب فضيلة الشيخ حسنين مخلوف ـ مفتى الديـــار المصرية الأسبق ـ والذى كان يرد على فتاوى قراء « منبر الشرق(٧٢) ـ كلمة تحت عنوان « السيد على الغاياتى » يقول فيها(٧٣) ٠

« مات أمس ، السيد على الغاياتى ، وكل حى يموت ، فرزىء بموته الاسلام أعظم رزء ، اذ فقد علما من أعلامه الخفاقة ، ولسان صدق فى الدعوة اليه ، والذياد عن حماه ، وقلما بليغا حرا ، طالما جال وصال ، فى ربوع أوروبا ومصر ، فى ارشاد المسلمين الى وجـــوب التعـــاون ، على البـــر والتقـــوى ، وتضـــافر القوى ، فى مكافحة اعدائه المستعمرين ، وفقد المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، نصيرا قويا ثابت الجنان ، صادق اللسان ، قوى الحجة ، بليغ البيان ، فى التعبير عن خلجات صدورهم وأمانيهم ، فى الحياة والعزة والكرامة ، وفقدت الصحافة الحرة النزيهة ،

---

(٧٢) « باب الافتاء » ظهر فى جريدة « منبر الشرق » ، ابتداءا من العدد ٧٦٩ فى أول يناير سنة ١٩٥٤ ٠

(٧٣) جريدة « الأهـــرام » ، فى ٢٨ اغسطس سنة ١٩٥٦ ٠

غضوا كبيرا ، وكاتبا بليغا ، وصحافيا ابيا ، أعز الصحافة وأعتز بها ، ووهب لها حياته ، وماله حتى أفناه فى سبيلها ، وكان أعز شىء عليه « منبر الشرق » ، الذى أسسه فى أوروبا ، واستمر ينشره بمصر ، الى آخر لحظة من حياته المباركة » .

« وفقدت الوطنية الصادقة المخلصة ، زعيما من زعمائها الاطهار ، الذين عاصروا الزعيم مصطفى كامل ، والرئيس محمد فريد ، والمجاهد الشيخ عبد العزيز جاويش ، واضرابهم المجاهدين ، فى سبيل تحرير مصر ، من الاحتلال ، وتحطيم أغلال الاستعباد ، وعذب وشرد ، واضطهد وقاسى الآلام ، من أجل عقيدته ومبدئه ، فلم تلن له قناة ، ولم يطأطىء رأسه لعظيم » .

« ان السيد على الغاياتى ، كان أمة وحده ، فى دينه وخلقه ، ووطنيته وعفة لسانه ، وقلمه ونزاهة قصده وغايته ، وكان حكيما فيما يعالج من مختلف الأمور هادىء الطبع ، لا تخرجه عظائم الاحداث عن طوره ، ولا تدفعه عن قصده ، صبورا جلدا ، دائبا على العمل ، لا يترفق بنفسه ، رجاء نفع الناس بمنبره الاغر ، يكتب وهو مريض ، ويقرأ وهو محموم ، ومازال ذلك دأبه حتى قضى اليوم نحبه ، ففى سبيل الله ما جاهد ، وفى سبيل الله ماضحى من نفس ومال ، أنه فى الخالدين بذكراه العطرة ، وعمله الخالد العظيم ، وجهاده المرير ، فى صمت وحزم وأناة ، انه صحيفة ناصعة ، لا أقول طواها الردى ، وانما نشرها الموت على من يعرفه ومن لايعرفه،ليقرأوا فيهاكيف يكون الجهاد والتضحية،وكيف يكون الصدق ، والوفاء لله ، وللوطن وللناس ، وليعرفوا ان العظيم لايموت حين يدفن ، وانما يحيا فى القلوب بذكراه ، ويعيش بين الاحياء مثالا يحتذى ، وأماما به يقتدى » .

« رحم الله السيد الغاياتى رحمة واسعة ، وعوض الاسلام

والمسلمين والصحافة والأمة المصرية خير العوض عن فقده ، وهم أحوج مايكونون اليه ، وانا لله وانا اليه راجعون » .

***

اما جريدة « القاهرة » المسائية ، فقد نشرت مقالة بعنوان « على الغاياتى »(٧٤) يقول كاتبها « حافظ » :

« اختار الله عشاء أمس ليقبض اليه روحا شفت فى هذه الدنيا حتى لم يكن الصحاب يدرون : أهذا رجل يعيش مع البشر ، أم كان يتخذ له طريقا الى وادى الملائكة .. ذلك هو المغفور له السيد على الغاياتى ، الذى شيع اليوم جثمانه ، من هذه الدنيا الى البرزخ الذى يفصل بينها وبين الآخرة » .

« ولقد عاش الغاياتى سبعين عاما ، عمل فيها لآخرته كأنه فى كل يوم من أيامه سيموت غدا ، وعمل فيها للدنيا ماينفع أهل الأرض فى صلاحهم ووطنيتهم وما سلخ عنه كل مغانم هذه الدنيا !

« ان قصة الشيخ الشاب على الغاياتى ، التى هاجر بسببها من وطنه فرارا من ظلم الاستعمار فى مصر الى مجال فسيح ، يحارب فيه هذا الاستعمار — ان هذه القصة معروفة للجميع ، عاش على الغاياتى فى جنيف سبعا وعشرين سنة ، لا كما يعيش الناس ، بل كما يفعل الفدائيون .. طبع قبل اربعين سنة فى جنيف جريدة بالعربية والفرنسية لكى يتناجى على صفحاتها الاحرار ، وكان بيته ، بيت الرجل الذى خرج من مصر بلا مال ولا نشب ، كان بيته فى جنيف بيت الأمة العربية ، كان على الغاياتى فى جنيف السويسرية ، يخدم فكرة الوحدة العربية قبل

---

(٧٤) جريدة « القاهرة » ، فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٦ ، ص ٢ .

أربعين عاما ٠٠ وكان فى العاصمة السويسرية ، مضيف كل عربى وكل مصرى ، وكل مجاهد فى سبيل الحرية ، ومقاومة الاستعمار »٠

« ومنذ عشرين عاما ، وعلى أثر توقيع المعاهدة التى كانت تسمى مجازا ، معاهدة الشرف والاستقلال ، ظن الغاياتى أن مصر قد استكملت حريتها ، فانتقل الى مصر ٠٠ لكن جهادا جديدا مريرا كان ينتظر على الغاياتى ، فلقد تعود الغاياتى قولة الحق والشرف ، وكان الاستعمار قد قضى على كثير من عادات الحق والشرف فى هذه الربوع ٠٠ فجاع الغاياتى أياما ، لكنك اذا رأيته فى أحلك ساعات بؤسه ، رأيته عفا نزيها ، كأنه فى تواضعه ، على كل من يلقاه أمير ولقد أعاد الغاياتى فى مصر اصدار جريدة « منبر الشرق » وكانت صحيفة صغيرة الحجم ، لكنها نظيفة الفم ، لا يأكل صاحبها السحت الحرام ، ولو جاع الايام بعد الايام » ٠

« كان على الغاياتى رجلا مثاليا ، يمزج بين اداب الدين والوطنية فى سلوكه ، فأكرمه الله رغم كل مامر به من أزمات وكرمه فى كل الأوساط تكريما قل أن يناله أحد ، فكان فى مثالياته مثلا أيضا للذين يأخذهم بريق هذه الحياة الدنيا ، وبالأمس ، وقد أدى على الغاياتى رسالته ، واختاره الله الى جواره ، فغاب عنا شخص نرى أن له ذكرى لاتغيب ، ذكرى فى تاريخه ، فى مثله الصالحة ، فى نسله الذى ليس كمثله بنات أو بنين الذين رباهم خلقا وفضلا » ٠

« رحم الله الغاياتى ٠٠ لقد كانت عدته فى الحياة وسيلة لغايته وقد بلغ الغاياتى مساء أمس ، غاياته بالقربى من الله ، بعد أن عاش كريما بقرباه الى ضمير الوطن » ٠

***

وهناك من أراد أن يرثى الغاياتى شعرا ، كمحمد مصطفى

الاسلامبولى ، الذى نظم قصيدة بعنوان « الخطب الوطنى الفادح : الشيخ على الغاياتى »(٧٥) يقول فيها :ـ

خطب اناخ على البلاد جليل
أو ما رأيتم كيف غاض النيل

يأيها الناعى رويدك أنه
رجل البلاد وذخرها المأمول

هو من علمت طواه فى احشائه
دهر بأقدار الرجال يهول

كان المرجى للخطوب يردها
مسلولة الأظفار حين تصول

كان الحريص على حقوق بلاده
ما خان يوما عهدها المسئول

كان العلى الحر ما فى قوله
ضعف ولا فى رأيه تبديل

جم الفضائل نزعه متتابع
لبنى البلاد وخيره موصول

تدعوه أمته فيصلح أمرها
ويقيم ركن الحق حين يميل

ويكافح الاهوال فى طغيانها
فيصير رعبا جيشها المخذول

---

(٧٥) جريدة « الشعب » ، العدد ٨٥ ، فى ٢٩ اغسطس سنة ١٩٥٦ ، ص ١١ .

مهـلا علي ، أفهـل رضيت بفرقة ؟
فيهـا لقومـك لوعـة وغليـل

لمـا حللت ديـار من سـكن الثـرى
أيقنت أن مـدى الفـراق طـويل

لاتنسـى مصـر على البعاد فانهـا
حرى الفؤاد كمـا علمـت ثكـول

اذكر فجيعتهـا وطـول عذابهـا
وانظر الى الايـام كيـف تحـول

ما في العوالم مـن مقيـم ثـابت
لاشـىء الا ينقضـى ويـزول

سـبحان من يفنى ويذهـب خلقـه
ما للنفوس الـى البقـاء سـبيل

ما أجـدر السـلوى لشـعب لائـذ
بالصـبر فيـك وانـه لجميـل

لولا التجلد وهـو خيـر وسيلـة
ثـارت لموتـك أنفـس وعقـول

حـب البلاد أسـى وحسـبك نعمة
ظـل لربـك فى الجنـان ظليـل

لـك مـا أردت من المثوبة عنـده
وثواب من يسـدى الجزيـل جزيل

(ملامحـه الشخصـية)

يقول الاستاذ فتحى رضوان(٧٦) أنه تعرف بالغاياتى ـ سنة ١٩٣٨ ـ وحينئذ فقط أحس بالدهشة ، لأنه رأى مصريا قحا ، أو قل أزهريا تقيا خالصا ، لم تمح اقامته ربع قرن من الزمان بعيدا عن مصر ، فى وسط أوربى ، ومع زوجة أجنبية ، شيئا من سماته أو خصاله المصرية ، فلا هو لوى لسانه بلكنة أجنبية ، ولا هو حرص على أن يدس فى حديثه كلمة فرنسية واحدة ، ولاهو انقطع عن الاستشهاد بالشعر العربى القديم والحديث ، حينما يقضى سياق الكلام ٠

والحق أن الغاياتى كان يعتز دائما بأنه « شيخ ولا فخر »(٧٧) ، وكان يرد على الذين يهاجمونه ، بتوقيع مقالاته الافتتـاحية فى جريدته « منبر الشرق » بـ « الشيخ على » ، وامعانا فى ذلك الفخر، كان ينشر صوره بملابس الشيوخ ـ والتى التقطت له منذ ثلاثين عاما ـ بجانب هذه المقالات ٠

كما لايذكر أصدقائه ومريدوه(٧٨) بأنهم رأوه يوما ثائرا ، ولا غاضبا ، ولا متذمرا ، ولا متجهما ، أو سمعوا منه كلمة نابية ،

---

(٧٦) فى كتابه « عصر ورجال » ، ص ٢٩٨ ٠

(٧٧) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٧٧ ، فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٩ ، ص ١ ٠

(٧٨) فتحى رضوان ، مرجع سابق ، ص ٣٠٠ و ٣١٥ ٠

وعلى كثرة ما اجتمعت عليه أزمات البيت والجريدة ، وهى أزمات كانت خليقة بأن تتحدى حلم الحليم ، وتفسد طبعه ، وقد كان كاتب خفيف الظل ، تسرى فى أسلوبه روح دعابة رقيقة ، قد تبدو للناس غريبة ، من رجل كان ديوانه يتفجر نارا وحمما ، وهو يتحدث عن الاحتلال وأعوان الاحتلال ، قد تبدو أغرب ، فى أدب رجل كابد من الحياة أشد ماكابده الرجال فى حياتهم العامة من وحشة الغربة، وضيق الرزق ، وتجدد الاخطار ، وخيبة الأمل فى الرجال والزمان ، وتقلب الصحب والاخوان ٠

من هذه الدعابات الرقيقة ، ماحدث عندما أنعم الملك السابق فاروق ، بنيشان الكمال من الدرجة الثالثة ، على أم كلثوم ، فتحدث معها الغاياتى تليفونيا ، ليهنأها بذلك ، فقالت له أم كلثوم : « انها تقرأ (منبر الشرق) بعناية لأنها « رجعية » مثل الغاياتى » ، فما كان منه الا أن شكرها على هذا التقدير ، متمنيا لها وله مزيدا من المحافظة على هذه الرجعية ، وعلى أفضل التقاليد(٧٩) ٠

أما ذلك الحزن العميق ، والذى تجده فى قسمات وجه الغاياتى فلأنه يكظم ألمه ، ويخفى ضيقه وبرمه بالأيام ، ولكن مايكاد يتكلم حتى ترى هذا الوجه الريفى بتقاطيعه الغليظة نوعا ، قد تكسرت جهامته الى رقة ، فاذا سمعت قهقهاته القصيرة المتوالية ، أدركت أن وجههلا يحسن التعبير عن ايمان صاحبه ، وبعده عن اليأس ، وامتلاء قلبه بالأمل ، حتى عندما فقد ابنه الوحيد ، بعد اصـــابته برصاصة طائشة فى رحلة صيد بناحية السويس ، تجده صابرا هادئا لاتدمع له عين ، ولاتصدر عنه آهة ، أو حركة واحدة من حركات الألم الذى لابد أنه كان يعتصره اعتصارا !٠

---

(٧٩) جريدة « **منبر الشرق** » ، العدد ٣٢٤ ، فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ، ص ١ ٠

وكان الغاياتى ثائرا على التقاليد البالية ، مطالبا بالغاء الألقاب منذ عام ١٩٤٥(٨٠) ، فيقول : « لايحمل صاحب هذه الجريدة لقبا من ألقاب الدولة ، فهو ليس بك ولا باشا ولا صاحب عزة أو سعادة ، وهو لايرتاح لمخاطبته بماليس له ، ولا يريد أن يصبح ذا لقب لأنه يطالب بالغاء الألقاب ، لهذا يرجو بالحاح من مخاطبيه الكثيرين ان يكتفوا بذكر اسمه أو اسم صحيفتههذه مجردا من كل نعت رسمى أو غير رسمى ، ولهم جزيل الشكر ، وان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وفى أخريات أيامه ، أراد أن يصل ما انقطع ، وأن ينتهى من حيث بدأ ، فعاد الى العمامة ، وأخذ يتشدد مع زوجته السويسرية تشددا فات أوانه ، فاضطر الى الزواج من مصرية ، فأغضب ذلك بناته وأحزنهن غاية الحزن ، وقد عوض هذا المجاهد الصابر خير عوض عما لقيه من شظف الحياة ، وضيق الرزق ، فقد حقق له أمنيته ، اذ تزوجت كل بناته بمصريين نابهين موفقين ، منهم من وصل الى منصب الوزارة ، ومنهم من أفاء الله عليه رزقا عميما ، وعلما غزيرا ، وهم الاســـاتذة : محمد العتر ، الدكتور مصطفى الحفناوى ، الدكتور محمد البهى ، الدكتور مختار الوكيل ، محمد على ناصف ، وقد كان رجل فى مثل فقر الغاياتى وزهده ، وابتعاده عن المجتمعات ، وقلة صلاته بالناس ، خليقا بالا يوفق الى مثل هذا الحظ السعيد ، الذى يفرح به كل والد مهما كان جاهه وحظه من المال ، فبارك الله فى نسله وذريته ، وجعلهم للوطن ، مثلما جعـــل عميدهم « على الغاياتى » .. رائدا من رواد الحركة الوطنية ، الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، رغم أنف المنافقين والدجالين !!

***

---

(٨٠) جريدة « منبر الشرق » ، العدد ٣٣٨ ، فى ١٢ يناير سنة ١٩٤٥ ، ص ١ .

(مصـــادر الكتـــاب)

*** أولا وثائق غير منشورة :**

١ ـ وزارة الداخلية ، ادارة المطبوعات ، ملف جريدة « منبر الشرق » ـ رقم ١١ ـ ٢/٢٩٢ ·

٢ ـ سجل رقم (١٠) لقيد الصحف المصرح باصدارها فى مصر (من سنة ١٩٣٦) ، والمحفوظ بادارة المطبوعات والصحافة والنشر ، الهيئة العامة للاستعلامات ·

*** ثانيا : صحف عربية :**

١ ـ الجهاد ـ ٢ ـ الجوائب المصرية ـ ٣ ـ السياسة ـ ٤ ـ الشعب ٥ ـ العلم ـ ٦ ـ القاهرة ـ ٧ ـ الاهرام ـ ٨ ـ اللواء ٩ ـ المؤيد ـ ١٠ ـ منبر الشرق ·

ثالثا : كتب عربية ومترجمة :

١ ـ ابراهيم عبده ، **تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨ ـ ١٩٨١)** ط (٤) (القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٨٢)·

٢ ـ ابراهيم عبده ، **جريدة الاهرام : تاريخ وفن (١٨٧٥ ـ ١٩٦٤)** (القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٤) ·

٣ ـ أحمد شفيق باشا ، **مذكراتى فى نصف قرن** ، القسم

الثانى من الجزء الثانى (من يناير ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٤) (القاهرة مطبعة مصر ، ١٩٣٦) ٠

٤ ـ أحمد هيكل ، **تطور الأدب الحديث فى مصر من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية** ، ط (٤) (القاهرة دار المعارف ، ١٩٨٣)

٥ ـ آرثر ادوارد جولد شميت (الابن) ، **الحزب الوطنى المصرى (مصطفى كامل ـ محمد فريد)** ، ترجمة : فؤاد دوارة (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٣)

٦ ـ أنور الجندى ، **تطور الصحافة العربية فى مصر** (القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٦٧) ٠

٧ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، **خمسة من شعراء الوطنية** ، ج (١) (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣)

٨ ـ عبد الرحمن الرافعى ، **مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال** : تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٢ ، ط ٣ (القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٦) ٠

٩ ـ عبد الرحمن الرافعى ، **مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية** : تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٨ ، ط ٤ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ٠

١٠ ـ عبد الرحمن الرافعى ، **محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية** : تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٩ ، ط ٣ (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ٠

١١ ـ عبد الرحمن الرافعى ، **شعراء الوطنية** ، ط ١ (القاهرة النهضة المصرية ، ١٩٥٤) ٠

١٢ ـ عبد اللطيف حمزة ، **مستقبل الصحافة في مصر** (القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٧) .

١٣ ـ على الغاياتى ، **وطنيتى** ، ط ١ (القاهرة ، بدون مطبعة أو دار نشر ، ١٩١٠) .

١٤ ـ على الغاياتى ، **وطنيتى** ، ط ٢ (القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٣٨) .

١٥ ـ على الغاياتى ، **وطنيتى** ، ط ٣ (القاهرة ، مطبعة منبر الشرق ، ١٩٤٧) .

١٦ ـ على الغاياتى ، **على هامش الحج** ، ط ٢ (القاهرة ، دار النشر للجميع ، ١٩٦٣) .

١٧ ـ فتحى رضوان ، **عصر ورجال** (القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٧) .

١٨ ـ فيليب دى طرازى ، **تاريخ الصحافة العربية** ، ج ٤ (بيروت ، المطبعة الاميركانية ، ١٩٣٣) .

١٩ ـ محمود نجيب أبو الليل ، **الامانى الوطنية والمشكلات المصرية فى الصحف الفرنسية** : منذ عقد الاتفاق الودى حتى اعلان الحرب العالمية الاولى ، ط ١ (القاهرة ، مطبعة التحرير ، ١٩٥٣) .

٢٠ ـ يونان لبيب رزق ، **الحياة الحزبية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى** (١٨٨٢ ـ ١٩١٤) (القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٧٠) .

***

(فهرســت)

صفحة

صفحة

* * *

رقم الايداع ٤٥٩٥/١٩٨٩
الترقيم الدولى ١ ـ ٢١٧١ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

هذا الكتاب

لا أظن أن هناك ممن جاهدوا فى سبيل مصر ، وطوقوا عنقها بأياد جليلة ، واحتملوا من اجل ذلك شظف العيش ، والبعد عن الاهل ، وضيق الرزق ، من لقى ما لقيه (على الغاياتى) ، الشاعر والكاتب ، والصحفى والعالم الإسلامى ، من نفى وتشريد ، وجحود ونكران ، وهذا الكتاب يتعرض لقصة حياته ونضاله منذ مولده فى دمياط ، وعمله فى صحف الحزب الوطنى ، وإصداره ديوانه (وطنيتى) الذى قدم له الزعيم محمد فريد والشيخ عبد العزيز جاويش ، وأدى إلى محاكمتهم وسجنهم ، بينما فر هو هاربا إلى تركيا ثم إلى سويسرا ، حيث أصدر جريدة « منبر الشرق » بالفرنسية نحو سبعة وعشرين عاما ، ثم عاد إلى مصر ليعيد إصدارها باللغة العربية جاعلا شعارها : باسم الكنانة وإسم شعب ناهض .. لا باسم أحزاب ولا زعماء .